عصر الدولة السعودية الثالث
أو النهضة السعودية الحديثة

هذا العصر الثالث والأخير من عصور الدولة السعودية هو عصر النهضة العربية السعودية الحديثة ؛ وبطل هـــذه النهضة وزعيمها هو صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وسيد الجزيرة العربية .

شهد هـذا البطل وهو طفل ملك آبائه وأجداده ينهار فى أواخر العصر الثانى ، وفرصبيا مع أبيه من وجه العدو المتغلب محمد آل رشيد ، فشهد بذلك وهو لايزال غض العود ضعيفاً عن احتمال الشدائد ، محنة أبيـه الشيخ ترغمه حوادث الدهر وتلجئه الضرورة القاسية إلى الهجرة وترك الوطن فراراً بنفسه وأهله من خطر القتل ، وذل العبودية .

ثم انتهى به المطاف إلى الكويت ، حيث نزل والده ضيفا على أميرها من آل الصباح ، يعيش فى كنفه وتحت حمايته . ولم يزل على هذه الحال حتى أذن الله فقام الفتى عبد العزيز بمغامرته التى كانت نتيجتها أن استولى على الرياض ، فاستعاد بذلك عاصمة ملكهم القديم ، ووضع أساس الدولة السعودية الحديثة .

أخذت الحوادث بعد هـذا تتطور سراعا ، وهو يدير دفة الأمور بحكمة وسياسة ، تلحظه العناية ، ويصاحبه التوفيق حتى أصبح صاحب نجد والحجاز والملحقات ، ثم ملك المملكة العربية السعودية .

ونحن إذا أردنا تفصيل الحديث عن هذه النهضة ، فإنا سنتحدث بذلك عن تاريخ حياة عبد العزيز آل سعود ، فهو قائد النهضة وباعثها ، على يده نشأت وبه ارتبطت وعرفت ، فهو إذاً بانيها وراعيها . وسنقسم الكلام فيها ونجعله عن أربع مراحل ؛ المرحلة الأولى من نشأة عبد العزيز إلى استيلائه على الرياض ؛ والثانية من الاستيلاء على الرياض فى يناير سنة ١٩٠٢ م إلى تحالفه مع الانجليز وعقد معاهدة القطيف سنة ١٩١٥ م ؛ والثالثة من ذلك الحين إلى سنة ١٩٢٦ حيث نودى بعاهل الجزيرة ملكا على الحجاز بعد أن تم فتحه له ؛ والرابعة والأخيرة من ذلك الوقت إلى الآن .

المرحلة الأولى في تاريخ عبد العزيز آل سعود

نشأة عبد العزيز آل سعود

في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م ولد عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود بقصر الرياض [١] ، فنشأ كما ينشأ أمثاله في هذا الوسط . تعلم القراءة والكتابة وأخذ يتلو القرآن ويحفظ منه ، ويتلقى تعاليم الدين ومبادئ المذهب الوهابي على أشياخه ؛ ثم شرع يتعلم ركوب الخيل وضروب الفروسية وفنون الرماية والضرب بالسيف بين أقرانه ولداته من أبناء سعود وأتباعهم .

ولد عبد العزيز في وقت تحالفت فيه الشدائد ضد أسرته بسبب اختلافهم على أنفسهم ، ووقوف عدوهم القوي محمد ابن رشيد لهم بالمرصاد ، فنشأ نشأة قاسية كان لها أثر كبير في تغلبه على الصعاب التي لاقاها في مستقبل حياته . وبعد مضي عشرة أعوام على ولادته ، رأى فيها أفراد البيت السعودي يختلفون ويقتتلون ثم تكون نهايتهم الوقوع في أسر ابن رشيد ، أذن لأبيه عبد الرحمن ابن فيصل بالعودة إلى الرياض في سنة ١٨٩٠ ، وقد كان أحد الأسرى في حائل .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦١ ؛ و « ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم » ج ١ ، ص ١١٥ .

عاش عبد الرحمن بعض الوقت فى الرياض إماما للوهابيين وزعيما لهم ، ولكنه مالبث أن ضاق ذرعا بهذا العيش الذليل الذى لم يألفه ، فقد كان نائب ابن رشيد فى الرياض سالم بن سبهان هو صاحب النفوذ والمصرف للأمور . أما عبد الرحمن فقد كان يعيش فرداً من أفراد الرعية لا حول له ولا طول ، مراقباً من صاحب الأمر ابن سبهان . لهذا نراه يحاول استعادة السلطان فى يده ، والقضاء على نفوذ ابن رشيد فى الرياض ، فتقع بينه وبين ابن سبهان معارك تسيل الدماء فيها على مشهد من ابنه الصبى عبد العزيز ، ويكون لذلك المشهد الدموى أثره فى نفس هذا الفتى الناشئ . كانت الغلبة فى المبدأ لعبد الرحمن فقبض على ابن سبهان أسيرا ، ثم أطلق سراحه على أن تعود إمارة الرياض لآل سعود . وأخذ يعمل بعد هذا على مهاجمة ابن رشيد فى حائل ، فاتفق مع زعماء ولاية القصيم فى شمال نجد — وقد كانوا يبغضون ابن رشيد ويخشون شره — اتفق عبد الرحمن مع هؤلاء على أن يبايعوه بالإمارة ، ويقاتلوا معه عدوهم المشترك محمد ابن رشيد ، ويعملوا يداً واحدة على القضاء عليه . ولكن ابن رشيد كان أكثر منهم يقظة وحرصاً ، فإنه ما كاد يعلم باتفاق خصومه وتأهبهم لقتاله حتى باغتهم بقواته فى ديارهم ، وانقض عليهم فمزقهم شر ممزق فى موقعة المليدة [١] ، وقد قتل فى هذه الموقعة زامل آل سليم حاكم عنيزة ، وابن مهنا حاكم بريدة [٢] ، وقد كان ذلك فى سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م .

---

(١) يقع هذا المكان على بعد ست ساعات غربى القصيم .

(٢) عنيزة وبريدة ، هما المدينتان الرئيسيتان لولاية القصيم ، راجع « جزيرة العرب » لوهبه ص ٦٩ .

لم يسع عبد الرحمن ابن سعود بعد هذا ، وهو يرى قوة ابن رشيد ووقوفه له بالمرصاد ، إلا أن يهجر الرياض ، وينتقل بأهله وفيهم ابنه عبد العزيز آل سعود إلى مضارب بنى مرة بالربع الخالى بالقرب من الأحساء . وابتدأ عبد العزيز من ذلك الوقت يقطع الصحراء ويجوب فيافيها ، يشارك أباه فى محنته ، ويقاسمه الآلام على صغر سنه ، وبدء عهده بالحياة .

مكث الشيخ عبد الرحمن مع أفراد أسرته عند آل مرة نحو السبعة شهور ، ثم شرع يحاول من جديد حرب ابن رشيد ، وتخليص الرياض من يده ، ولكن ابن رشيد جهز جيشاً قوياً ، والتقى بعبد الرحمن فى الحريملة فقضى على جيشه الصغير القضاء الأخير . وأيقن هذا بعد تلك الموقعة بأنه لا قبل له بابن رشيد فصمم على الرحيل حتى يقضى الله أمره ، وترك نجداً إلى الأحساء مع أسرته ، ثم إلى قطر ، حيث مكث قليلا غير مرغوب فيه ، ثم ألقى عصا التسيار فى الكويت ، حيث أذنت له الدولة العثمانية بالإقامة ، وأجرت عليه قليلا من الرزق ؛ وقد كانت تطمع الحكومة التركية فى استخدامه لحسابها ضد ابن رشيد الذى أخذ يقوى ويشتد . وكثيراً ما عودتنا هذه الحكومة أن تتقلب فى مناصرة أمراء العرب ، والعمل على ضرب بعضهم ببعض .

نزل عبد العزيز مع والده وأسرته فى الكويت بالقرب من الشيخ مبارك آل الصباح ، وكان ذلك سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م ؛ ولم يزل هناك حتى ساقته الأقدار إلى المغامرة وفتح الرياض .

معيشته فى الكويت

وصل عبد العزيز إلى الكويت ، وهو فى الثانية عشرة من سنى حياته بعد أن مكث مدة فى قبائل بنى مرة ، وشاركهم الحياة البدوية الخشنة ، فاستعد بذلك لاحتمال ما سيلاقيه فى حياته المستقبلة من الأخطار والمشقات . نزل الكويت فى الوقت الذى كانت فيه هذه المدينة ميداناً للتنافس السياسى الدولى بين الدول العظمى ، فألمانيا تطمع فى الحصول على امتياز سكة حديد بغداد من حكومة الباب العالى ساعية لذلك جهدها ، وتريد أن تجعل نهاية الخط مدينة الكويت على الخليج الفارسى حتى يتيسر لها أن تنشر نفوذها فى هذه الأنحاء وتستغل الموارد الطبيعية الموجودة على شواطئ الخليج الفارسى وبالقرب منه ؛ وروسيا تزاحم ألمانيا وتعمل لعرقلة مساعيها ؛ وانكلترا تخشى على نفوذها وممتلكاتها فى الشرق من خطر المزاحمة الألمانية ، وتريد أن تستأثر بزبوت ومعادن هذه المنطقة الغنية . فهى تعمل جهدها لإحباط المشروع الألمانى ، ولتقوية نفوذها فى هذا المركز المهم[1] .

ولقد كان كل من هؤلاء المتنافسين يبغى اكتساب جانب أمير الكويت ويخطب وده ، فكانت الكويت بذلك مدرسة من مدارس السياسة العالمية ، وكانت الفرصة سانحة للأمير عبد العزيز آل سعود لأن يتلقى دروس السياسة

---

(١) راجع All-Islam ص ١٦ — ١٨ ؛ وص ٤٢ من كتاب :
Die Auferstehung Arabiens لروبرت دونكان طبعة ليبزج سنة ١٩٣٥م.

القسطنطينيه
الأسود
سينوب
البحر
طربزون
باطوم
تفليس
أنقره
اسكي شهر
ازميد
قره حصار
قيساريه
ملطيه
ارضروم
قونيه
كرامان
أذنه
مرعش
آمد
تبريز
الرها
عينتاب
ماردين
حلب
الموصل
قبرص
حماه
حمص
تدمر
البحر الابيض المتوسط
دمشق
السوس
الأهواز
بغداد
المدائن
الأسكندريه
القدس
الخليل
عمان
كربلاء
النجف
القاهره
معان
ام العقبه
البصره
الكويت
الخليج الفارسي
مشروع
سكة حديد بغداد

obeikandl.com

فى هذه المدرسة ، فمكث فى الكويت نحو عشر سنوات شهد فيها كثيراً من الحوادث التى أفادته وساعدته فى النهاية على الاستيلاء على الرياض ، وتأسيس دولته ؛ وتعلم أساليب الحياة السياسية على يد صديقه وأستاذه البارع فى فنون السياسة الشيخ مبارك ابن الصباح ، الذى كان قد حط الرحال بالكويت واستقر بجانب أخويه الشيخ محمد أمير الكويت والشيخ الجراح ، بعد أن رحل إلى البلاد المختلفة وبعد أن مكث مدة كبيرة بالهند كان فيها على اتصال بالساسة الانكليز وصار ذا خبرة سياسية ممتازة ، وصاحب تجارب .

ثم لم يلبث الشيخ مبارك أن جمع الناس حوله بما كان له من مواهب وصفات تحبب الناس فيه ، وأراد بعد ذلك أن يكون صاحب السلطان فى الكويت فقتل أخويه ، وأصبح أمير الكويت فى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م .

ثم التجأ أبناء إخوته إلى الأتراك وإلى ابن رشيد بحائل ، وشكوا لهم الشيخ مبارك ، وحرضوهم على حربه ، فوقعت العداوة بينه وبين ابن رشيد ، وأراد الأتراك القبض عليه وترحيله إلى الاستانة فأرسلوا إليه سفينة حربية صغيرة لنقله إلى الاستانة بحجة أن الباب العالى قد أصدر الأمر بتعيينه عضواً فى مجلس الشورى ، فالتجأ عندئذ إلى الانكليز بمشورة شيخ البحرين ؛ وكان أن منحه الانكليز حمايتهم[1] ومنعوه من الأتراك ، فاضطر قائد السفينة التركية إلى الخروج من الخليج وترك الشيخ مبارك .

---

(١) عقد الشيخ مبارك الاتفاق مع الحكومة الانكليزية سنة ١٨٩٩ م ولا تزال الكويت تحت الحماية الانكليزية بهذا الاتفاق من ذلك الوقت إلى الآن ؛ المرجع السابق ص ٥٤ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٩٨ .

فكرت الدولة العلية بعد هذا أى الطرق تسلك للانتقام من هـذا الرجل بحيث لاتصطدم مع الإنكليز الأقوياء ، واهتدت فى النهاية إلى استخدام عبد العزيز بن متعب ابن رشيد الذى خلف عمه محمد ابن رشيد على حائل ضد أمير الكويت ، فأمدته بالمال والسلاح وكلفته بقتال هـذا الرجل الذى خرج على الدولة وظاهر الإنكليز عليها . وفى سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١ م كانت موقعة الصريف [١] بين الشيخ مبارك وبين عبـد العزيز ابن رشيد ، وكانت الدائرة على الشيخ مبارك الذى فر بعـد الموقعة إلى الكويت وتحصن بها ، ولولا أن خشى ابن رشيد بأس الإنجليز لاستطاع مهاجمة أمير الكويت فى حصنه ولاقتحم عليه بلده ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى نجد بعد انتصاره فى الموقعة ، عاد وهو محنق على آل سعود وأتباعهم من النجديين الذين أمدوا أمير الكويت بالمساعدة ضده ؛ فأخذ يضطهد أتباع السعوديين فى نجد وينكل بهم انتقاما منهم ومن آل سعود اللاجئين إلى أمير الكويت .

بلغت أخبار هذه الاضطهادات وتلك المظالم إلى أسماع عبد العزيز آل سعود بالكويت ، وكان قد ضاق ذرعا بتلك الحياة الراكدة فى الكويت تحت كنف أميرها وفى حمايته ، فصمم على أمر خطير ، صمم على أن يقوم بمغامرته الجريئة التى كانت فاصلة فى تاريخ حياته وتاريخ أسرته ، والتى كانت نتيجتها التوفيق فاستعاد بها ملك آبائه المفقود ، واستولى على الرياض من جديد .

---

(١) الصريف : ماء بولاية القصيم شمال نجد وبالقرب من بلدة الطرفية التابعة لبريدة ، راجـع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٣ .

فتح الرياض

فى سنة ١٣١٩ هـ / سنة ١٩٠١ م اجتمعت لدى الفتى عبد العزيز آل سعود عدة من العوامل التى جعلته يخاطر فيقوم بمغامرته السابقة الذكر ، وهذه العوامل نستطيع أن نلخصها فى الآتى :

أولاً ـ أثر ماشاهده من محنة أبيه فى نفسه .

ثانياً ـ أنفته من مواصلة هذا العيش الضيق فى كنف أمير الكويت وتحت حمايته بعد أن فقدوا سيادتهم وملكهم .

ثالثاً ـ عدم احتماله لتلك الحياة الراكدة التى كان يحياها فى الكويت هو وأسرته .

رابعاً ـ ما بلغه من ظلم أتباع السعوديين واضطهادهم على يد عدوهم ابن رشيد (١) .

اجتمعت هذه العوامل فى نفسه ، فجعلته يصمم على المغامرة والمخاطرة ، ويعزم على انتزاع الرياض من يد خصمه القوى مهما كلفه ذلك من تضحية ؛

(١) أسرف عبد العزيز ابن رشيد فى الانتقام من أتباع السعوديين بعد موقعة الصريف التى انتصر فيها ، فقتلهم تقتيلا ، وقطع نخيلهم وأشجارهم ، وقتل دوابهم ، وخرج بهذه الطريقة فى الانتقام عن عادة العرب ، متأثراً بالأتراك فى طريقتهم ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٥٣ .

فخرج وهو فى قلة من العدد والعدة ، ولم يسمع لنصيحة والده الشيخ الذى نصحه بالتريث حتى يكون لديه من القوة ما يستطيع أن يعتمد عليه فى تنفيذ مشروعه ، خرج مخاطراً مستهيناً بكل صعب ومستعداً للتضحية بنفسه وحياته . فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر ، وفى كلتيهما راحة لضميره المعذب ، وهدوء لنفسه الثائرة .

خرج عبد العزيز من الكويت إلى الصحراء ومعه أربعون رجلا فقط قد بايعوه على الموت ليصلوا من طريقه إلى الحياة ، وقد كانوا من أتباعه وقرابته وفيهم أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوى الذى حكم الأحساء بعد فتحها فبلغ الغاية فى العدالة والنجاح فى الحكم (١) ، والذى كان يعد فى مقدمة المخلصين لابن عمه جلالة الملك ، ومن أكبر العاملين على توطيد ملكه . خرج بهذا الجيش القليل بعدده وعدته ، الكثير والقوى بإيمانه وشجاعته بعد أن أمده الشيخ مبارك بقليل من السلاح والذخيرة .

أراد عبد العزيز مهاجمةَ ابن رشيد فوضع لذلك خطة حكيمة تنبىء عن حنكة ومهارة حربية ، وكانت هذه الخطة تتلخص فيما يلى .

١ — أن يخرج الجيش خفيفاً بالقليل من الزاد حتى يمكنه التنقل السريع ، والتزود من قرى نجد أمر ميسور فى الطريق .

---

(١) راجع « ملوك العرب » للريحانى جـ ٢ ص ٧٢ — ٧٣ .

٢ — العمل على ألا يلتقى جيشه بجيش ابن رشيد الذى يفوقه فى العدد والعدة وجها لوجه ، حتى لا يُمَكِّنَ العدوُّ من إلحاق الضرر به ؛ وكانت طريقته فى الحرب أن يهاجم على غير انتظار فينال من العدو ، ثم يفر سراعا إلى حيث لا يتمكن ابن رشيد من تعقبه على طريقة « حرب العصابات » .

٣ — أن يوقع أولا بالقبائل البدوية الموالية لابن رشيد حتى يدخل الرعب فى قلوبهم ، وحتى يكون ذلك سببا فى انفصال البدو عن عدوه وانضمامهم إليه ؛ وهو يعرف عن هؤلاء البدو أنهم ينضمون دائما إلى من يظنون أن الغلبة له على عدوه طمعا فى الحصول على الغنيمة بالانضمام إلى الغالب .

٤ — أن تكون الرياض عاصمة ملكهم الضائع هى الهدف الحربى الذى يسعى لإصابته أولا ، فالرياض بعيدة عن مركز القوة لابن رشيد الخصم العنيد الذى يسكن فى حائل شمال نجد ، وأهل الرياض وسكان الجنوب من نجد أغلبهم يوالى السعوديين ولا يتأخر عند سنوح الفرصة المناسبة عن معونتهم .

قصد الجيش المغامر إلى الصحراء آخذاً طريقه نحو الرياض ؛ وحمل على بعض القبائل الموالية لابن رشيد ، فنال منهم على حسب الخطة الموضوعة وكانت النتيجة المنتظرة ، فانضم الكثيرون من البدو إلى جيش ابن سعود حتى بلغ نحو ألف مقاتل ، فيهم أربعمائة فارس .

وبعد مضى أربعة أشهر فى حرب مع قوات ابن رشيد تمكن هذا من حصار ابن سعود فى الصحراء ، وقطع المدد عنه من جميع الجهات ؛ حيث إنه اتفق

مع الأتراك فى الأحساء ، ومع قاسم ابن ثانى أمير قطر على قطع المؤونة عن عبد العزيز ابن سعود ، وقد كان يتمون من هـذه الأنحاء ؛ ثم والى مطاردته بجيوشه الكثيرة فى الصحراء . وفى هـذا الوقت العصيب تفرق البدو الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم فى الشدائد عن ابن سعود ، وعاد جيشه إلى ما كان عليه عند خروجه من الكويت ، وعدده أربعون رجلا فقط ؛ ولم تقف المحنة عند هذا الحد ، بل إن الأخبار وصلت إلى عبد العزيز بقطع الأتراك مرتب والده الشهرى البسيط الذى كانوا يعطونه له ليعيش به فى الكويت ؛ ووصلت مع هـذه الأخبار كتب الشيخ مبارك آل الصباح أمير الكويت ، والشيخ عبد الرحمن والد عبد العزيز يطلبان إليه الكف عما لا قبل له به من الأعمال الحربية العدائية والعودة إلى الكويت .

اجتمعت المحن وتحالفت الأخطار ، ولكن كل هـذا لم يضعف من عزم هذا الرجل المخاطر الذى قد صمم على أن يصل إلى غرضه أو يفنى دونه ، فانحاز هو وجيشه الصغير الباسل إلى واحة جبرين فى الطرف الشمالى من الربع الخالى ، وخطب رجاله قائلا لهم : لايبق منكم إلا من هو على استعداد للتضحية بنفسه فى سبيل الوصول إلى الغرض ، أما من يفضل الحياة على الموت فأولى به أن يذهب لشأنه ، ويتركنا لشأننا ! ولكن رجاله المخلصين كانوا قد تأثروا بروحه واستعدوا للتضحية ، فبايعوه جميعا على الطاعة ، وتحالفوا معه على الحياة أو الموت .

بقى عبد العزيز بعد ذلك مدة وهو يشيع عن نفسه الهزيمة ، وأنه عازم على الرجوع إلى الكويت تضليلا لابن رشيد ، فأفلحت هذه الخدعة ـ والحرب خدعة ـ وظن الناس وفيهم الخصم ابن رشيد أن ابن سعود هام على وجهه فى الصحراء بعد عجزه عن تحقيق أمنيته فى فتح الرياض ، وأن الخطر على آل رشيد من ناحيته أصبح لا يعتد به .

وفى هـــذه الأثناء كانت عيون عبد العزيز التى بثها لاستطلاع الحال فى الرياض قد وقفت على مقدار القوة التابعة لابن رشيـد فى الرياض ، وعلى المواقع المحصنة وغير المحصنة فيها ، ثم عادت إليه .

وفى أوائل رمضان سنة ١٣١٩ هـ وأواسط ديسمبر سنة ١٩٠١ م تحرك عبد العزيز ابن سعود نحو الرياض بدون أن يعلم أحـداً بقصده ، وكان يسير بالليل ويختفى بالنهار مبالغة فى الكتمان وحرصا على ألا يعلم ابن رشيد شيئا عن حركاته حتى يستعد له .

وبعد قليل أصبح على مقربة من الرياض وقد انضم إليه عشرون آخرون من أتباعهم المخلصين فى نجد ، ومن الحاقين على ابن رشيد ، فصار عدد جيشه ستين رجلا .

وصل الجيش الفاتح إلى حـدود الرياض أول الليل ، فترك ابن سعود عشرين من رجاله للاحتياط على مسافة ساعتين من المدينة بعـد أن زودهم بالتعليمات ، ثم تقدم فى الأربعـــين الآخرين حتى البساتين الواقعة خارج

سور الرياض المعروفة بالشمسية ، فترك هناك ثلاثين آخرين للردف تحت قيادة أخيه محمد ، وتسلق السور فى ظلمة الليل البهيم ومعه عشرة رجال منهم ابن عمه عبد الله بن جلوى ، وصاروا داخل المدينة التى ولد فيها ابن سعود والتى يعرف مواقعها تمام المعرفة .

قاموا بما يرونه لازما من الاحتياطات الجريئة ، ثم كمن هؤلاء المخاطرون للشيخ عجلان الوالى من قبل ابن رشيد على مقربة من باب الحصن الذى كان يبيت فيه بعد أن انضم إليهم الثلاثون الذين كانوا ينتظرون خارج السور تحت قيادة محمد بن عبد الرحمن آل سعود . وفى الصباح المبكر فُتح باب الحصن وأقبل الشيخ عجلان خارجا منه ، فباغته ابن سعود وأطلق عليه النار ، وبعد مدة يسيرة اشتبك فيها الرجال السعوديون مع رجال الحامية الموجودة بالحصن تمكن عبد الله بن جلوى من قتل الشيخ عجلان ، فبادر محمد بن عبد الرحمن إلى قطع رأس القتيل وإعلان موته والنداء بأن المدينة أصبحت لابن سعود . فأسقط فى يد رجال الحامية بعد قتل سيدهم وظنوا أن وراء ابن سعود جيشا كبيرا على أبواب الرياض ، فاستسلموا وأصبح عبد العزيز آل سعود سيد الموقف وصاحب الرياض بعد معركة قصيرة سقط فيها من رجاله اثنان وجرح أربعة .

ثم أقبل أهل المدينة يهنئونه ويقدمون إليه الطاعة ، فرحين مستبشرين بهذا الفتح ، وقد لاقوا كثيرا من ظلم ابن رشيد واضطهاده لهم لما كانوا يظهرونه من الميل إلى آل سعود .

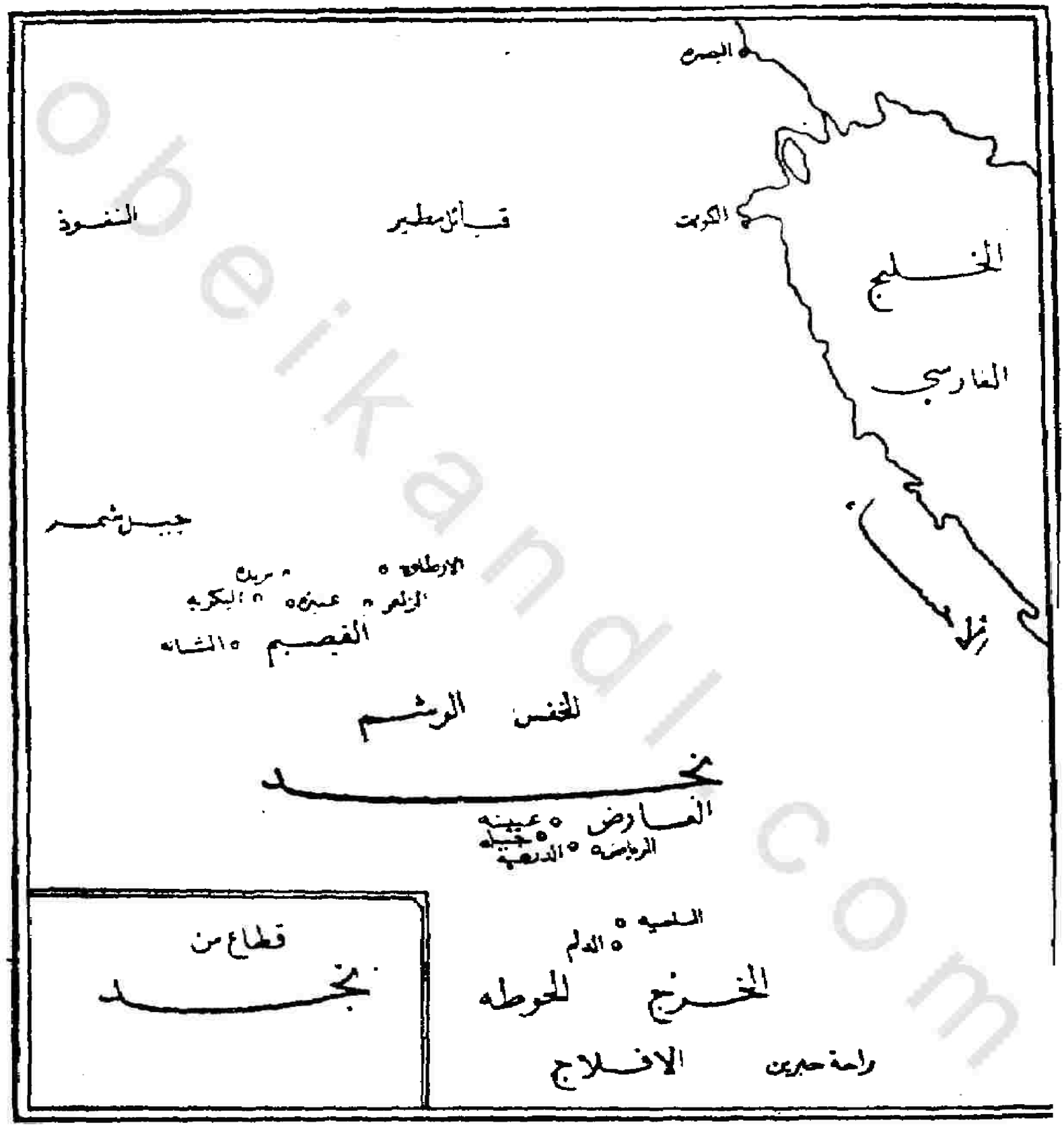
البصرة
الكويت
قبائل مطير
النفوذ
الخليج
الفارسي
جبل شمر
الارطاوية
مرين
الزلفي
عنيزة
البكيرية
القصيم
الشماسية
الخفس الوشم
نجد
العارض
عيينة
جبيلة
الرياض
الدرعية
السليمي
الدلم
المخرج الحوطة
الافلاج
واحة حريق
قطاع من
نجد

obeikandl.com

وعلى هذا الوجه تم فتح الرياض ، وهو الدعامة الأولى للمملكة السعودية الحديثة؛ وقد كان ذلك فى أوائل شوال سنة ١٣١٩ هـ وأواسط يناير سنة ١٩٠٢ م . وعلى الرغم من وجود العوامل التى ساعدت على هذا الفتح مثل موالاة أهل الرياض للسعوديين ، فإنه أشبه بأن يكون خيالا وقصة من أن يكون حقيقة واقعة ؛ ولكنها الحقيقة التى لامراء فيها، والتى تضافرت كل الرويات من المعاصرين على وقوعها (١) ؛ وهو بعد يعتبر من أروع ما عرف التاريخ فى ميدان البطولة والمغامرة .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أثر العامل الروحى فى نجاح عبد العزيز آل سعود فى تأسيس الدولة الجديدة ، وأن نقرر أن العامل الدينى كان الأساس الأول لقيام الدولة السعودية الثالثة ، كما كان كذلك بالنسبة للدولتين الأولى والثانية .

فجيش عبد العزيز فى فتح الرياض لم يكن أكثر من ستين رجلا كما رأينا ، الأربعون الذين خرجوا معه من الكويت ، وعشرون آخرون من الأتباع المخلصين انضموا إليهم فى الطريق ، فكان جيشه إذاً قليل العدد كما كان قليل العدة ؛ ولكن هؤلاء الرجال القليلى العدد والعدة كانوا كثرة قوية ، وقوة لا تغالب بفضل ما ملأ نفوسهم من قوة الإيمان بالمبادىء الدينية الإسلامية ، وبفضل اعتقادهم بأن عليهم أن يجاهدوا فى سبيل الله حتى ينتصر زعيمهم السياسى والدينى عبد العزيز آل سعود ، وكى يستأنف الحكومة الدينية

---

(١) راجع جزيرة العرب « لحافظ وهبه » ص ٢٧٢ — ٢٧٥ ، و « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزه ص ٣٦٣ — ٣٦٤ .

الوهابية فى نجد ويعيد مجدها ، فتحكم بمبادئ الدين وتنشر الدعوة الوهابية . وبمثل هذه الروح استقبل سكان الرياض وما يحيط بها زعيمهم الإمام عبد العزيز آل سعود حينما وفد عليهم فاتحا فسهلوا له المهمة ، وامتلأت نفوسهم بشراً عند ما تغلب على حامية الرياض من جيش آل رشيد ؛ ثم ساعدوه على تحصين المدينة وتمكين نفوذه فيها ، وعلى توطيد دولته والاستيلاء على بقية البلاد النجدية تباعا .

وبذلك تمكنت الدولة السعودية الثالثة وقامت أيضا على أساس من الدين .

المرحلة الثانية في تاريخ عبد العزيز آل سعود

هـذه المرحلة نعتبرها مرحلة تأسيس ، وتمكين للنفوذ ، فبعد أن تم فتح الرياض شرع عبد العزيز يستولى على المقاطعات النجدية تباعا ؛ فاستولى أولا على المقاطعات النجدية الجنوبية ؛ ثم اتجه نحو الشمال وانتصر على خصومه فى صيف سنة ١٩٠٤ م ؛ وبعد صلح ومفاوضات مع الأتراك استطاع أن يلزمهم بسحب جنودهم من نجد فى سنة ١٩٠٦ م .

ولقد سنحت لابن سعود الفرصة بعـد ذلك ليقضى على الثورات الداخلية فى نجد التى أثارها بعض المنافسين وذوى الأطماع بين القبائل النجدية ، فأصبح فى نهاية سنة ١٩٠٩ م سيد الموقف وصاحب النفوذ فى كل نجد ، ما عدا منطقة حائل التى كانت لاتزال فى ذلك الحين مقراً لآل رشيد .

وبعد أن نجح فى إصلاح نفوس البدو وتعويدهم النظام والاستقرار بتأليف جماعة « الاخوان » تطلع إلى أن يضم إلى ملكه فى نجد مقاطعة الأحساء ، فاستولى عليها وانتزعها من الأتراك سنة ١٩١٣ م ، وبذلك قوى نفوذه ، وازدادت هيبته .

كل هذه أحداث تمت فى المرحلة الثانية ، وسنفصلها فى الآتى :

الاستيلاء على القسم الجنوبى من نجد

استعاد عبد العزيز آل سعود الرياض عاصمة الدولة السعودية [1] ، وأخذ يحصنها ويبنى حولها السور الجديد استعداداً لصد هجمات ابن رشيد المتوقعة . ولكن ابن رشيد لم يهتم بالأمر كما ينبغى ولم يبادر بالهجوم على الرياض ، لأنه كان يستصغر شأن عبد العزيز ابن سعود ويحسب أن فى مقدوره القضاء عليه بسهولة فى أى وقت يشاء ، وكان كل همه بعد سقوط الرياض أن يستعد لحرب أمير الكويت ويعمل جهده للقضاء عليه ، فهو مركز القوة ، وهو الذى أمد عبد العزيز ابن سعود ، وأعانه فى الاستيلاء على الرياض .

شغل ابن رشيد مدة عن ابن سعود ، فأعطاه بذلك الفرصة ليتحصن ويتقوى ، ويعمل على بث نفوذه فى الجهات المحيطة بالرياض ، فشرع هذا يستولى على المقاطعات الجنوبية من نجد فاستولى على الخرج والأفلاج والحوطة

---

(١) اتخذ السعوديون الرياض عاصمة لهم من مبدأ قيام الدولة الثانية سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ، بعد تخريب الدرعية على يد القائد ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م ، وهى بلد مسور يقع فى منخفض فى قلب الصحراء يحيط به كثير من الأشجار والنخيل . وقد بلغت حداً كبيراً من العمران فى عهد الأمير فيصل جد الملك عبد العزيز ، ثم وقفت فيها حركة العمران وقت أن تركها آل سعود أيام محنتهم . ولما استردها جلالة الملك عبد العزيز عادت إليها الحياة ودب فيها النشاط من جديد ، وهى الآن عاصمة نجد ومقر الملك ومسكن خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، ويبلغ سكانها نحو ٢٥ ألف نسمة . راجع « جزيرة العرب » ص ٥٦ .

ووادى الدواسر ، وأصبح بذلك جميع القسم النجدى الذى يقع جنوب الرياض فى حوزته وتحت سيطرته .

وفى هـذه الأثناء استقدم عبد العزيز والده الشيخ عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الكويت ، واستقبله فى الرياض استقبالاً رائعاً ، ثم تلا ذلك مبايعة عبد الرحمن هو والوهابيون لابنه عبد العزيز بالزعامة الدينية والسياسية .

وفى ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ / يونية سنة ١٩٠٢ م [١] قدم عبد العزيز ابن رشيد حاكم حائل إلى الرياض محاولا استردادها ؛ وكان ابن سعود قد علم بهذه الحركة فاستعد لها وترك والده فى المدينة مع حامية كافية ، ثم ذهب نحو الجنوب بجيش آخر مشيعا أنه ماترك الرياض وذهب إلى الجنوب إلا فراراً من وجه ابن رشيد ؛ والحقيقـة أنه أراد بهذه الحركة تطويق العدو . فابن رشيد إذا اشتبك مع الشيخ عبـد الرحمن فى الرياض استطاع عبد العزيز ابن سعود أن يهاجمه من الخلف ، ويجعله محصوراً بينـه وبين قوات والده فى الرياض . فلما قدم ابن رشيد إلى الرياض لم يشتبك مع حاميتها ؛ بل غادرها وزحف نحو الجنوب فالتقى بالجيوش السعودية فى بلدة الدلم عاصمة مقاطعة الخرج ، وكانت الهزيمة عليه فترك الدلم ، وذهب إلى بلدة السليمية فى الجنوب ، وكان نصيبه هنا أيضاً الهزيمة ؛ ولم يسعه بعد هذا إلا ترك هذه الجهات الجنوبية لابن سعود والرحيل إلى جهات الشمال .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٥ .

الحروب فى جهات الشمال والاستيلاء عليها

مضت سنة ١٣٢٠ هـ وابن سعود فى الرياض يشمل سلطانه جميع الجهات الجنوبية ، ويعد العدة لاستخلاص الجهات الشمالية من نجد ، فلما كانت سنة ١٣٢١ هـ استنصر الشيخ مبارك آل الصباح بصديقه وحليفه ابن سعود ، وطلب إليه مساعدته ضد ابن رشيد الذى كان قد استعد لمهاجمة الكويت ، فذهب ابن سعود منفرداً إلى الشيخ مبارك فى الكويت ، ثم خرج منها مع جابر بن مبارك على رأس قوة كبيرة وقصدا نحو ابن رشيد الذى كان قد توجه إلى الرياض بجيشه واشتبك مع حاميتها فعلا ؛ ولكنه لم يلبث أن تركها وذهب نحو الشمال للقاء عبد العزيز ابن سعود وجيش آل الصباح ، وكان اللقاء عند بلدة شقرا عاصمة إقليم الوشم من مقاطعات نجد الشمالية ؛ فانتصر ابن سعود على خصمه وقطع عليه الطريق نحو الكويت ، ثم استولى تباعا على مقاطعات الوشم ، وسدير ، والمحمل .

وفى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٣٢١ هـ / مارس سنة ١٩٠٣ م عزم ابن سعود على الاستيلاء على ولاية القصيم فى الشمال ، وفصل بجيش قوى من الرياض متجها نحو عنيزة التى ترابط فيها قوات ابن رشيد ، فلما كان بالقرب منها اشتبك مع جيوش الأعداء ، وكان النصر حليفه ، فقتل الكثيرين من خصومه ، وخلص أقاربه الذين كانوا فى أسر ابن رشيد ، فعرف هؤلاء من ذلك الحين « بالعرائف » ، واقتحم عنيزة بجيوشه ، وأمر عليها من قبله آل سليم الذين

لا يزالون مخلصين له إلى الآن ، وبعد يسير تم له فتح عنيزة فى ٥ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٢ مارس سنة ١٩٠٣ م ، وبريدة فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٣ م ، وأصبح القصيم تابعاً له [١] .

الحكومة العثمانية تتدخل وتساعد ابن رشيد ضد ابن سعود

أصبح ابن سعود بعد استيلائه على المقاطعات الشمالية صاحب الكلمة النافذة فى نجد جميعها تقريباً ، فلم يبق خارجا عن دائرة نفوذه سوى حائل وما يحيط بها من جبال شمر ، حيث يسكن آل رشيد وقبائل شمر التى ينتمون إليها فكان هذا من أسباب القلق لدى الحكومة العثمانية ، ولدى الشيخ مبارك ابن الصباح أمير الكويت أيضا .

أما الشيخ مبارك فقد خشى مزاحمة هذا الفتى القوى الجرىء ولكنه لم يظهر بالمخاصمة له ، بل أخذ يدس فى الخفاء ، ويعمل فى ظلام الليل ، ملتجئاً إلى الحيلة والوقيعة .

غير أن ابن سعود كثيراً ما كان يغضى عن أخطاء الشيخ مبارك لما كان بينهما من علاقات سابقة تكونت وتوثقت أيام إقامة ابن سعود بالكويت ، « ولأن موقفهما من أعدائهما (كان) لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك

---

(١) المرجع السابق ٣٦٦ ، و« جزيرة العرب » ص ٢٧٥ ، و« تاريخ نجد الحديث » للريحانى ص ١٢٤ .

الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث [١] » .

وأما الحكومة العثمانية فإنها انزعجت حينما رأت هذا الفتى القوى الجرىء عبد العزيز آل سعود ينجح فى الاستيلاء على الرياض ، ثم فى بسط نفوذه على البلاد النجدية جنوبا وشمالا بكل هذه السهولة والسرعة ؛ ورأت فى ظهوره بعثا للخطر الوهابى الذى سبق أن أقلقها وأقض مضجعها وكلفها الكثير من الأموال والرجال ، كما رأت فى قوته واتساع دائرة نفوذه ضياعا لسلطانها وإضراراً بمصالحها فى الجزيرة العربية ؛ وخشيت إن هى تركت عبد العزيز آل سعود يستمر فى طريق القوة وسعة النفوذ أن يكون مثالا يحتذيه غيره من زعماء العرب ، فتسقط هيبتها ، ويخرج من يدها الكثير من أملاكها ، خصوصا وقد أخذ مركز الدولة فى بلاد العرب يتحرج ؛ فقد دخلت الكويت فى حماية الإنكليز كما سبق أن ذكرنا . وقد ابتدأت الفتنة تطل برأسها فى البصرة ، كما كان اليمنيون متذمرين من الحكم التركى ناقمين عليه حتى أنهم رفعوا علم الجهاد ضد الأتراك عند مبايعتهم للإمام يحيى بالإمامة فى يونية سنة ١٩٠٤ م .

كل هذا وغيره مما يتصل بخروجة المركز الدولى لدولة الخلافة العثمانية وبعدم استقرار الحالة الداخلية فى بلادها جعل السلطان عبد الحميد ورجال

---

(١) الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » ص ٢٧٨ .

حكومته يفكرون فى الأمر جديا . واستقر الأمر أخيرا على أن تقوم الحكومة العثمانية بحركة مزدوجة تصل من ورائها إلى أمرين (١) .

أولا — كسب عطف الشعوب الإسلامية ، وجمع المسلمين جميعا حول عرش السلطان عبد الحميد خليفة الإسلام والمسلمين ؛ فانتشر الدعاة للخليفة فى كل مكان ، ووزعت الأموال على الزعماء وأصحاب النفوذ حتى يرتبطوا دائما برباط الولاء للسلطان ؛ كما أظهر السلطان عطفا خاصا على أهل الحجاز وسكان البلاد المقدسة وأبدى عناية واضحة بأمور الحج وتسهيله للمسلمين ، فكلفت حكومته المهندس الألمانى ميسنر باشا « Meissner Pascha » بمد سكة حديد الحجاز (٢) تسهيلا لسبل الرزق لسكان الحجاز ولسبل الحج لسائر المسلمين ، وكان هناك غرض مستور وراء هذا ، وهو أن تكون هذه السكة الحديدية وسيلة سريعة لنقل الجنود عند اللزوم . وكذلك شجعت الحكومة التركية حركة الدعوة « للجامعة الإسلامية » ، واستجلب الخليفة عطف المسلمين الهنود وسكان شمال أفريقيا .

---

(١) راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٦٨ .

(٢) تمتد هذه السكة بين دمشق والمدينة ويبلغ طولها ١٣٠٢ كيلو مترا ، ولقد ابتدأ العمل فيها سنة ١٩٠١ م ، وتمت سنة ١٩٠٨ ، ثم افتتحتها الدولة العلية رسميا بأول قطار للمدعوين إلى هذا الاحتفال وصل إلى المدينة المنورة فى شعبان سنة ١٣٢٦ هـ . / أغسطس سنة ١٩٠٨ م ، راجع « الرحلة الحجازية » للبتنونى ص ٣٠٣ الطبعة الثانية لسنة ١٣٢٩ هـ ، وراجع أيضا All-Islam ص ٢٩ — ٣٠ . ولقد عطلت هذه السكة أثناء حرب سنة ١٩١٤ ، ولا تزال معطلة إلى الآن . ولكن إصلاحها والعمل على إعادتها صالحة للعمل كان ولا يزال موضع تفكير وبحث فى المحيط العربى الإسلامى .

وثانياً — إظهار قوة الدولة وبيان أنها قادرة على تأديب المتمردين الذين يحاولون العصيان والخروج عن طاعة الخلافة ، حفظا لهيبة حكومة الخلافة فى أعين الرعية . ولهذا رأت هذه الحكومة أن تؤدب ابن سعود حتى تقضى على الخطر الآتى من ناحيته ، وحتى يكون عبرة لكل من تحدثه نفسه بالخروج على الدولة ؛ فسارعت إلى تعضيد ابن رشيد خصم ابن سعود ، وأمدته بالمال والسلاح والذخيرة ، راجية من وراء هذا أن تقضى على ابن سعود قبل أن يستفحل أمره . وهى تعلم جيداً أنه لا يقبل أن يكون من صنائعها والمنفذين لسياستها فى الجزيرة العربية ، وتخشى أن ينحاز إلى جانب السياسة الإنكليزية فيكون الخطر على نفوذها فى هذه الأنحاء حينئذ محققا .

فأمد الوالى التركى فى العراق ابن رشيد بقوة كبيرة [1] أخذت طريقها من بادية السماوة ، وانضمت إلى جيوش ابن رشيد فى القصيم فى أواخر ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ / أوائل يونية سنة ١٩٠٤ م ؛ والتقت الجيوش التركية والرشيدية بجيش ابن سعود فى قرية البكيرية بالقرب من بريدة ، فكان القتال شديدا والموقعة حامية ، قتل فيها نحو ألف من الجيش السعودى ، ومثلهم من الأتراك ، وعدد كبير من جيش ابن رشيد ، وفيهم اثنان من أسرة آل رشيد وزعمائها وهم ماجد بن حمود وعبد العزيز الجبر . وبعد هذه الموقعة بقليل انتهز

---

(١) يقدر دونكان الجيش التركى بثمانية آلاف جندى نظامى «acht Batallion» ، مجهزة بستة مدافع ميدان ومعها الملاح الكافى ، وألفا صندوق من الذخيرة ، وعشرون حمل بعير من النقود الفضية ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص٦٨ .

ابن سعود فرصة خروج الجيش التركى فى حملة تأديبية لبعض سكان البادية وهجم على معسكر الدولة وغنم كثيرا من السلاح والذخيرة ، فاستطاع بعد ذلك أن ينتصر على أعدائه ويستولى على البكيرية ويطاردهم إلى الخبرا ثم إلى الرس ؛ وبعد مناوشات حربية دامت أربعة أشهر استطاع ابن سعود أن ينتصر انتصارا حاسما فى موقعة الشنانة فى ١٨ رجب سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠٤ م ، فهزم جيوش الدولة وابن رشيد هزيمة منكرة وغنم منهم الغنائم الكثيرة (١) .

الأتراك يغيرون موقفهم ويعملون للصلح

بعد الهزيمة المنكرة التى ألحقها ابن سعود بجيوش الحكومة التركية ، رأت (٢) هذه أن تعقد صلحا معه ، فقبلت الاقتراح الذى تقدم به الشيخ مبارك آل الصباح ، وبعد تمهيد من الشيخ مبارك اجتمع للمفاوضة فى الصلح نخرى باشا والى البصرة مع الإمام عبد الرحمن والد عبد العزيز آل سعود ، واقترح نخرى باشا الأمور الآتية أساساً للصلح :

---

(١) راجع «قلب جزيرة العرب» ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(٢) بعد أن كثرت مشاغل الأتراك ورأوا فى انتصار ابن سعود عليهم جرحا لكرامتهم ما كان أغناهم عن التعرض له فى تلك الظروف الحرجة ، بعد هذا كانوا على استعداد لقبول توسط الشيخ مبارك بينهم وبين ابن سعود بالصلح . وكذلك ابن سعود رحب بالفكرة لأنه كان فى حاجة إلى أن يهدأ ولو قليلا حتى يمكن لنفسه فى داخلية البلاد التى استولى عليها ، وليستريح بعض الوقت من عناء القتال .

١ — اعتراف الحكومة التركية بابن سعود حاكما للبلاد النجدية التى تحت يده ، وبتبعية هذه البلاد له .

٢ — أن تكون منطقة القصيم منطقة حياد بين ابن رشيد وابن سعود .

٣ — أن يحتل الجيش التركى هذه المنطقة وأن يكون مقره فى عنيزة وبريدة .

٤ — أن يكون ابن سعود نائبا عن الدولة و « قائمقام » لها فى هذه المنطقة .

رجع الشيخ عبد الرحمن إلى نجد بعد المفاوضة ليستشير ابنه وقرابته فيما يحمل من شروط للصلح واقتراحات ، وكانت الاقتراحات الخاصة بمنطقة الحياد وبقاء جيش احتلال تركى فيها غير مقبولة عند السعوديين ؛ ولكن الدولة أرادت أن تنفذ خطتها مهما كلفها ذلك من أمر ، فأرسلت القائد أحمد فيضى باشا من العراق ؛ وصدقى باشا من المدينة على رأس قوات كبيرة ، وكلفتهما الذهاب إلى نجد ، والعمل على تنفيذ خطة الصلح المشار إليها .

اتصل فيضى باشا بآل سعود وحصل الاتفاق على أن يجتمع بالشيخ عبد الرحمن فى عنيزة لإتمام الصلح ؛ وكان ذلك على غير رغبة ابن رشيد الذى كان يريد حل المسألة بينه وبين السعوديين بالسيف بمساعدة الدولة .

ثم اجتمع فيضى باشا والشيخ عبد الرحمن وتفاوضا ؛ وكاد الأمر يتم بالصلح

على الشروط السابقة الذكر ، غير أن فيضى باشا اضطر وهو فى نهاية المفاوضات وقبل الاتفاق النهائى أن يغادر نجدا إلى المدينة ثم إلى اليمن ، تنفيذا لأمر الحكومة التركية التى أمرته بالذهاب إلى اليمن واستعادة صنعاء التى كانت قد سقطت فى يد الإمام يحيى بعد حصار شديد .

ولم يوفق صدقى باشا إلى تتميم الصلح بعد أن تركه زميله إلى اليمن ، فترك الأمر ووقف موقف المتفرج منتظراً ما سيجد من الخلاف وما سيقع من الحوادث بين ابن رشيد وابن سعود .

قتل ابن رشيد وانسحاب الأتراك من نجد

وبعد سفر فيضى باشا من نجد ، ترك ابن سعود القصيم وذهب إلى قطر على سواحل الخليج الفارسى لنجدة ابن ثانى صاحب قطر ومساعدته ضد خصومه ، فساءت الأحوال فى القصيم واختلف أهله على أنفسهم وأصبحوا شيعا وأحزابا ، غالبيتهم تريد ابن سعود حاكما عليهم ، وبعضهم يريد الدولة ، وآخرون يريدون ابن رشيد .

ولما علم ابن رشيد بخروج ابن سعود من القصيم انتهزها فرصة وزحف بجيشه نحو بريدة يريد احتلالها ، فاستنجد أهلها بابن سعود فأسرع بالعودة إليهم ، وفاجأ ابن رشيد فى مكان يقال له روضة مهنا بالقرب من بريدة ، فحمل عليه حملة شديدة حتى فرق عنه أعوانه ؛ وكانت نهاية ابن رشيد القتل ، وكان ذلك فى صفر سنة ١٣٢٤ هـ / ابريل سنة ١٩٠٦ م [1] . وتولى متعب بن عبد العزيز

(١) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٤١ .

إمارة حائل بعد موت أبيه ورأى أنه من الخير له أن يعقد صلحا مع ابن سعود ، فاتفق معه على أن يتنازل عن حقوقه فى ولاية القصيم وسائر بلاد نجد فى مقابل اعتراف ابن سعود له بالإمارة على حائل وأطرافها وما يحيط بها من بلاد شمر .

أما القائد صدقى باشا فإنه لم يفلح فى سياسته بعد سفر زميله فيضى باشا إلى اليمن ، وكان ذلك سببا فى أن الدولة أبدلته بسامى باشا الفاروقى الذى قدم من المدينة إلى نجد فمر بابن رشيد فى حائل ، واتفق معه على أن تكون ولاية القصيم للدولة ، ثم التقى بابن سعود فى البكيرية وأخبره برأيه فى ضم القصيم إلى الدولة فلم يقبل ابن سعود وافترقا على خصام .

وفى شوال سنة ١٣٢٤ هـ / نوفمبر سنة ١٩٠٦ م أرسل ابن سعود إنذارا إلى سامى باشا يطلب إليه فيه الرحيل عن نجد فورا ، حيث إن أهل البلاد لا يرغبون فى حكم الدولة ، ويرون وجود الجيش التركى فى بلادهم جارحا لكرامتهم ، ويخبره بأنه سيحاربه إن لم يرحل فى الحال ؛ فقرر سامى باشا الرحيل عن نجد ، وتعهد ابن سعود بترحيل جيش العراق إلى العراق ، وجيش الحجاز إلى المدينة ، وشرع كل من الفريقين فى تنفيذ ما تعهد به ؛ فأصبح ابن سعود صاحب النفوذ المطلق فى نجد جميعها ، ما عدا حائل وما يحيط بها فإنها بقيت فى يد آل رشيد إلى حين [1] . وانتهى بذلك نهائيا نفوذ الأتراك فى القصيم وسائر نجد .

---

(١) بقيت حائل فى يد آل رشيد حتى استولى عليها ابن سعود فى سنة ١٩٢١ م كما سيأتى مفصلا .

شغل آل رشيد بالخلاف بينهم فى شأن الإمارة وأخذ يقتل بعضهم بعضا ، فسنحت الفرصة لابن سعود بأن يتفرغ لتحسين شؤونه الداخلية ، وبأن يوطد دعائم نفوذه وحكمه فى بلاد نجد ، بعد أن أصبح غير منازع فيها . ولكنه لم يكد يشرع فى ذلك وينتهز فرصة انشغال آل رشيد بأنفسهم ، حتى هاجمته الأخطار من جهات متعددة ، فقامت ثورة ضده فى الجنوب من بعض قرابته الذين يطمعون فى الحكم وفيهم « العرائف » الذين سبق أن فكهم من أسر ابن رشيد ؛ وفى الشمال ثار ضده آل رشيد بالاشتراك مع قبائل مطير تحت قيادة فيصل الدويش الذى أصبح بعد ذلك من خيرة رجال ابن سعود ، ثم انقلب ضده وحاربه حتى وقع فى أسره ونال عفوه ؛ ثم واجه الخطر أخيرا ابن سعود من جهة الحجاز حيث تقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر شقيقه سعد بن عبد الرحمن . وكانت هذه الحادثة أول الاحتكاكات بين ابن سعود والشريف حسين .

وقعت هذه الحوادث الجسام فى سنة ١٣٢٧ هـ /سنة ١٩٠٩ م [١] ووفق ابن سعود إلى حلها ، بعضها بالسيف ، وبعضها بالسياسة ، فجرد بعض القوات إلى الجنوب ، وأخرى إلى الشمال ، وتم له التغلب على الثوار وإخضاعهم بالقوة بعد أن قتل نفرا من زعماء الثورة وأسر الكثيرين ؛ ثم تدخل الشريف خالد بن لؤى زعيم واحة تَرَبَة ، وسعى فى الصلح بين ابن سعود وبين الشريف حسين ، فتم الصلح بينهما واقتدى ابن سعود أخاه سعداً من الأسر بالمال ؛ وبذلك طويت

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٧٦ .

صحيفة الخلاف مؤقتا بين نجد والحجاز ، وتغلب ابن سعود بحكمته وشجاعته على ما قام فى سبيله من صعاب .

تكوين جماعة « الإخوان »

بعد أن تغلب ابن سعود على الثورات ، وبعد أن عقد الصلح مؤقتا مع الشريف حسين لم يقنع هذا الرجل البعيد النظر بكل ما حصل عليه ، ولم يشغله النصر على أعدائه عن التفكير فى وسيلة يستطيع بها أن يقيم حكومة مركزية مسيطرة مطاعة من أفراد الرعية ؛ بل أراد أن يضع أساسا ثابتا لإصلاح أحوال الشعب ، وأن يعمل للقضاء على أسباب الخلاف بين البدو والحضر من سكان نجد ، وكل من الفريقين يبغض الآخر ويحتقره ولا يتورع من الاعتداء عليه .

نظر ابن سعود فوجد أن غالبية شعبه تتألف من البدو ، وهؤلاء قد تأصلت أخلاق الجاهلية فى نفوسهم ، وألفوا الفوضى وعدم القرار فى مكان ، فهم بهذه الحال لا يمكن الاعتماد عليهم فى تأسيس ملك دائم ، ولا يوثق بهم لا فى الشدة ولا فى الرخاء ، هم فى السلم عالة ، وفى الحرب أتباع من غلب ، متقلبون فى عقيدتهم ومعاشهم وصداقتهم وعدائهم . رأى ابن سعود أن يعالج نفوسهم بنشر تعاليم الدين بينهم ، وأن يحبب إليهم الاستقرار ويساعدهم على التوطن فى مكان ، فعمد فى سنة ١٩١٠ م إلى القيام بحملة إصلاحية قوامها العلماء الدينيون الذين انبثوا بإرشاده وتوجيهه فى سائر أنحاء نجد بين البدو

وأخذوا يدعونهم إلى ترك ماهم فيه ، ويطلبون إليهم القيام بالواجب الدينى نحو الخالق ونحو إخوانهم من بنى الإنسان ، ويحببون إليهم العمل والقرار فى مكان .

وبعد جهد صادق مشكور أفلح الدعاة فى دعوتهم ، وأخذ البدو يسكنون فى القرى التى بنيت لهم وسميت بالهِجَر ، وكانت أول هِجْرَة بنيت هجرة الأرطاوية ، بنيت على الطريق بين الزلفى والكويت سنة ١٣٣٠هـ/سنة ١٩١٢ م وسكنها فيصل الدويش وجماعته من بنى مطير ، وأصبحت فى بضع سنوات مدينة عامرة تحوى بين جدرانها نحو عشرين ألفا من السكان ، ثم تتابع بناء الهجر حتى أصبحت تزيد عن المائة (١) بمساعدة ابن سعود . وكان البناء بسيطا والتكاليف قليلة ؛ تحفر البئر ، ويبنى المسجد الذى يعتبر منتدى القرية ومدرستها ، وتبنى البيوت بسرعة وباقل التكاليف .

فانتقل البدو بهذا من حياة الجاهليه والفوضى إلى حياة جديدة ، وألف الله بين قلوبهم بفضل الدين فأصبحوا بنعمته إخوانا ، ولهذا تسموا بالإخوان ؛

---

(١) يقدر الشيخ وهبة فى «جزيرة العرب» ص ٣١١ عدد الهجر « بنحو ستين هجرة » ؛ ويقدرها الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٣٦ ، ص ٤١٢ — ٤١٤ بنحو السبعين . ولكن فؤاد حمزة فى «قلب جزيرة العرب» ص ٣٧٥ يقرر أن هذا التقدير أقل من الواقع بكثير « فقد ورد فى كشف الهجر التى حضر مندوبوها اجتماع الجمعية العمومية التى عقدت فى الرياض فى جمادى الأولى عام ١٣٤٧ هـ ، اسم ١٢٢ هجرة »

كما سموا قراهم التى استقروا فيها هجرا لأنهم هاجروا باعتناقهم لمبادىء الإسلام الصحيحة وسكناهم فيها من الفوضى إلى النظام ، ومن حال تشبه الجاهلية الأولى إلى حال الإسلام . وكانت هجرتهم إلى هذه القرى فى مبدأ الأمر دينية محضة وعلى صورة مبالغ فيها ؛ فلقد باعوا إبلهم ، وشرعوا يتفرغون لدراسة الدين فى المساجد حتى أصبحت غاصة بهم . فأخذ العلماء النجديون بأمر ابن سعود يكافحون هذا التطرف البعيد عن الدين وتعاليمه ، ويصدرون الفتاوى الشرعية بضرورة العمل والكسب من التجارة والزراعة مبينين أن هذا لا يتنافى مع العمل للآخرة ، ولا مع أحكام الدين الذى من تعاليمه « إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

وبهذه الطريقة الناجحة وبعبقرية ابن سعود الفذة أفلحت الدعوة ، واستطاع جلالته أن يغير من نفسية البدو وأن يصلح من حالهم ، فأصبحوا جيش ابن سعود الذى لايقهر ، وعدته التى يعتمد عليها فى الملمات والخطوب ؛ وأصبحت الهجر معسكرات حربية منتشرة فى جميع أنحاء البادية ، يسكنها جيش قوى قد أخذ نفسه بالطاعة التى لاحد لها لقائده وزعيمه ؛ كما أصبحت هذه الهجر مدارس يتعلمون فيها الدين والخلق وترك الخرافات والبدع ، ويحيون فيها حياة الطهارة والفضيلة والإيمان ، ومستعمرات زراعية ومناطق للعمل موزعة فى أنحاء نجد ؛ فغير ابن سعود من طبيعة الصحراء بمثل ماغير من طبائع السكان . وفوق هذا فقد كانت حركة الإخوان الخطوة الأولى فى طريق العمران والحياة المدنية الدائمة ، وحياة الدولة الجديدة التى أسسها ابن سعود .

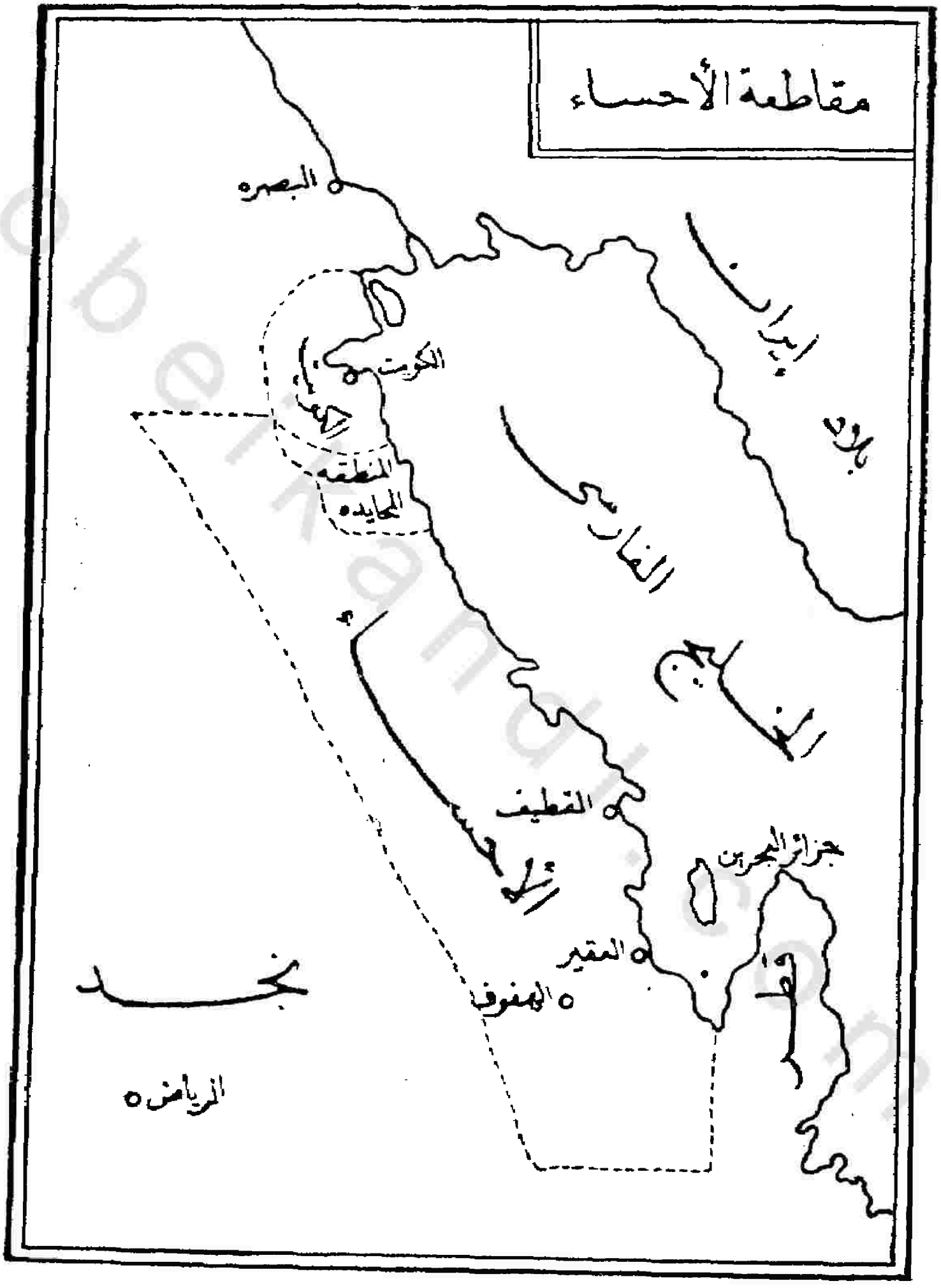
مقاطعة الأحساء
البصره
الكويت
المنطقه المحايده
القطيف
جزائر البحرين
العقير
الهفوف
نجد
الرياض

obeikandl.com

الاستيلاء على الأحساء

كانت مقاطعة الأحساء الواقعة جنوب الكويت وشمال قطر على الخليج الفارسى تابعة لآل سعود [١] ، فاستولى عليها الأتراك سنة ١٨٧١ م فى أواخر العصر الثانى للدولة السعودية أيام الاضطراب الداخلى والخلاف بين أبناء فيصل ، وأصبحت من ذلك الحين تابعة لولاية البصرة . فلما استعاد عبد العزيز ابن سعود الرياض ، واستولى على المقاطعات النجدية فى الجنوب والشمال ، وتم الصلح بينه وبين الأتراك ، وتوطد مركزه فى داخل نجد ، أخذ يتطلع للاستيلاء على الأحساء وضمها إلى ملكه . وكانت خطته التى رسمها لنفسه بعد نجاحه فى فتح الرياض أن يستولى على كل مايمكنه الاستيلاء عليه من أملاك الدولة فى الجزيرة ؛ وفى سنة ١٩١٣ م سنحت الفرصة وشغل الأتراك بالحروب البلقانية ، واجتمع لديه كثير من الأسباب التى جعلته ينتهز الفرصة السانحة ويضم الأحساء إلى ملكه .

---

(١) دخلت الأحساء فى ملك السعوديين فى العصر الأول للدولة ، وفى عهد عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد قائده وولده سعود الكبير سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م . وبعد هدم الدرعية والقضاء على الدولة الأولى سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م استولى المصريون على الأحساء فأصبحت تابعة لدولة الخلافة ،وظلت كذلك حتى استردها فيصل بن تركى فى عهد والده وفى العصر الثانى للدولة السعودية ؛ ثم خرجت من يد السعوديين مرة أخرى وقت الخلاف بين أبناء فيصل ، فاستولى عليها مدحت باشا وألحقها بولاية البصرة .

راجع « جزيرة العرب » ص٨٣ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ ، ٣٣٦ .

وهذه الأسباب المشار إليها هي :

١ ـ كانت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود قد توترت ، وكانت العداوات قد بلغت أشدها ؛ « فقد حرضوا عليه الشريف حسين ، وابن رشيد وابن السعدون ، واستغووا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعجمان في الأحساء ، وبحرب في أطراف الحجاز »[١] . فمن المعقول ، وقد أصبحت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود على هذه الحال ، أن يجازيهم على موقفهم هذا منه ، وأن يثبت لهم قوته وخطره باستيلائه على الأحساء .

٢ ـ انحصار ابن سعود في قلب الجزيرة ، وحاجته للمنفذ الذي يصرف منه تجارة نجد ، وخاصة بعد أن ضيق الشريف حسين على النجديين ، وسد في وجههم طريق الحجاز ؛ فباستيلائه على الأحساء يجد هذا المنفذ ، ويسترد جزءا من أملاكهم القديمة .

٣ ـ كانت الأحساء قاعدة الأتراك في الأعمال الحربية والسياسية بالجزيرة ، وكثيراً ماصدرت منها المساعدات لابن رشيد في حروبه ضد ابن سعود ، فجدير بهذا إذاً أن ينتهز الفرصة ويستولي على هذه القاعدة المهمة .

٤ ـ كان الثوار من قبائل العجمان الضاربة على حدود الأحساء كثيراً مايعتدون على القوافل النجدية التجارية الذاهبة إلى الكويت أو القادمة منها ،

---

(١) الريحاني ص ١٨٤ من « تاريخ نجد الحديث » .

ثم يفرون إلى الأحساء ، فواجب ابن سعود أن يستولى على الأحساء ؛ حتى يسد على هؤلاء سبل الإجرام ويؤمن طريق التجارة لبلاده .

اجتمعت هـذه الأسباب ، فجعلت ابن سعود يعد العدة لفتح الأحساء ؛ ففى ربيع الثانى سنة ١٣٣١ هـ / مارس سنة ١٩١٣ م تحرك بجيشه البالغ نحو ستمائة مقاتل من الرياض متجهاً نحو الشرق وهو لايعلم أحداً بقصده ولا إلى أين يريد . ولما قارب الحدود النجدية من جهة الجنوب الشرقى قام بتأديب بعض المذنبين من بنى مرة ؛ ثم سار بالجيش حتى ماء الخفس بالقرب من حـدود الأحساء ، وأمر الجيش بالتوقف هناك . وبعـد ذلك ذهب هو فى جماعة من رجاله إلى الأحساء مظهراً أنه يريد أن يمتار ويشترى الأرزاق ؛ وهو لايريد فى الواقع إلا أن يدرس المواقع ، ويرى الأحوال فى الأحساء بنفسه ، حتى يمكنه أن يضع خطة يستطيع بها الاستيلاء على هذه الأنحاء بسهوله . وبعد أن تم الغرض وشاهد المواقع وقدر القوات التركية هناك عاد إلى ماء الخفس ، ثم إلى الرياض مبالغة فى التعمية . وفى ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ / ١٣ ابريل سـنة ١٩١٣ م كان ابن سعود وجيشه يحيطون بأسوار قلعـة الـكوت (١)

---

(١) هـذه القلعة بناها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سـنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م ، وقت أن فتح مدينة الهفوف وانتصر على صاحبها ابن عريعر .

راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ .

ويذكر الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » هامش ص ٨٠ أن كلمة « الـكوت » كلمة برتغالية بمعنى القلعةوأنها من الـكلمات البرتغالية التى كثر استعمالها فى هذه المناطق =

واستولى عليها بسهولة ؛ ثم قبض على أفراد الحامية التركية ورحلهم ، ووضع يده على الهفوف والقطيف والعقير وسائر أنحاء الأحساء (١) .

ثم فتح الأحساء ، وفك عبد العزيز ابن سعود الحصار الذى كان يحيط به فوجد منفذاً إلى البحر ، واتصل مباشرة بالسياسة الانكليزية ؛ وأصبح بإخضاع الأحساء لحكمه يشترك اشتراكا فعليا فى توجيه السياسة فى دائرة الخليج الفارسى ؛ وفوق هذا كله فقد حصل ابن سعود بفتح الأحساء على أول مورد منظم للدولة بواسطة الرسوم الجمركية ، وابتدأ عهداً جديداً فى القوة والحكم .

أما الأتراك فقد كان موقفهم بعد ضياع الأحساء من يدهم موقفاً عجباً غير منتظر ؛ فبدل أن يعملوا على طرد ابن سعود من هذه الولاية ، ويحاربوه حتى

= بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض المناطق هناك . ويقول الشيخ وهبه أيضاً فى نفس الصحيفة إن ارتفاع سور الكوت يبلغ ٢٤ قدما ، وإن إبراهيم باشا بنى عليه أبراجا لحماية البلد بعد استيلائه على هذه الجهات .

(١) كانت الحامية التركية التى فى قلعة الكوت بالهفوف تقدر بألف ومائتين من الجنود ؛ ولكن ابن سعود فاجأهم ، وتسلق رجاله السور بواسطة جذوع النخل التى حملوها معهم لهذا الغرض . ولما دخل هو ورجاله المدينة ذهبت فرقه الثلاث إلى الأماكن التى عينها لها ؛ ثم أمر أحد الجنود بأن يصعد إلى السور ويعدو عليه منادياً « الملك لله ثم لابن سعود ، من أراد العافية فليلزم مكانه » فاستبشر الناس بذلك وسلموا عليه بالطاعة . أما الحامية فلم يسعها بعد مناوشات غير مجدية إلا أن تستسلم للفاتح . راجع « تاريخ نجد الحديث » ص١٨٧ — ١٨٨ ؛ و Die Auferstehung Arabiens ص١٠٦ — ١٠٧ .

ينتزعوها من يده ، بادروا إلى الاعتراف به حاكما لنجد ، وعينوه « متصرفاً » من قبلهم على الأحساء ، ومنحوه ألقاب الشرف ، بعد مفاوضات جرت بينه وبين الوالى التركى فى البصرة . والباعث الذى جعل الحكومة التركية تقف هذا الموقف هو أنها كانت عاجزة عملياً عن حرب ابن سعود فى ذلك الوقت الذى خرجت فيه منهوكة القوى من الحروب البلقانية ؛ ثم إنها أرادت أن تستغل الموقف لمصلحتها على أى وجه ، فرأت أن تكتسب عطف ابن سعود وولاءه ، وقد برهن على أنه رجل قوى ؛ فبدل أن تخاصمه على غير طائل ، وتعطى بذلك الانكليز فرصة ليضموه إلى صفوفهم عمدت إلى الاعتراف به حاكما لنجد ، ثم عينته نائباً عنها فى الأحساء الضائعة كما سبق أن ذكرنا (١) . وفى هذا اعتراف عملى بضم الأحساء إليه ، لأنه أصبح يدير الحكم فى هذه القاطعة ، ويتصرف فى أمورها على أنها جزء من أملاكه ، وكما تقتضى مصلحته .

موقف ابن سعود بعد فتح الأحساء

تغير موقف ابن سعود بفتح الأحساء كما ذكرنا ، فتوطد مركزه فى داخل بلاده ، وازداد هيبة فى أعين البدو وأمراء العرب بانتصاره على الدولة ، واعترافها

---

(١) كان تصديق الحكومة العثمانية على الاتفاق الذى تم بين ابن سعود بعد فتحه للأحساء وبين وفدها المؤلف برئاسة السيد طالب النقيب فى الأيام السابقة لبدأ الحرب العظمى سنة ١٩١٤م . ولذلك فقد حالت الحرب دون تنفيذ هذا الاتفاق تنفيذاً شاملا راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٣ .

به على وجه يحفظ كرامته . واستطاع الانكليز أن يتصلوا به مباشرة ، وأن يدخلوا معه فى مفاوضات لتسوية العلاقات بينهم وبينه .

ولكن ابن سعود على الرغم من انتصاره وتوطد مركزه أصبح بعد ضم الأحساء فى مركز دقيق ، فلقد غدا فى ملتقى التيارات السياسية المختلفة ، وكل منها يدفعه بقوة وعنف إلى اتجاه معاكس لاتجاه الآخر . فهذه انكلترة القوية صاحبة النفوذ فى الخليج الفارسى أصبحت جاراً له من جهة الشرق فى الخليج ، ومن جهة الشمال الشرقى فى إمارة الكويت المشمولة برعايتها والخاضعة لنفوذها ؛ وهى تطلب إليه أن يتعاقد معها وينضم إليها فى سياستها ضد الأتراك . وهذه تركيا تتودد إليه فى الظاهر ، وتسوى علاقاتها معه فتقف منه موقفها المعروف بعد أن انتزع من يدها ولاية الأحساء ؛ ثم هى لاتزال راضية عن أعمال خصوم ابن سعود العدائية ، فهى تشجع جاره من جهة الشمال وخصمه ابن رشيد وتمده بالمال والسلاح ؛ كما أنها تنظر بعين الرضى إلى مايقوم به جاره من جهة الغرب الشريف حسين من محاولات يبغى بها التوسع فى نجد .

ولم تلبث الحرب الكبرى الأولى أن قامت ، فتحتم على ابن سعود أن يختار لنفسه ، وأن يحدد موقفه ؛ فحاول فى المبدأ أن يؤلف جبهة عربية تعمل لخير العرب ولصالح الوطن المشترك ، وسعى لدى أمراء العرب ليتحدوا ويعملوا يداً واحدة فى تلك الظروف العصيبة ؛ ولما لم يجد أذناً سميعة لندائه صمم على أن

يعمل منفرداً متوخياً فى ذلك مصالحه الخاصة ، وساعياً وراء الخير لبلاده [١] .

تقدمت إليه انكلترة ـ كما قلنا ـ تطلب إليه أن ينضم إلى صفوفها وتمنيه المساعدة ، فأرسلت إليه فى مبدأ الحرب المستر شكسبير قنصلها العام فى الخليج الفارسى ، وكلفته أن يطلب منه الدخول مع الانكليز فى حرب الأتراك ، وأن يحرضه على حرب ابن رشيد الموالى للأتراك ، ويعده المساعدة بالمال والسلاح .

فرأى ابن سعود أن يقف فى تلك الحرب موقف الحياد المشبع بروح الود نحو الانكليز ، فيكتسب بذلك عطفهم ومساعدتهم المالية والحربية ضد خصمه ابن رشيد ، ويحتفظ بقواه فى داخل بلاده ليستخدمها عند سنوح الفرصة لحسابه الخاص . وقبل الانكليز منه ذلك ، وكانت النتيجة أيضاً فى صالحهم ، فقد أمنوا جانبه أثناء الحرب ، وأخرجوه من صفوف الأتراك أعدائهم .

اتفق الانكليز معه على أن يقف موقف الحياد ، ودفعوا له شهريا خمسة

---

(١) كتب ابن سعود إلى الشريف حسين ، وابن رشيد ، وابن الصباح يقترح عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التى ينبغى اتباعها ويقول لهم « علنا نتفق فننقذ العرب من أهوال الحرب ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » . فكان موقف ابن رشيد موقفاً واضحاً حيث كتب بالجواب الصريح وقال « إنى من رجال الدولة فأحارب إذا حاربت وأصالح إذا صالحت » . أما الشريف حسين والشيخ مبارك آل الصباح فقد كان موقفهما مشوبا بالالتواء وعدم الصراحة . وترتب على هذا كله أن ذهبت دعوة الاتحاد والتفاهم التى بعث بها ابن السعود لأمراء العرب أدراج الرياح .

المرجع السابق ص ١٩٦ — ١٩٧ ؛ و « جزيرة العرب » ص٢٧٦ .

آلاف من الجنيهات ثمناً لهذا الحياد الذى كان فى صالحهم كما بينا ؛ ثم أخذوا يحرضونه على حرب ابن رشيد هذا الخصم المشترك ، فهو يعادى ابن سعود صديقهم ، ويوالى الأتراك خصومهم [١] .

موقعة جراب وثورة العجمان

وحينما رأى الأتراك أن المستر شكسبير القنصل الانكليزى قد وصل إلى بلاط ابن سعود ، وأن ابن سعود يسمع لنصحه ويفاوضه ساءهم هذا ، فأمدوا ابن رشيد بالسلاح والمال ، وجعلوه يتحرك بجيشه لحرب ابن سعود ، فلم يكن من ابن سعود إلا أنه استعد للقاء العدو ، والتقى الجيشان بجراب فى الجهة الشمالية الشرقية من نجد ، وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ / يناير سنة ١٩١٥ م [٢] . وقعت المعركة ولكنها لم تكن فاصلة ، فلقد أصيب كل من الفريقين المتحاربين بالخسائر الفادحة ، وقتل المستر شكسبير ، وقد كان

---

(١) يقول الريحانى : « الحقيقة التاريخية هى أن ابن سعود أقام فى البدء (بدء الحرب) على الحياد ، فلم يحارب الحسين كما أراد الترك ، ولم يشترك فى محاربة الترك بالعراق كما أراد الانكليز ، ولامنع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال إلى إخوانهم الأتراك فى اليمن » . راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٩ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

يحارب فى صفوف ابن سعود ويدير أثناء المعركة المدفع الوحيد الذى يملكه [١] ؛ وذهب كلا الفريقين بعد الموقعة بمن بقى من جنده إلى حيث أتى .

انتهزت قبائل العجمان الضاربة بين نجد والأحساء فرصة خروج ابن سعود من هـــذه الموقعة منهزما وثارت ضده . وكان العجمان يبغون بثورتهم على ابن سعود وخروجهم عليه التحرر من حكمه ، والعودة إلى حالتهم الهمجية الأولى التى قد ألفوها ولا يطيقون غيرها ؛ وقد كان ابن سعود قبيل موقعة الجراب قد أدبهم ونال منهم بعد أن اعتدوا على ابن الصباح أمير الكويت وعلى أهل الكويت بنهب إبل لهم .

ثار هؤلاء العجمان لهذه الأسباب ، وبتحريض من بعض أقرباء ابن سعود المنافسين له والطامعين فى الملك ؛ فاشتد خطرهم ، وحاصروا الهفوف عاصمة الأحساء مدة ؛ ثم فكوا حصارها ، وأخذوا يعيثون فى الأرض فسادا .

ولما وصلت أخبار الثورة إلى ابن سعود ، وهو فى طريق عودته من الموقعة ، كتب إلى والده بالرياض ، وإلى الشيخ مبارك ابن الصباح بالكويت يطلب منهم المعونة والمدد لحرب الثوار ؛ فأرسل إليه الشيخ مبارك ابنه سالماً فى بعض

---

(١) راجع Geschichteder islamischenVölker لبروكلمان ص ٤٣٠ . ويقول الريحانى إن شكسبير رجا ابن سعود أن يكون أحد جنوده بالمعركة ، فقبل ابن سعود بعد إلحاح . « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ — ٢٠٠ .

الرجال [١] ، ووصلته الأمداد من والده ؛ فجمع قواه واشتبك مع العجمان فى عدة حروب ، حتى استطاع بعد عناء وخسارات كبيرة ، وبعد أن جرح جراحات بالغة أن يشتت شملهم ، وأن يلجئهم إلى الهرب والفرار من وجهه ؛ ولكنه لم يستطع القضاء على ثورتهم والتنكيل بهم إلا فى السنة التالية سنة ١٩١٦ م .

وفى أثناء مطاردة ابن سعود للثوار قدم السير برسى كوكس القنصل البريطانى الجديد وخلف المستر شكسبير إلى القطيف ، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابلته للحديث معه فى أمور هامة ؛ فذهب إليه والتقيا بجزيرة دارين تجاه القطيف ، واتفقا بعد مفاوضة على معاهدة القطيف التى وقعت فى صفر سنة ١٣٣٤ هـ/ ديسمبر سنة ١٩١٥ م ، والتى دخل بمقتضاها ابن سعود فى الحماية الإنجليزية وسلك بها السبيل التى سلكها قبله غيره من أمراء العرب .

معاهدة القطيف [٢]

تشتمل هذه المعاهدة على سبع مواد ، المادة الأولى منها تنص على اعتراف

---

(١) كان عدد الرجال الذين أمد بهم الشيخ مبارك ابن سعود لايتجاوز ثلثمائة وخمسين رجلا ، ولم يكن الشيخ مبارك مخلصا فى هذه المعونة ، فقد ظهر أنه أوصى ابنه وكتب إليه بالتواطؤ مع الثوار وخيانة ابن سعود .المرجع السابق ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) راجع نص المعاهدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب :

الحكومة البريطانية بابن سعود ، وخلفائه من بعده حكاما لنجد والأحساء وتوابعها . والثانية تنص على حماية الإنكليز له من الاعتداء الخارجي . والثالثة والرابعة تقيدانه فى معاملاته مع الدول الأخرى وتحرمان عليه أن يتعامل أو يعقد الصلات مع أى دولة أخرى إلا بمشورة الإنكليز ورضائهم . والخامسة يتعهد فيها ابن سعود بحرية المرور فى بلاده ، وبالحماية للرعايا الإنكليز المسلمين أثناء ذهابهم إلى الحج وعودتهم منه . وفى السادسة يتعهد بعدم التعدى على الإمارات العربية الواقعة على الخليج الفارسى ، والمحمية من الإنكليز . وفى المادة السابعة يتفق الطرفان على عقد معاهدة أخرى أكثر تفصيلا فى المستقبل .

وبقيت هذه المعاهدة أساساً للمعاملة بين الطرفين حتى تغيرت الأحوال وألغيت سنة ١٩٢٧ م ، وأبدلت بمعاهدة جدة التى أثبتت استقلال ابن سعود ، والتى سنتكلم عنها فيما بعد .

obeikandl.com

المرحلة الثالثة فى تاريخ عبد العزيز آل سعود

أصبح ابن سعود بمعاهدة القطيف متعاهداً مع الإنكليز ، داخلا فى حمايتهم ، ملزما برعاية مصالحهم وعدم الخروج عليهم ؛ ولكنه ـ كما قلنا ـ قد حدد موقفه فى الحرب الكبرى الأولى وصمم على أن يقف موقف الحياد ؛ وقبل الإنكليز منه ذلك ورضوابه . أما الأتراك فقد توددوا إلى ابن سعود عقب استيلائه على الأحساء بما رأينا ؛ ثم شرعوا يعرضون عليه إمارة مكة [1] بعد أن رأوا الشريف حسين يتحرك نحو الثورة عليهم والانفصال عنهم ، وبعد أن شعروا بمفاوضته مع الإنكليز ، يبغون بذلك أن يجذبوا أمير نجد نحو صفوفهم . ولكنه لم يقبل هذا العرض ، لأنه يعرف أنه سيغضب بذلك الإنكليز ، وليس من صالحه أن يخاصمهم ؛ كما أنه يعرف أن الأتراك سوف لايستطيعون فى محنتهم تنفيذ ما وعدوا به . كل هذه العوامل جعلته يحدد موقفه على الوجه السابق ؛ فدخل بذلك ابن سعود فى مرحلة جديدة فى تاريخ حياته ، وتاريخ دولته ، كانت فى مبدئها مرحلة استجمام وانتظار حتى انتهت الحرب فى سنة ١٩١٨ م ؛ ثم تحولت إلى مرحلة تمكين النفوذ وبسط السلطان على المناطق المجاورة لحماية الأملاك السعودية ، وتوسيع رقعتها ، ولاتقاء خطر المنافسين والخصوم من زعماء الجزيرة العربية .

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٣٢ .

وجه ابن سعود كل همه إذاً إلى تسوية حسابه مع جيرانه ابن رشيد والشريف حسين ؛ ولقد أخذت علاقاته بهما تتطور أثناء الحرب وبعده حتى استقرت أخيراً ، وتمت له الغلبة عليهما واستولى على حائل سنة ١٩٢١ م وعلى جميع بلاد الحجاز فى نهاية سنة ١٩٢٥ ؛ فأصبح زعيم العرب وملك نجد والحجاز والملحقات .

وإليك تفصيل الحوادث والحروب التى وقعت بينه وبين هؤلاء بعد معاهدة القطيف إلى نهاية هذه المرحلة .

ابن سعود وابن رشيد

وقف آل رشيد فى الحرب الكبرى الأولى إلى جانب الأتراك ، فأمدهم هؤلاء بالمال والسلاح ، وأعانوهم ضد ابن سعود حليف الإنكليز . ورأى الإنكليز من ناحيتهم أن يعملوا للقضاء على آل رشيد أصدقاء أعدائهم الأتراك ، فأخذوا يحرضون ابن سعود لقتالهم ، ويمدونه بالمساعدات حتى يقوم بالمهمة ويقضى عليهم ؛ وهو أمر محبب إلى نفسه ، فهو يتوق إلى التفرد بحكم نجد ، ويريد سحق العدو الرابض بحائل .

مضت سنة ١٩١٦ م بعد عقد المعاهدة وابن سعود فى الرياض ، ولم يقم بحروب مع آل رشيد ؛ وفى أواخر سنة ١٩١٧ م استبطأه الإنكليز وطلبوا إليه على لسان وفدهم التعجيل بحرب هؤلاء ، فوعد ابن سعود بتلبية هذه

الرغبة ؛ وفى سنة ١٩١٨ حضر المستر فلبي أحد الموظفين الإنجليز بالبصرة [١] إلى البلاط السعودى بالرياض موفداً من قبل حكومته يطلب الوفاء بالوعد فى حرب آل رشيد ؛ فتحرك ابن سعود بجيشه نحو حائل بعد فشل المحاولات التى قام بها مشائخ شمر فى سبيل الصلح والتوفيق بين ابن سعود وابن رشيد ، وبعد أن رفض هذا الأخير شروط الصلح التى اشترطها ابن سعود ، والتى كانت تحد من سلطان آل رشيد .

وصل ابن سعود إلى جبال شمر بالقرب من حائل ، وحارب ابن رشيد وانتصر عليه ؛ ثم عاد إلى الرياض بعد أن وجد أن حصار حائل سوف لايفيده شيئا . وبعد ذلك وردت الأخبار بانتصار انكلترا وحلفائها فى الحرب ، وبوقف القتال ، وعقد الهدنة ، والشروع فى مفاوضات الصلح ؛ فتوقفت حركات القتال أيضاً فى جزيرة العرب .

ثم كانت صلات ابن سعود بآل رشيد بعد انتهاء الحرب الكبرى محدودة ، ومنظمة بواسطة معاهدات الصلح التى عقدها معهم ، ولكن آل رشيد كانوا على خلاف شديد فيما بينهم ، وكانت حكومتهم تتغير وتتبدل فى لحظات قصيرة

---

(١) اعتنق المستر فلبي فيما بعد الإسلام ، وسمى نفسه الحاج عبد الله فلبي . ولقد حاز ثقة صاحب الجلالة ابن سعود ؛ وهو يتوسط لديه وله فى كثير من الأعمال التجارية والسياسية ويقضى أغلب أيامه فى بلاطه . ويتشكك بعض الناس فى اسلام هذا الرجل وإخلاصه للعرب ، راجع ص ٥١ من كتاب « جولة فى ربوع العالم الإسلامى » لثابت .

وكثيراً ما كان يتحكم فى أمرهم العبيد والنساء فى قصر آل رشيد . وكانت كل حكومة تتجدد بحاجة إلى الاتصال بابن سعود ، وتسوية علاقاتها معه ، فخشى ابن سعود عاقبة هذا الاضطراب فى حائل ، واصبح يفكر فى علاج هذه الحال ، وهل علاجها يكون إلا بالسيف والقضاء على حكومة آل رشيد وضم أملاكهم إليه ؟ !

اجتمعت الأسباب الداعية للقضاء على آل رشيد لدى ابن سعود ، فلقد أخذت العلاقات بينه وبين الشريف حسين تسوء ، وأخذ الشريف حسين على الرغم مما كان بينه وبين آل رشيد من عداوة أثناء الحرب الكبرى يتودد إليهم ويجيب رغبتهم فيساعدهم بالمال والسلاح ليثوروا على ابن سعود ويحاربوه ، ونجده يلح عليهم فعلا فى سنة ١٩٢٠ م فى مطالبتهم بحرب السعوديين (١) ؛ وفوق هذا فلقد أخذ آل رشيد يسعون من ناحيتهم فى تحسين علاقتهم بالإنكليز فى العراق ، ويعملون لعقد صلح معهم ، وهذا مالا ينظر إليه ابن سعود بعين الرضا والاطمئنان ، ثم أخذوا أيضاً يعملون للاتفاق مع آل الصباح أمراء الكويت ضد نجد . واخيراً حدث ماانضم إلى هذه الأسباب فقواها وجعل ابن سعود يعجل بضربته القاضية ، وذلك أن الحكومة الإنكليزية رأت فى سنة ١٩٢١ م إرضاءاً للشريف حسين وأبنائه ، وتقريراً لسياستها فى الشرق العربى ، رأت أن تنشىء مملكة العراق وإمارة شرق الأردن ، وأن تجعل

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٠ — ٣٨١ ؛
Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٥٤ .

الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكا فى الأولى ، وأخاه الأمير عبد الله أميراً فى الثانية. فحضر المستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الحالى ، ووزير المستعمرات فى الحكومة الإنكليزية إذ ذاك من لندن ،وعقد « مؤتمر الشرق الأدنى » بالقاهرة والقدس فى شهرى مارس وأبريل من سنة ١٩٢١ م ،وقرر هذا المؤتمر قيام المملكة العراقية ، وإمارة شرق الأردن ، وإسنادهما إلى أبناء الشريف حسين كما ذكرنا [١] ، وأصبح ابن سعود محاطا بالأشراف من جهات عدة ، وله معهم حدود مشتركة فى العراق ، وشرق الأردن ، والحجاز ، فرأى نفسه مضطراً للقيام بحركة سريعة يستولى بها على حائل ويقضى على آل رشيد ، حتى يستطيع التفرغ لمواجهة أعدائه الأشراف الأقوياء الذين أصبحوا يطوقونه ويحيطون به من ثلاث جهات .

سقوط حائل والقضاء على آل رشيد

جهز ابن سعود جيشاً قوياً [٢] وجعله فرقتين ، عهد بقيادة إحداهما إلى أخيه وشريكه فى فتح الرياض محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، وبقيادة الأخرى إلى ابنه وولى عهده الآن الأمير سعود ؛ ثم أمر أخاه بالذهاب إلى حائل رأساً

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٣ — ٣٨٤ ؛
Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٦٣ .

(٢) يقدر الريحانى هذا الجيش بعشرة آلاف مقاتل ؛ راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٥٠ .

وحصارها ، وابنه بالذهاب إلى حيث تسكن قبائل شمر فى المكان المعروف بجبال شمر شمال حائل ومهاجمة هذه القبائل وتشتيت شملها ، وكلفه أن يتوجه إلى حائل بعد القيام بمهمته ويشارك فى حصارها حتى تسقط فى يد الجيش السعودى .

ذهب الأمير محمد إلى حائل وحاصرها ، وبعد مدة انضم إليه الأمير سعود بعد القيام بمهمته السابقة الذكر ؛ ولكنهما لم يستطيعا تطويق حائل من جميع الجهات ولا تضييق الحصار عليها مع المقاومة الباسلة التى أبداها أهلها . وعلى الرغم من وقوع الخلاف بين آل رشيد فى هذا الوقت الحرج ، ومن فرار الأمير عبد الله بن متعب أمير حائل إلى معسكر الأمير سعود بن عبدالعزيز ، استطاع محمد بن طلال الذى خلف الأمير الفار على المدينة أن يواصل الدفاع عنها ويصمد فى وجهه المغير مدة طويلة ، حتى استبطأ ابن سعود جيشه فى القيام بالمهمة التى عهد بها إليه ، ورأى أن يقوم بنفسه على رأس جيش آخر [1] فوصل إلى أبواب حائل فى أوائل المحرم سنة ١٣٤٠ هـ / سبتمبر سنة ١٩٢١ م . ولما رأى ابن طلال أنه أصبح لايستطيع مقاومة كل هذه الجيوش السعودية التى تجمعت حول حائل شرع يفاوض ابن سعود ، وعرض عليه تسليم المدينة مشترطا لذلك أن يبقيه أميراً لها ؛ ولكن ابن سعود لم يقبل إلا أن تسلم المدينة

---

(١) كان عدد هذا الجيش الثانى يقدر أيضا بعشرة آلاف مقاتل ، ومعهم بضعة مدافع ، غير رجال مطير الذين كانوا قد وصلوا إلى أبواب حائل تحت قيادة فيصل الدويش . المرجع السابق ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

بلا قيد ولا شرط ، وأخذ يشدد الحصار عليها ، ويستولى على حصونها تباعا حتى سقطت فى يده عنوة فى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ هـ / ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م ، وقبض على الأمير محمد بن طلال وأرسل به إلى الرياض أسيراً [١] ، وبذلك قضى على حكم آل رشيد فى حائل بعد أن دامت إمارتهم نحواً من قرن ، وأدخل أملاكهم تحت حكمه ؛ فحل المسألة على هذا الوجه المرضى ، وتفرغ لمنازلة خصمه الشريف حسين ، فما زالت الحوادث تأخذ مجراها السريع حتى صرع هذا أيضاً وأصبح سيد الموقف .

تطور العلاقات بين ابن سعود والأشراف

دخل الإنكليز فى مفاوضات مع الشريف حسين فى مبدأ الحرب الكبرى كما فعلوا مع ابن سعود ، غير أن الجهة الإنكليزية التى فاوضت الشريف حسينا كانت غير التى اتصلت بابن سعود ، كما أن موقف الزعيم الوهابى كان غير موقف الشريف . فحكومة الهند الإنكليزية هى التى اتصلت بابن سعود عن طريق الخليج الفارسى ، وقد كان موقفه معها موقف الحذر المحتاط كما سبق أن بينا . أما الشريف حسين فقد اتصلت به دار المندوب السامى الانكليزية بالقاهرة عن طريق البحر الأحمر [٢] ، وعملت على أن يثور الشريف فى وجه دولة الخلافة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٥ ، و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٣ .

(٢) ابتدأ الاتصال بين الشريف حسين وبين الإنكليز من جانب الشريف ، حيث إنه بعث بابنه الأمير عبدالله (ملك شرق الأردن أخيرا) فى فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهره ، =

ويحاربها فى صفوف الإنكليز ، ليحصلوا بذلك على إضعاف مركز الأتراك فى الشرق ، ويجدوا مايبررون به سياستهم ويبنون عليه دعايتهم بين رعاياهم المسلمين الذين كان لايرضيهم حرب الإنكليز للدولة وانتصارهم عليها .

وقد كان الشريف حسين صاحب أطماع كبيرة ، يود لو تحققت للعرب وحدة مستقلة ، وأصبحت لهم إمبراطورية شامخة تحت زعامته ؛ وكان على استعداد لأن يضحى بكل ما يملك فى سبيل تحقيق هذه الفكرة .

درس الإنكليز هذه النفسية ، واستغلوا رغبة الشريف فاستخدموها فى الوصول إلى أغراضهم . أخذوا يستدرجونه ويعدونه بالمساعدة على تحقيق أمنيته إذا خرج على الدولة ، واشترك معهم فى حربها ، وتم لهم النصر ؛ ووثق هو بهذه الوعود السياسية ولم يحتط لنفسه ، ولم يأخذ من الإنكليز الضمانات

= فزار الأمير سمو الخديوى عباس الثانى ، وزار اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى دار الوكالة البريطانية وتعرف به ، كما جدد صلته ومعرفته بالمستر ستورس السكرتير الشرقى لهذه الدار . وفى هذه الزيارة تحدث الأمير عبد الله عن آمال العرب فى الاستقلال تحت زعامة والده ، وعن أمل الأشراف فى مساعدة الإنكليز لهم ضد الاتراك . فلما ابتدأت الحرب الكبرى الأولى بعد ذلك بأشهر ، ورأى اللورد كتشنر الذى أصبح وزيراً للحربية البريطانية أن تركيا فى سبيل الانضمام إلى دول الوسط ضد الحلفاء ، تذكر صداقته وصداقة المستر ستورس للشريف عبدالله ، فأبرق اللورد إلى خلفه بالقاهرة السير هنرى مكماهون فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ ، أى قبل دخول تركيا الحرب ، واقترح عليه أن يتصل بالشريف حسين حتى يستطيع الاستعانة به ضد تركيا فى حالة دخولها الحرب ضد بريطانيا وحلفائها . راجع Geschichte der islamischen völker ص ٤٢٥ ، و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

الكافية لتنفيذ وعودهم له . كانت النتيجة أنهم غرروا به [١] وتركوه أخيراً يسقط صريعاً أمام خصمه القوى ابن سعود فى ميدان النضال ، فذهب ضحية أطماعه وانخداعه بالوعود الخلابة ، ونال عاقبة من لم يحتط لنفسه ولم يكن على حذر فى الأمور .

اتفق الشريف حسين مع الإنكليز فى يناير سنة ١٩١٦ م ؛ وأعلن الثورة على الدولة فى يونية [٢] ؛ ثم أعلن أنه أصبح ملك العرب فى اكتوبر من نفس

---

(١) فى الوقت الذى كانت المفاوضات تجرى فيه بين الشريف حسين وبين السير هنرى مكماهون ، والذى كانت بريطانيا تتعهد فيه بتكوين حكومة عربية مستقلة تحت زعامة الشريف ، بحيث تشمل حدودها جزيرة العرب ، وسورية ، وفلسطين ؛ فى هذا الوقت عينه كانت الحكومة البريطانية تتفاوض مع الحكومة الفرنسية بشأن سورية وفلسطين فعقدت معاهدة سايكس بيكو فى مايو سنة ١٩١٦ التى تنظم توزيع هذه المناطق بين فرنسا وانكلترا بعد انتهاء الحرب . وفى هذا الوقت أيضا كانت انكلترا قد سبق لها أن تعاهدت مع السيد الادريسى وضمنت له استقلاله بعسير ، ومع ابن سعود وضمنت له استقلاله بنجد والأحساء والملحقات .

راجع « ملوك العرب » ج ١ ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٠٦ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٢٤ ؛

و Geschichte der islamichen völker ص ٤٢٦ — ٤٢٧

(٢) أجل الشريف إعلان الثورة من يناير إلى يونيه حتى يتم الاستعداد ، وحتى يفلت ابنه الأمير فيصل (ملك العراق فيما بعد) من قبضة الأتراك ، فقد كان فى دمشق عند جمال باشا فى ذلك الوقت ؛ وهذا الغرض الأخير هو أهم الأغراض فى التأجيل . أما الاتفاق الذى تم بين الشريف والإنكليز فقد كان يتكون من خمس مواد ؛ تتعهد بريطانيا فى أولاها بتشكيل حكومة عربية مستقلة تشمل الجزيرة العربية والعراق والشام « ماعدا مستعمرة عدن » . ولكن فى نفس المادة تتعهد هذه الحكومة العربية برعاية المعاهدات =

السنة ، وأخذ يعامل أمراء العرب وفيهم ابن سعود معاملة الأتباع ، فنراه مثلا يبعث إليه بهدية ونقود ـ على خلاف العادة ـ وكأنه يريد أن يقول له : استعن بهذه النقود على ضبط الأمور فى ولايتك ، وقد أصبحت تابعاً لنا !

لم يسع ابن سعود ، وهو الحريص على استقلاله ، إلا أن يرد على هـذا العمل الذى له مغزى سياسى لايحسن السكوت عليه بما يحفظ له حقه ، وبما يفهم الشريف أن البلاد النجدية لاتزال مستقلة ، وأن أميرها لايقبل التبعيـة ولا يقرها . كان رد ابن سعود أن أرسل إلى الشريف يطلب إليه تحديد الحدود بين نجد والحجاز [1] ، لم يكتف ابن سعود بهذا ، ولـكنه اتصل بالإنـكليز ، وكان قد تعاهد معهم وضمنوا له استقلاله بنجد كما سبق ، اتصل بهم وأفهمهم

= التى أجرتها بريطانيا مع أى شخص كان من العرب !

وقد كانت الحـكومة البريطانية تبغى بهذه المعاهدات المشار إليها ، المعاهدات التى سبق أن عقدتها مع الإدريسى فى عسير ، ومع ابن سعود فى نجد . فهى فى هذه المعاهدة الجديدة التى تعقدها مع الشريف حسين ، وتتعهد له فيها بتشكيل حكومة مستقلة تشمل كل الجزيرة العربية تغرر به من حيث لا يشعر ؛ وكان جديراً به أن يشعر !

راجع نص المعاهدة فى « ملوك العرب » جـ ١ ، ص ٦٠ـ٦١ .

(١) جاء فى الخطاب الذى أرسله ابن سعود للشريف فى هذا الشأن قوله « .. . قد يكون حدث بيننا وبينـكم سوء تفاهم فى الماضى ؛ فلا بد إذاً من التفاهم والتأمينات . وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينـكم ، فتزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . فلم يكن من الشريف إلا أن رد عليه بقوله : إما أنك سكران يابن سعود ، وإما أنك مجنون ! أفلا تعلم لأى أمر قمنا ، وأى غرض نبغى ؟ ! « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١٢ .

أنه لايقبل التبعية للشريف حسين ؛ فتدخل الإنكليز فى الأمر وأخبروا الشريف بأنهم قد ارتبطوا بمعاهدة مع أمير نجد ، وأنهم لايمكنهم الاعتراف بالشريف ملكاً للعرب بهذا الإطلاق ، واعترفوا به ملكاً للحجاز فقط (١) . ثم تعهدوا لابن سعود بأن الشريف حسينا سوف لايتدخل فى شئون نجد ، وسوف لايتكلم فى الأمور السياسية باسم العرب جميعاً ، وإنما باسم الحجازيين فقط .

الخلاف على واحتى تربة والخرمة

بعد هـذا التدخل من جانب الإنكليز كان الشريف حسين لا يزال متشبعاً بفكرة أنه ملك العرب جميعاً ، وأن عليهم أن يخضعوا له ، ويقدموا إليه الطاعة . وأخـذ يعمل لنشر نفوذه على حدود نجد المجاورة ، وخاصة فى واحتى تَرَبَة وَالْخُرْمَة (٢) ؛ فقد كانت هـذه الجهات مثاراً للخلاف والحروب بين

---

(١) فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ م أعلن الشريف أنه أصبح ملك العرب ؛ وفى ٣ يناير سـنة ١٩١٧ م أخبرته انـكلترا بأنها تعترف به ملـكا للحجاز فقط ، وفى نفس التاريخ اعترفت به فرنسا وإيطاليا بمثل مافعلت انـكلترا .

راجع Geschichte der islamichen völker ، ص ٤٢٨ .

(٢) تقع هاتان الواحتان على الحدود الحجازية النجدية بالقرب من جبـل حضن ، وشرقى الطائف ، تقع الخرمة فى الشمال ، وتربة فى الجنوب ، والأولى تقع على الطريق الذاهبة من الطائف إلى الرياض ؛ والثانية على الطريق الذاهبة من نجد إلى اليمن ؛ وتسكنها قبائل سبيع ، وعتيبة ، والبقوم ، وبعض الأشراف .

راجـع « قلب جزيرة العرب » ص ٤٨ ، ٣٧٨ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٤٤ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

ابن سعود والشريف حسين . كان الشريف يرى أنها تابعة للحجاز ، وأن سكانها من رعاياه ، وأن عليهم أن يظهروا بمظهر الولاء والخضوع له ؛ وكان هؤلاء السكان قد اعتنقوا المذهب الوهابى من قديم ، فلما استعاد ابن سعود الرياض ، ونشر نفوذه فى نجد اتصلوا به ، وجددوا عهدهم معه ، وعدوا أنفسهم من رعاياه ؛ وأخذ هو يكاتبهم ويرسل إليهم من يتعهد نشر التعاليم الوهابية بينهم .

عد الشريف حسين هذا افتياتا من ابن سعود وخيانة وخروجا من سكان تَرَبة والخُرْمَة فشرع يرسل إليهم الحملة تلو الحملة فى سنة ١٩١٧ ، وأوائل سنة ١٩١٨ م يريد تأديبهم وإخضاعهم لحكمه ، وأخذ هؤلاء يدفعون عن أنفسهم بكل شجاعة ويردون جيوش الشريف ، وقد كبدوها الكثير من الخسائر ؛ ثم أخذوا يكتبون إلى ابن سعود يطلبون إليه أن يرسل إليهم جيشاً يدفع اعتداءات الشريف عنهم .

ولقد كان الإنكليز يلحون فى هذا الوقت على ابن سعود طالبين إليه أن يقوم بحرب آل رشيد ، فقال لهم : أنا لا أستطيع حرب آل رشيد والشريف حسين يعتدى على رعيتى فى تَرَبة . فتعهد الإنكليز بالتدخل فى الأمر ، وتدخلوا فعلا فاقترحوا على الشريف أن يترك هذه المسألة لتحل بعد انتهاء الحرب الكبرى بطريق السلم ، ولم يسعه هو إلا قبول هذا الاقتراح [١] :

أراد الإنكليز حل هذه المسألة وغيرها من مسائل الخلاف بين الزعيمين

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٩ .

العربيين سلمياً فلم يوفقوا . وانتهز الشريف حسين فرصة حصوله على الذخيرة والسلاح من المعسكر التركى فى المدينة بعد انعقاد الهدنة ، وبعد أن استسلم القائد التركى فى المدينة فخرى باشا ، انتهز هذه الفرصة فألف جيشاً كبيراً (١) وسلحه بهذه الأسلحة ، وعهد بقيادته إلى ابنه الأمير عبد الله ؛ ثم كلفه بالتوجه إلى تربة والاستيلاء عليها ، ويقال أيضاً إن مهمة الأمير عبد الله كانت فى الواقع أكبر من هذا ، فلقد كلفه والده أن يتابع فتح نجد بعد إخضاع أهل تربة ، وألا يقف حتى يصل إلى الخليج الفارسى (٢) . هذا مايقال ، وذلك ما كلف به الأمير من قبل والده الطموح ، ولكن الحوادث أتت بشىء آخر وحدث ماليس فى الحسبان .

زحف الأمير عبد الله بجيشه الكبير المسلح بأسلحة الترك الحديثة ، واحتل

---

(١) يقول الريحانى « ... فقد بالغ الرواة فى تقديره (الجيش)، فقال بعضهم : إنه كان مؤلفاً من سبعة آلاف من النظام ، وثمانية آلاف من البدو . أما الحقيقة فهى أنه لم يتجاوز كله السبعة آلاف ، منهم ألفان من النظام والباقى من البدو » .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٦ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ .

ويروى الريحانى رسالة للأمير عبد الله قائد حملة تربة ، كان قد بعث بها إلى سرية الإخوان التى كانت قادمة من نجد تحت قيادة سلطان بن بجاد لمعونة أهل تربة . قال الأمير فى هذه الرسالة : « أخبر الخوارج ... قل لهم : سنكفيهم مؤنة القدوم إلى تربة ؟ قل لهم : ماجئنا تربة من أجل تربة والخرمة فقط ... سنصوم فى الخرمة إن شاء الله ، وسنعيد عيد الأضحى فى الحساء » . « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٨ .

تربة فى ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م على الرغم من احتجاجات ابن سعود ؛ احتلها بدون قتال بعد أن ترك أهلها مساكنهم ، وتجمعوا بعيداً عنها تحت قيادة الشريف خالد بن لؤى انتظاراً لأوامر ابن سعود ونزولا على أمره ، وقد كان طلب إليهم ألا يهاجموا ولا يقاتلوا إلا إذا اعتدى عليهم ، وقد فعل هذا ابن سعود تلبية لرغبة الإنكليز الذين أرادوه على ألا يحارب الشريف حسينا .

تم للأمير عبد الله الاستيلاء على تربة ، وكان سيد الموقف ؛ فظن بهذا أن الأمور ستسير على مايريده ، وأنه سيكون من السهل لديه القيام بمهمته إلى النهاية ؛ ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن ، وكان ما أراد الله غير ماظن الأمير . فتجمع الإخوان من قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد [1] ، وهاجموا الجيش الحجازى فى ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ م ؛ فأخذوا الأمير وجنده على غرة ، وأعملوا فى رقابهم السيف ، ومزقوهم شر ممزق ، ولم يستطع الأمير عبد الله أن ينجو بنفسه إلا بعد لأى ومشقة ، ففر هو وبعض أصحابه ، وترك وراءه جيشه أشلاء متناثرة فى الصحراء ؛ فأصبح الصبح وقد تغير الموقف ، بعد أن هزم أكبر جيش لدى الشريف حسين

---

(١) كان ابن بجاد قد قدم من نجد على رأس السرية التى سبقت الإشارة إليها . وكان عدد هذه السرية ألفاً ومائتى جندى هجان .
المرجع السابق ص ٢٢١ .

هزيمة منكرة ، وبعد أن استولى الوهابيون على الكثير من السلاح والعدة [١]

وكانت مفاجأة سارة لابن سعود الذى كان قد وصل إلى تربة فى ذلك الوقت فقد تم له هذا النصر المبين ، وأصبح فى استطاعته مواصلة الزحف إلى الطائف ، وإن شئت إلى مكة عاصمة الحجاز .

بيد أن الشريف حسينا لجأ إلى الإنكليز واستغاث بهم ، فتدخلوا فى الأمر بصورة حازمة ، وأنذروا ابن سعود فى ٤ يونية سنة ١٩١٩ م بأنهم يعتبرون تقدمه فى الحجاز عملاً عدائياً نحوهم ، فحرموه بهذا أن يجنى ثمرة انتصاره الرائع [٢] .

عمل ابن سعود بمقتضى هذا الإنذار ؛ وأخذ الإنكليز من ناحيتهم يسعون لإصلاح ذات البين ، ويعملون للتوفيق بين أمير نجد وملك الحجاز ، وكلاهما من أتباعهم ينضوى تحت لوائهم ، فطلبوا إليهما أن يكتب كل منهما كتب الود والصداقة إلى صاحبه بدءاً لتحسين العلاقات بينهما ؛ فاتبع ابن سعود جانب الحكمة ، وقبل النصح ، وبدأ بالكتابة إلى الشريف حسين . غير أن هذا لم يقبل أن يستلم كتاب ابن سعود ، ولم يشأ أن يكتب إليه حتى ضغط عليه

---

(١) يقول الريحانى : « لم ينج من جيش الأمير النظامى غير ستة ضباط ، واثنى عشر جنديا . ولم ينج من البدو غير من سلموا ... وعددهم لا يتجاوز الألف » .
المرجع السابق ص ٢٣٠ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

الإنكليز ، فعهد إلى ابنه الأمير عبد الله بتنفيذ ماطلب منه ، وبمكاتبة الأمير السعودى .

بهذا ظهرت العلاقات بين ابن سعود والشريف حسين وكأنها قد بدأت تتحسن ، فانقضى عام ١٩١٩ ومرت سنة ١٩٢٠ م ولم تحدث حوادث على الحدود ، مع استمرار المكاتبة من كل منهما إلى صاحبه .

ثم لم يلبث الوهابيون أتباع ابن سعود أن اعتدوا على الحدود الحجازية فى سنة ١٩٢١ م مدفوعين بما قر فى نفوسهم من أن الشريف حسينا مبتدع وظهير للمبتدعين تجب محاربته جهاداً فى سبيل الله . ولم يكن منه هو إلا أن قابل العدوان بمثله فحرم النجديين من الحج فى سنة ١٣٣٩ هـ / سنة ١٩٢١ م ؛ ثم أذن لهم بوساطة الإنكليز فى العام الذى يليه ؛ ثم عاد فحرمهم ثانية بحجة أنهم مشاغبون ؛ واشترط للإذن شروطا منها أن يخلى ابن سعود الجوف وتربة ، وخيبر ، وكل الجهات التى يعتبرها الحسين تابعة للحجاز . وكان من الطبيعى أن يرفض ابن سعود هذه الشروط ، وأن يتمسك الشريف بمنع النجديين من الحج ، فتحرج الموقف ، وشرع الإنكليز يعدون لمؤتمر الكويت أملاً منهم فى حسم النزاع ، وسعياً لمداواة الجرح قبل استفحال الخطر .

مشاكل الحدود بين ابن سعود وجيرانه الأشراف

أنشئت المملكة العراقية وإمارة شرق الأردن فى سنة ١٩٢٢ م كما قدمنا ،

وأصبح ابن سعود مجاوراً للشريف حسين وأبنائه من ثلاث جهات ، وكثرت المشاكل على الحدود العراقية النجدية ؛ فرأى الإنكليز أن يتدخلوا فى الأمر ليضعوا حداً لهذه المشاكل ، حتى يكون الأمن والاستقرار سائداً فى تلك البلاد المشمولة جميعها برعايتهم ، والخاضعة لنفوذهم .

عقد الإنكليز مؤتمر المحمرة[١] وأشرفوا فيه على المفاوضات التى جرت بين مندوبى نجد والعراق ، فسويت مسائل الحدود بين نجد والكويت ؛ ثم بين نجد والعراق ، ووضعت معاهدة المحمرة فى مايو سنة ١٩٢٢ . ثم عدلت ببروتوكول العقير [٢] فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ م ؛ وتم الاتفاق بين نجد والعراق بمقتضى المعاهدة وملحقها على الأمور الآتية :

(١) تعيين خط الحدود بين نجد والعراق .

(٢) تأسيس منطقتى حياد على الحدود من الجانبين ، ومنع بناء الاستحكامات على أطراف الحدود .

(٣) إرجاع القبائل الفارة من نجد إلى العراق ومن العراق إلى نجد إلى مواطنها الأولى وتثبيتها فيها ، مع إعطاء حق الخيار لبعض القبائل .

(٤) الاقرار بتبعية قريات الملح ووادى سرحان لنجد وكان ابن سعود

---

(١) تقع المحمرة على شط العرب شمال الخليج الفارسى .

(٢) العقير فى جنوب مقاطعة الأحساء على الخليج .

قد احتلها فيما بين مايو وديسمبر من سنة ١٩٢٢ م [١] .

هذا ماتم الاتفاق عليه ، ولكن حكومة العراق تباطأت فى التنفيذ [٢] ، فعاد الخلاف من جديد بينها وبين الحكومة النجدية ، وأصبح ابن سعود فى نزاع وشقاق مع العراق والحجاز . وشرق الأردن ، واهتم الإنكليز بالأمر ، فألحوا فى عقد مؤتمر ودعوا الحكومات الأربع إلى مؤتمر الكويت .

مؤتمر الكويت

كان الإنكليز يبغون بجمع ابن سعود مع الأشراف فى مؤتمر تسوية كل مسائل الخلاف تسوية نهائية ، فألحوا عليه حتى قبل الدعوة لحضور هذا المؤتمر الذى انعقد فى الكويت على دورتين . ولكن ابن سعود خشية من أن يكون الشريف حسين وأبناؤه جبهة ضده اشترط لحضور المؤتمر أن تكون المفاوضة بين مندوبيه ومندوبى كل من الدول الثلاث ، الحجاز ، والعراق ، وشرق الأردن على حدة ؛ فقبل الإنكليز هذا الشرط ، وألزموا المتفاوضين العمل به [٣] .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .

(٢) طلب ابن سعود من حكومة العراق إرجاع قبائل شمر التى لجأت إلى العراق ، وأخذت تغير على الحدود النجدية لنجد ، والأخذ على يد المعتدين منهم . غير أن حكومة العراق تباطأت ، لأنها كانت فى ذلك الوقت عاجزة عن تنفيذ ما سبق أن اتفقت عليه مع ابن سعود .

المرجع السابق ص ٣٨٨ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٦ .

(٣) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٨ ، و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٧ ، و « جزيرة العرب » ص ٢٨٢ .

انعقد المؤتمر فى دورته الأولى ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ؛ ولكن لم يحضره إلا مندوبو نجد والعراق . أما الحجاز فلم يرسل أحداً لينوب عنه ؛ ومندوبو شرق الأردن حضروا ، ولكنهم لم يشتركوا فى أعمال المؤتمر لخلاف بينهم وبين النجديين على أساس المفاوضة .

وانفض المؤتمر فى دورته الأولى بعد أن اتفق العراقيون والنجديون على تسوية بعض مسائل الحدود الخلافية ، غير أن العراقيين اشترطوا لنفاذ ماتفق عليه أن يتم الاتفاق أولا بين نجد من جهة ، وبين الحجاز وشرق الأردن من جهة أخرى ؛ وكان هذا الشرط مثاراً لاحتجاج النجديين وعدم رضائهم .

ذهب المتفاوضون إلى بلادهم على أن يعودوا بعد أسابيع فيستأنفوا المفاوضات ، ويعقدوا الدورة الثانية للمؤتمر ؛ وقد طلب إليهم المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ورئيس المؤتمر الكولونيل نوكس أن يعملوا على اقناع حكوماتهم بوجوب التساهل لحل مسائل الخلاف ؛ ثم اتصل هو بالشريف حسين وأقنعه بوجوب الاشتراك فى المؤتمر ، فعين الشريف ابنه الأمير زيدا لينوب عن الحجاز فى دورة المؤتمر الثانية ؛ ولكنه اشترط لهذا أن يعين ابن سعود أحد أبنائه مندوباً عنه ، الأمر الذى لم يقبله ابن سعود ، وترتب على هذا أن الشريف حسينا لم يشترك أيضاً فى الدورة الثانية .

انعقدت الدورة الثانية فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ م ، ولم يحضرها إلا

مندوبوا نجد ، ومندوبو شرق الأردن . وكانت النتيجة أن انفض المؤتمر على غير وفاق ، لأن وفد شرق الأردن تمسك بما كان أبداه فى الدورة الأولى للمؤتمر ، وكان سبباً للفشل ، فطلب أن يتخلى ابن سعود عن الجوف ووادى السرحان ، وتمسك بما تمسك به الشريف حسين من قبل من إعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الكبرى فى بلاد العرب ؟ ولو نفذ ذلك لترتب عليه الآتى :

١ — تنازل ابن سعود عن الجوف ووادى السرحان إلى شرق الأردن .

٢ — تنازله عن تيماء وخيبر وتربة والخرمة إلى الحجاز .

٣ — إعادة آل رشيد إلى حائل بعد القضاء عليهم فى سنة ١٩٢١ م .

٤ — إعادة آل عائض إلى عسير الشرقية ، وقد ضمها ابن سعود إلى أملاكه فى سنة ١٩٢٢ م .

فلم يقبل النجديون مطالب شرق الأردن ؛ وفشل المؤتمر ، فتحرجت الأمور بين ابن سعود وجيرانه ، وشرع الاخوان يهاجمون حدود العراق وشرق الأردن من جديد ، وسرعان ما لجأ ابن سعود إلى تحكيم السيف ، فهو وحده صاحب الفصل فى موضوع الخلاف .

الحرب بين نجد والحجاز

فكر ابن سعود فى الموقف بعد فشل مؤتمر الكويت ، فرأى أن التبعة

واقعة على عاتق الشريف حسين وأبنائه ، ولو فى الظاهر على الأقل ؛ فهو الذى ظهر بمظهر التشدد فى كل أطوار الخلاف إلى درجة أزعجت الإنكليز . أما ابن سعود فقد كان دائماً يظهر بمظهر المتساهل النازل عند رغبتهم ، وهو لهذا يطمع فى تساهلهم معه ، وعدم ضغطهم عليه إذا اشتبك فى حرب مع الشريف حسين ذلك الرجل العنيد .

ثم وزان ابن سعود بين موقف العالم الإسلامى منه ، وموقفه من الشريف حسين ؛ فرأى أن صلات الشريف بالمسلمين قد ساءت بعد أن جاهر بالعدوان لدولة الخلافة وحاربها مع الحلفاء ، وبعد أن عامل الحجاج المسلمين معاملة سيئة ، واشتط معهم فى فرض الضرائب مع عدم العناية اللازمة براحتهم وأمنهم ؛ وكذلك اختلف معهم فى شأن البعثات الطبية وغيرها ، فكان ذلك سبباً فى عودة المحمل المصرى فى سنة ١٣٤٠ هـ / سنة ١٩٢٢ م ، وفى اشتداد الخلاف بينه وبين الحجاج الهنود ، ثم بينه وبين الإنكليز من أجلهم . وفى مقابل هذا رأى ابن سعود أن صلات العالم الإسلامى به حسنة بعد أن شرع يتودد إلى المسلمين ويجامل الدول الإسلامية ، وبعد أن أخذ ينشر دعاية واسعة النطاق فى العالم الإسلامى ، متحدثاً عن أطوار الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، ومتظلماً من منع الشريف للنجديين عن أداء فريضة الحج . وأخيراً نظر ابن سعود إلى قوى الشريف الحربية فوجدها ضعيفة أمام إيمان الإخوان وتعصبهم لنصرة زعيمهم . وهو لم ينس بعد ما ألحقه الإخوان من الخسائر

الفادحة بالجيش الحجازى صاحب العدد والعدة فى تربة سنة ١٩١٩ م ، وقد كان هذا الجيش أقوى جيش لدى الشريف حسين .

إذاً الظرف مناسب والفرصة مواتية لتحكيم السيف ولضرب الحسين . فعقد ابن سعود لهذا الغرض مؤتمراً فى الرياض فى عيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ / يوليه سنة ١٩٢٤ م ، وقد حضر إليه الإخوان وزعماء نجد للمعايدة ، وتحدث إليهم فى موضوع الخلاف ، وسألهم رأيهم فى الحرب .

رحب المجتمعون بهذه الفكرة ، وكانوا يتوقون إلى حرب الحسين المبتدع فى نظرهم ، وخاصة بعد أن منعهم من أداء فريضة الحج ؛ وبعد هذا أمرهم ابن سعود بالعودة إلى بلادهم والاستعداد للحرب ، ولم يشأ أن يبدأ بالهجوم إلا بعد أن يتفرق الحجاج المسلمون ويعودوا إلى بلادهم .

وفى مطلع العام الهجرى سنة ١٣٤٣ هـ / أغسطس سنة ١٩٢٤ م كان ابن سعود قد استعد للحرب ، وجهز جيشاً قوياً على الحدود الحجازية ؛ ثم أمر جماعة من رجاله بمهاجمة شرق الأردن ، وآخرين بمهاجمة العراق . أما هؤلاء الذين كلفوا بمهاجمة العراق وشرق الأردن فقد ردتهم الطيارات الإنكليزية على أعقابهم ، وقد تحملوا كثيراً من الخسائر بعد أن اجتازوا الحدود ؛ وأما الجيش الأكبر الذى شرع يهاجم الحدود الحجازية فقد قام بمهمته ووفق فى الوصول إلى غرضه على ماسنرى فى تفصيل الحديث .

كانت قيادة هذا الجيش يتولاها الشريف خالد بن لؤى رئيس سكان تربة

وسلطان بن بجاد زعيم الإخوان من قبيلة عتيبة سكان هجرة الغطغط ، وهذان الرجلان فوق مالهما من خبرة وكفاية حربية ، فهما موتوران من الشريف حسين ، وعلى استعداد تام للتضحية بدمائهما فى سبيل القضاء عليه .

فتح الطائف ودخول مكة

تحرك الجيش [١] السعودى من تربة ، واتجه إلى الطائف ، فوصلها ، واستولى عليها بعد مقاومة لم تدم طويلا فى ٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م [٢] . ووقعت حوادث النهب والتقتيل فى الطائف بعد فتحها ؛

---

(١) يقول الريحانى : إن عدد هذا الجيش مع من انضم إليه من عربان الحجاز وأشرافه كان لا يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ، ص ٢٩٩ .

(٢) يحدد فؤاد حمزة فى « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ يوم الاستيلاء على الطائف بالسادس من شهر صفر سنة ١٣٤٣ هـ والسادس من سبتمبر سنة ١٩٢٤ م ؛ وكذلك يحدده أمين سعيد فى « ملوك المسلمين المعاصرون » جـ ١ ص ١٣٠ ، أما الشيخ حافظ وهبة فيحدده فى « جزيرة العرب » ص ٢٨٨ بالخامس . ولعل هذا الاختلاف نشأ بسبب أن انتصار الجيش السعودى ، وهزيمة جيش الشريف فى هذه الموقعة كانت على مراحل ، كما يفهم من كلام الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ ؛ فكلام الريحانى هنا يفيد أن جيش الشريف الذى كان مكلفا بالدفاع عن الطائف هزم فى يوم ٥ صفر ، ثم حضر جيش آخر للدفاع بقيادة الشريف على (الملك على فيما بعد) فى يوم ٦ صفر ، ولكنه اضطر للانسحاب من الطائف إلى الهدى فى نفس اليوم ، وفى يوم ٧ صفر — يذكر الريحانى — أنه تم الاستيلاء نهائياً على الطائف .

والسعوديون يتنصلون من هـذا ، ويلقون تبعته على البدو الحجازيين الذين انضموا إليهم . ولقـد وعد ابن سعود فى ذلك الوقت بالتعويض للمنكوبين ومعاقبة المذنبين ، واتخذ من الاحتياطات مايمنع تكرر المأساة فيما بعد .

بقى الوهابيون فى الطائف بعد فتحها ، وقد أمرهم ابن سعود بالتريث حتى تأتيهم أوامره ؛ وكانت هذه الفترة دعاية من الجانبين ، من جانب الشريف حسين الذى أخذ يستغيث بالعالم الإسلامى ، ويهول من شأن الحوادث التى وقعت بالطائف عنـد الفتح ؛ ومن جانب ابن سعود ، وقد أخـذ يذيع عن أغراضه وينشر برنامجه بين المسلمين ، ويتنصل لديهم مما حدث بالطائف : وقد استطاع بدعايته ووعوده أن يكسب عطف المسلمين ، فصرح بالأمور الآتية :

١ — أنه لايريد الفتح للبلاد المقدسة ، وأن كل مايبغيه هو طرد الأشراف وتطهير بلد الله الحرام من ظلمهم .

٢ ـ أن مكة ستكون بعد استيلائه عليها للمسلمين عامة .

٣ـ أنه سينزل على رغبـة العالم الإسلامى فى تقرير مصير الحجاز بعـد طرد الأشراف [١] .

ثم اشتبكت بعد ذلك الجيوش الوهابية مع الجيوش الحجازية التى تجمعت

---

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ .

عند مكان يقال له الهَدَى[١] تحت قيادة الأمير على بن الشريف حسين ، فاندحر الحجازيون وهزموا فى ٢٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م[٢]

وفى أوائل ربيع الأول من نفس السنة ثار أهل الحجاز على الشريف حسين فجعلوه يتنازل عن العرش ، وبايعوا ابنه الشريف علياً ملكا على الحجاز[٣] . ولعلهم كانوا يظنون أنهم إذا قاموا بهذه الخطوة وضعوا للحرب حدا ، واكتفى ابن سعود بسقوط خصمه عن العرش . ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن .

---

(١) يقع الهدى على بعد أربع ساعات من الطائف ، كما يقول الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ .

(٣) فى اليوم الرابع من ربيع الأول سنة ١٩٤٣ هـ / الثالث من أكتوبر سنة ١٩٢٤ م اجتمع أعيان الحجاز من العلماء والتجار والأشراف بجدة ، وكان فيهم الكثيرون من الذين فروا من الطائف ومكة ؛ ثم أرسلوا برقية إلى الشريف حسين بمكة بعد أن وقع عليها مائة وأربعون منهم . وفى هذه البرقية شرحوا حال الفوضى السائدة فى الحجاز ، وصرحوا بعجز الحكومة « عن صون الأرواح والأموال » ؛ ثم قالوا : « لذلك قررت الأمة نهائيا طلب تنازل الشريف حسين ، وتنصيب ابنه الأمير على ملكا على الحجاز فقط مقيداً بدستور وبمجلسين وطنيين . . . » وبعد مفاوضات مع الملك حسين وافق على ما طلب منه ، وتنازل عن الملك . وفى اليوم التالى كتبت الهيئة المجتمعة إلى الأمير على باختياره ملكا للحجاز بعد تنازل والده ؛ وبعد تقبل البيعة ذهب الملك على إلى مكة ، ثم عاد إلى جدة ليتحصن بها ويقضى أخريات أيام ملكه .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٤ — ٣٠٨ .

لم يلبث الشريف حسين بعد تنازله أن ترك مكة وذهب إلى العقبة عن طريق جده ؛ أما الشريف على ، الملك الجديد ، فإنه رأى أن يذهب إلى جدة ويتحصن بها لمواصلة الحرب ، بعد أن علم بمواصلة الجيش السعودى الزحف نحو مكة .

واصل الوهابيون الزحف نحو مكة على الرغم من أمر ابن سعود لهم بالانتظار حتى يقدم إليهم ، ولعله كان يريد أن ينال شرف الدخول إلى مكة فى مقدمة جيشه ؛ فعلوا هذا انتهازاً للفرصة السانحة بثورة المكيين على الشريف حسين ورأوا أن الأحوال تضطرهم إلى الإسراع بدخول مكة قبل أن يستعد الملك الجديد للمقاومة ، وأن ابن سعود سيقرهم على عملهم عند ما يطلع على الموقف .

وفى ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ / ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٤ م دخل الوهابيون مكة بدون حرب محرمين بالعمرة وتحت قيادة الشريف خالد بن لؤى الذى أصبح حاكما لمكة بعد دخولها (١) .

تغير وجه التاريخ ، وأصبح البلد الحرام وعاصمة الحجاز فى يد الوهابيين بعد أن دخلوها بدون حرب وبغير إراقة للدماء . ثم أخذ ابن سعود يترقب

---

(١) فى الوقت الذى كانت تزحف فيه الجيوش النجدية نحو مكة كان الملك على متجها إلى جدة ، بعد أن رأى قوات الدفاع التى لديه غير كافية لصد الأعداء ؛ إذ أنه « رأى جنوده مشتتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مئتين كانوا فى الدفاع مترددين » فانسحب الملك مع هذا العدد اليسير إلى جده ، وترك مكة بدون حامية ، مما سهل للنجديين دخولها بدون حرب . « راجع تاريخ نجد الحديث » ص ٣١٧ .

ليرى كيف يكون وقع هذا الفتح فى نفوس المسلمين وعند الدول المختلفة .

رضى المسلمون بهذا الفتح على أمل أن تتحسن الأحوال فى الحجاز ، وأعربت الدول التى لها ممثلون فى جدة على لسان هؤلاء الممثلين عن موقفها فى المذكرة التى أرسلت إلى الطرفين المتحاربين وكانت تحتوى على مايأتى :

١ — إعلان هذه الدول وقوفها على الحياد .

٢ — طلبها من المتحاربين معاملة رعاياها المسلمين معاملة حسنة .

٣ — تحميلها للمتحاربين تبعة ماعساه يقع لهؤلاء الرعايا [١] .

تبين ابن سعود الموقف ، وعد وقوف الدول على الحياد انتصاراً له ؛ فهو كفيل بالتغلب على الأشراف إذا خلى بينه وبينهم . ثم ذهب بعد هذا إلى مكة ودخلها فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ / ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ م [٢] ، وشرع يستعد لحصار جدة والمدينة ، ويعمل للقضاء على نفوذ الأشراف ، وطردهم من جميع أرضى الحجاز . وشرع الملك على من جهته يتحصن بجدة ويجمع الجند من سوريا وفلسطين وشرق الأردن ؛ وأخذ مع هذا يحاول الصلح ويبعث بالوسطاء إلى ابن سعود لحل الخلاف صلحا . ولم تفلح هذه المحاولات فقد ردها ابن سعود جميعها ، مصرحا بأنه قد أعطى العالم الإسلامى عهداً بأن

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ — ١٩٠ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٣٨ .

يجعل حل المسألة فى يد المسلمين بعد طرد الأشراف ، وبأنه سيدعو مؤتمراً إسلامياً للفصل فى مصير الحجاز وتقرير نظام الحكم فيه [١]

حصار جدة والمدينة والقضاء على حكومة الأشراف

بعد سقوط مكة فى أيدى السعوديين شرعوا يتجهون نحو الجنوب الغربى والشمال الغربى يريدون الحصول على منفذ على البحر الأحمر ، وقد تحصن الملك على بجدة ميناء مكة وثغر الحجاز ، فاستولوا على القنفذة فى شمال عسير وجنوب جدة ومهدوا الطريق منها إلى مكة ، ثم استولوا أيضا على رابغ شمال جدة ، وجعلوها ميناءً تجاريا لمكة بدل جدة ، وميناءً للحج فى سنة ١٣٤٣ هـ [٢] .

وفى أوائل [٣] يناير سنة ١٩٢٥ وصلت جيوش ابن سعود إلى جدة

(١) كان الوسطاء فى الصلح ثلاثة : السيد طالب النقيب ، والرحالة العربى الأمريكى أمين الريحانى ، والمستر فلبى الانكليزى (الحاج عبد الله فلبى الآن) .

المرجع السابق ص ٣٢٤ ، و « جزيرة العرب » ص ٢٩٠ .

(٢) تبعد القنفذة عن مكة بنحو مئتى ميل ، ولهذا استولت الجيوش السعودية بعد ذلك على الليث التى تقع على مسافة تسعين ميلا من مكة إلى الجنوب الغربى منها . أما رابغ فتقع على مسافة تسعين ميلا شمالى جدة ، ومائة وعشرة أميال من مكة إلى الشمال الغربى منها « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٤٢.

(٣) ظهرت الطلائع للجيش النجدى الذى حاصر جدة فى ٤ يناير سنة ١٩٢٥ .

المرجع السابق ص ٣٦١ .

وحاصرتها ، وبعد ذلك بقليل حوصرت المدينة أيضا ، وبقيت جدة والمدينة محاصرتين مايقرب من سنة كانت رحى الحرب خلالها دائرة بين ابن سعود والملك على .

أخذت الأحوال بعد الحصار تشتد على الحكومة الحجازية ، فاضطربت أمورها وعجزت عن دفع رواتب الجند ، فسقطت المدينة فى يد ابن سعود فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م ، بعد حصار دام عشرة أشهر [١] . وبعد ذلك بأيام عجز الملك على عن مواصلة الدفاع عن جدة ، فوسط المعتمد البريطانى المستر غوردون ليعقد صلحا بينه وبين ابن سعود ؛ وبعد اتصال المستر غوردون بابن سعود اجتمع معه فى الرغامة فى يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م واتفقا على الشروط التى تنازل بمقتضاها الملك على عن الملك [٢] .

وكانت هذه الشروط تقتضى أن يغادر الملك المغلوب على أمره الحجاز بأمتعته الخاصة فقط ، وأن يسلم ابن سعود كل أملاك الدولة الحجازية ، ويتعهد بألا يخرب هو أو أحد رجاله شيئا من ذلك ؛ كذلك التزم بتسليم ماعنده من الأسلحة والمهمات الحربية إلى ابن سعود . وتعهد ابن سعود من جهته بأن يقوم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٢ .

(٢) انظر نص اتفاقية تسليم جدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

على أمن وسلامة أهل جدة فى أنفسهم ومالهم ، وبالعفو عن جند وأتباع الملك على ، وبترحيل الجند والضباط إلى بلادهم ، وبإعطاء هؤلاء نفقة السفر ؛ ثم تعهد بإبقاء من تثبت أمانته وكفاءته من موظفى الحكومة الحجازية فى وظائفهم.

غادر الملك على الحجاز فى ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م بعد عقد التسليم بخمسة أيام (١) ، وبذلك انتهى حكم الأشراف فى الحجاز ؛ فأصبح ابن سعود سيد الموقف غير منازع ، وأصبحت دولته تشمل نجداً والحجاز والملحقات .

العدول عن فكرة المؤتمر وانتخاب ابن سعود ملكاً للحجاز

نشأت فكرة المؤتمر وقت أن دخل الجيش السعودى مكة ووعد ابن سعود بأن العالم الإسلامى هو الذى سيقرر مصير الحجاز ، ثم تقررت هذه الفكرة فى السنة التالية عند مقابلة وفد الصلح المصرى الذى كان يرأسه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الأسبق المغفور له الشيخ المراغى ـ وقد كان رئيسا للمحكمة

---

(١) ذهب الملك على إلى العراق ونزل ضيفاً على أخيه الملك فيصل ، ولم يزل هناك حتى أدركته الوفاة . أما والده الشريف حسين فإنه بقى بالعقبة إلى يونية سنة ١٩٢٦م حيث أرغمه الإنكليز على مغادرتها ، وسهلوا له الذهاب إلى قبرص ؛ ولم يزل بها حتى مرض وسمح له بالذهاب إلى عمان فى أواخر سنة ١٩٣٠ م فقضى بقية أيامه عند ابنه الأمير عبد الله وتوفى فى يونيه سنة ١٩٣١ م ودفن بالقدس .

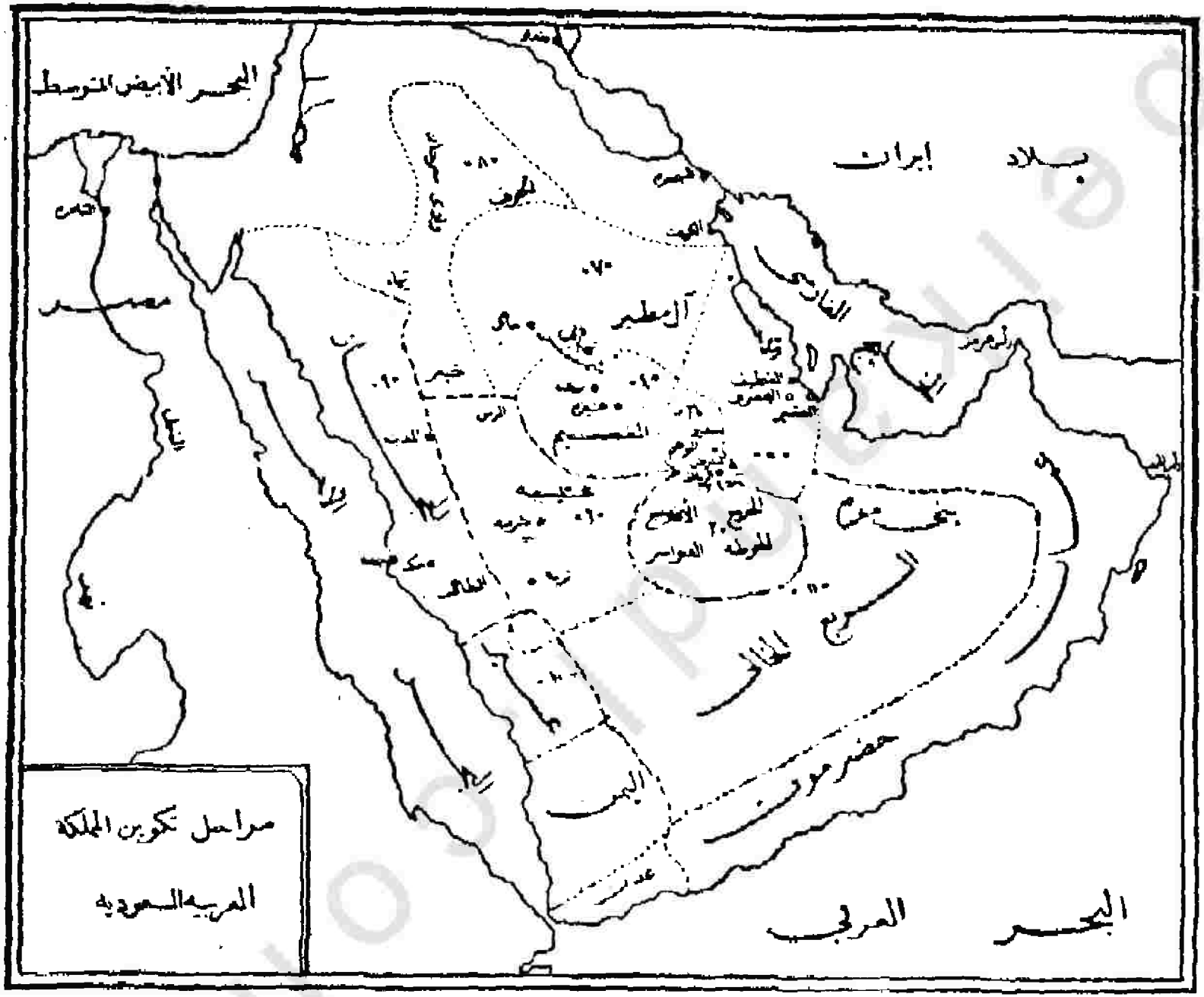

(١) الرياض وما يحيط بها .
(٢) مقاطعة الخرج والأفلاج .
(٣) منطقة سدير والوشم ، شمال الرياض .
(٤) منطقة القصيم .
(٥) منطقة الأحساء .
(٦) واحتا تربة والخرمة على حدود الحجاز .
(٧) منطقة حائل ، وجبال شمر .
(٨) منطقة وادي الدواسر ، وتيماء ، وخيبر .
(٩) الحجاز
(١٠) عسير .
(١١) الربع الخالي .

(عن كتاب Lord of Arabia By H. C.Armstrong مع تعديلات وزيادات)

obeikandl.com

الشرعية العليا إذ ذاك ـ لابن سعود فى سبتمبر سنة ١٩٢٥ م . فلقد اشترك فضيلته بعد الإخفاق فى مهمة الصلح مع رجال ابن سعود فى وضع الأسس لانعقاد المؤتمر ، وصرح ابن سعود بأنه سيفوض جلالة ملك مصر فى الدعوة لهذا المؤتمر . ولم تزل الفكرة موجودة حتى بعد تسليم جدة ، فإنا نرى ابن سعود يقول فى منشوره الذى أذاعه على الحجازيين فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ « وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك فيه المسلمون جميعا ينظر فى مستقبل الحجاز ومصالحه (١) » . ولكنا نرى ابن سعود يتحول عن تلك الفكرة بعد هذا الإعلان بقليل بحجة أن العالم الإسلامى لم يلب الدعوة ، ولم يظهر من الاهتمام بالأمر ماينبغى (٢) .

ثم كان أن اجتمع الحجازيون وقرروا انتخاب ابن سعود ملكا للحجاز ، وقبل هو ذلك ، وأعلنت ملكيته للحجاز فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ / ٨ يناير سنة ١٩٢٦م ، فأصبح سلطان نجد وملك الحجاز ؛ وبقى كذلك حتى

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبه ص ٢٩٤ .

(٢) الواقع أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود دعا العالم الإسلامى لعقد مؤتمر فى مكة لتقرير مصير الحجاز قبل مغادرته للرياض فى مبدأ غزو الحجاز فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ هـ وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ هـ بكتاب خاص أرسله إلى الحكومات والشعوب الإسلامية . ولم يلب هذه الدعوة غير فريق من مسلمى الهند ، وجمعية الخلافة هناك .

« تاريخ نجد الحديث » ص ٣٨٨ .

تغير اللقب فى ١٩ يناير سنة ١٩٢٧ م فأصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ثم فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م أصبح ملك المملكة العربية السعودية بعد توحيد أجزاء المملكة (١)

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩١ — ٣٩٢.

obeikandl.com

المرحلة الرابعة فى تاريخ عبد العزيز آل سعود

تغير الوضع السياسى الدولى للجزيرة العربية بجلوس جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على عرش الحجاز ، واستأنف جلالته بذلك مرحلة جديدة فى التاريخ بعد أن أصبح سيد الجزيرة ، وبعد أن شعر بقوة مركزه وخطورته فى نظر المسلمين ونظر الدول جميعها . وعلى هذا الأساس شرع جلالة الملك العربى المسلم يقرر مركزه الدولى ، وينظم علاقاته بالدول .

علاقات ابن سعود بالدول بعد فتح الحجاز

وقد كانت بريطانيا العظمى أول دولة ارتبطت بابن سعود وتعاهدت معه فى سنة ١٩١٥ م على ماسبق . وكانت معاهدة القطيف فى سنة ١٩١٥ م معاهدة حماية ضربت فى ذلك الوقت من الإنكليز الأقوياء على ابن سعود الناشىء فى فن الملك والسياسة . أما الآن ، وقد تدرج الأمير السعودى فى مدارج القوة والحكم حتى أصبح ملك نجد والحجاز والملحقات ، فالواجب أن يصحح مركزه وأن يقف من الدول وفى مقدمتها انكلترا موقف الند للند .

بهذه الروح تقدم جلالة الملك إلى الحكومة الانكليزية وطلب إليها إلغاء معاهدة الحماية ، وعقد معاهدة أخرى لتسوية مابينهما من علاقات على أساس التكافؤ والاستقلال ، فاجتمع مندوب جلالته سمو الأمير فيصل ومندوب الحكومة

الانكليزية السير جلبرت كليتون ، وتم الاتفاق بينهما على معاهدة جدة التى وقعت فى ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ / مايو سنة ١٩٢٧م [١] .

وكان أهم ماجاء فى هذه المعاهدة الأمور الآتية :

ا — اعتراف الانكليز صراحة فى المادة الأولى بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

ب — النص على إلغاء معاهدة الحماية (معاهدة القطيف) فى المادة التاسعة

ج — تعهد جلالة الملك ابن سعود بأن يتعاون بكل مالديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق فى المادة السابعة .

د — تعهده فى المادة السادسة بعدم الاعتداء على الامارات العربية الواقعة على الخليج الفارسى والداخلة فى حماية الانكليز ، وهى إمارات الكويت والبحرين وقطر وعمان .

ثم تتالت بعد ذلك اعترافات الدول بابن سعود ، وعقدت معاهدات الصداقة بينها وبينه ، [٢] فتعاهدت معه فرنسا واعترفت به فى نوفمبر سنة ١٩٣١ م ، وإيطاليا فى فبراير سنة ١٩٣٢ م . وكذلك فعلت الدول الاسلامية

---

(١) راجع النص الكامل لمعاهدة جدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب.

(٢) راجع « ملوك المسلمين المعاصرون » تجد نصوص هذه المعاهدات المختلفة فى ج ١ ص ١٥١ — ١٦٤ .

معه ، وسوت علاقاتها به ، فتعاقد معه الإمام يحيى ، إمام اليمن بمعاهدة صداقة فى أواخر سنة ١٩٣١ م ، بيد أن الحوادث تطورت بين الزعيمين العربيين على ما سيأتى تفصيله فى تاريخ الإمام .

سوى ابن سعود علاقاته مع كل الدول التى تربطه بها مصالح مشتركة ؛ وكانت مصر مع الأسف الشديد فى مؤخرة الدول التى اعترفت به ، ونظمت معاملتها معه ، على الرغم من كثرة المصالح المشتركة ، ومن وجود الروابط القوية التى تربط الشعب المصرى بأخيه الشعب العربى . فلقد طغت عوامل السياسة ، وتحكم النفوذ الأجنبى الذى كان لابد من أن يحسب له حسابه فى ذلك الوقت ، وظل الأمر كذلك حتى قيض الله للشعب المصرى من ينفذ إرادته ويعمل لمصلحته ؛ فتم الاتفاق وعقدت معاهدة الأخوة والصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية فى عهد وزارة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر « باشا » فى مايو سنة ١٩٣٦م [1] . ثم سارت الأمور بعد ذلك فى طريقها الطبيعى ، فازدادت العلاقات توطداً بين البلدين الشقيقين ، الأمر الذى مهد لعهد جديد فى تاريخ العلاقات السياسية السعودية ، وفى تاريخ علاقات الدول العربية بعضها ببعض على الإطلاق .

---

(١) انظر نص المعاهدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب

ابن سعود والوحدة العربية :

كان عبد العزيز آل سعود فى مقدمة العاملين لتوحيد كلمة العرب والساعين لتحقيق الوحدة العربية علماً منه بأن مصالح الأمة العربية وحقوقها لا تنال إلا بالاتحاد والتضافر بين الشعوب العربية المختلفة ، هذا الاتحاد الذى يتمثل فى تفاهم رؤساء العرب وحكوماتهم بعضهم مع بعض ؛ وفى توحيد الخطط المشتركة للوصول إلى أهداف العروبة الموحدة « فى المجد والاستقلال والمساهمة الفعالة فى بناء حضارة إنسانية » .

فطن عاهل الجزيرة إلى هذا وسعى له من زمن بعيد ، يوم أن كان أميراً عربياً ناشئاً فى الحكم والسلطان ، ووقت أن كان لايزال يسعى فى بناء ملكه وتوطيد دعائمه ؛ فلقد كتب فى مستهل الحرب الكبرى الأولى إلى أمراء الجزيرة العربية فى ذلك الوقت يقترح عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التى ينبغى اتباعها ، ويقول لهم : « علنا نتفق فننقذ العرب من أهوال الحرب ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » [1] . فهو إذاً فى الطليعة من بناة « الجامعة العربية » المؤمنين بها والعاملين لتحقيقها من قديم ، كما صرح بذلك جلالته أثناء تشريفه لمصر فى زيارته لشعب مصر وملكها فى يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث قال موجهاً الخطاب إلى أعضاء الوفد المكون من مشايخ العرب فى مصر عندما تشرفوا

(١) راجع ص ١٢٨ ـ ١٢٩ من الكتاب ، و ص ١٩٦ ـ ١٩٧ من « تاريخ نجد الحديث » . وص ٢٧٦ من « جزيرة العرب » .

بالمثول بين يدى جلالته بقصر الزعفران ، قال : « إن جامعة الدول العربيـــة ليست بنت اليوم ، فقد فكرنا فيها منذ زمن بعيد ، وقد كان يعرف ذلك أخى المرحوم حمد الباسل ، كما يعرفه البشير السعداوى » (١) .

ولقد كان تفكير عبد العزيز آ ل سعود فى توحيد كلمة العرب ، وعمله المتواصل لبناء الوحدة العربية متلائماً ومنسجماً تمام الانسجام مع الشعور العام القوى الذى تمكن من نفوس العرب فى سائر الأقطار ، بعد أن آمن أبناء الأمة العربيـــة بأنه لاسبيل إلى الحرية والاستقلال ولا سبيل إلى النهوض والفكاك من وثاق الاستعمار إلا بالاتحاد والتآزر وجمع القوى المتفرقة وتوجيهها لتحقيق الهدف المشترك لكافة الشعوب العربية .

تنبه دعاة الإصلاح من العرب لهذا وعملوا له خصوصاً فى العراق ومصر ، وقامت فى مصر خلال عام ١٩٤٢ م حركة مباركة ؛ ترمى إلى « تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربيـــة ، والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها » . وتأسس لهذه الغاية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ م « نادى الاتحاد العربى » فى مدينة القاهرة (٢) ، ثم أنشئت بعد ذلك فروع لهذا النادى فى غيرها من المدن . وتدرجت هذه الحركة المباركة فى طريق النمو والازدهار

---

(١) حدث هذا فى يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٧ يناير سنة ١٩٤٦م.

(٢) راجع ص ٩٦ من « نحو الوحدة العربية » للدكتور يوسف هيكل .

حتى آمن رؤساء الحكومات العربية بأن عليهم أن ينفذوا إرادة شعوبهم ، وبأنه قد حان الوقت المناسب لأن يقودوا الحركة وأن يترجموا رغبة أمتهم العربية فى الوحدة إلى أعمال تأخذ مكانها فى سجلات التاريخ ، وتترتب عليها آثارها الطيبة بإذن الله ؛ خصوصاً وقد وثقت هذه الحكومات من أن الحكومة الإنكليزية صاحبة النفوذ والسلطان سوف لاتقف فى سبيل تحقيق الوحدة العربية بعد أن أعلن المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا العظمى عطف حكومته وتعضيدها « لكل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية » (١) . فتقدمت حكومة مصر الصفوف ، ولبت نداء الواجب

(١) كان للمستر إيدن فى هذا الشأن تصريحان متتابعان ، أو لهما حدث فى مقر رئيس البلدية فى لندن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٤١ م ، حيث قال : « ان كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن . وهم يأملون منا المعاضدة فى بلوغ هذه الوحدة ، ولا يجوز لنا أن نغفل أى نداء يوجهه إلينا أصدقاؤنا بهذا الصدد . ويبدو لى أن من الطبيعى ومن الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية أيضا بين الأقطار العربية . وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة أى مشروع ينال الموافقة العامة » .

أما التصريح الثانى فقد أدلى به المستر إيدن بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ م فى مجلس العموم البريطانى وقد جاء فيه قوله : « إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية ؛ ولكن من الجلى أن الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب أن تكون من العرب أنفسهم . والذى أعرفه أنه لم يوضع إلى الآن هذا المشروع الذى سينال استحسانا عاما »

راجع ص ٥٥ — ٥٦ من المرجع السابق .

بقى أن نقول إن تصريح المستر إيدن بهذا كان بعد شعور الحلفاء وفى مقدمتهم بريطانيا برغبات الشعب العربى الملحة ، وبعد معرفتهم الهدف السامى الذى يسعى إليه العرب =

بحكم مركز مصر من البلاد العربية الشقيقة ، ووضع رئيس الحكومة المصرية الخطة العملية لتحقيق الوحدة العربية ، وأعلن عن هذه الخطة فى بيانه الخطير الذى ألقاه بمجلس الشيوخ فى الجلسة المنعقدة بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٤٣ م حيث قال : « . . . منذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلا . ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية هى أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع . وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال ، كل منها على حدة ؛ ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل إلى ذلك ، ثم تدعوهم جميعاً إلى مصر فى اجتماع ودى لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية من جهة متحدة بالفعل . فإذا تمّ التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برياسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ مايراه المؤتمر من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمم العربية . . . » .

شرعت الحكومة المصرية فى تنفيذ هذه الخطة ، فطلبت من الحكومات العربية ، كل على حدة ، إرسال ممثلين عنها لاستطلاع آرائهم فى موضوع

= وبودون تحقيقه ؛ كما كانت مصلحة الحلفاء إذ ذاك تقتضى تكتيل العرب وتجميعهم ليقفوا معهم ضد خصومهم ؛ وأخيراً فإن بريطانيا بالذات كانت ترى أن الجامعة العربية المنشودة سوف تكون من صنائعها المنفذين لسياستها ، تلك الأمنية التى لم تتحقق على الوجه المأمول كما سنبين ذلك فيما بعد .

الوحدة العربية . ولبت هذه الحكومات طلب مصر ، وكانت حكومة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فى مقدمة الملبين لهذا الطلب والعاملين بإخلاص للوصول إلى الهدف ، فحضر وفدها إلى مصر وبدأ المباحثات مع الحكومة المصرية فى ١١ اكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وبعد أن أتمت هذه الحكومة مشاوراتها ومباحثاتها مع وفود العراق ، وشرق الأردن ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ، ولبنان ، واليمن منفردين على التوالى ؛ وبعد أن رأت أن الجو أصبح ممهداً لاجتماع الوفود العربية وبحثهم شئون الوحدة العربية مجتمعين ، دعت الحكومات العربية من جديد لترسل وفودها إلى مصر حتى يعقدوا مؤتمراً عربيا عاما يبحثون فيه قضيتهم ، ويحققون بإذن الله وحدتهم . ولقد حضرت الوفود واجتمعت بالاسكندرية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ م وألفت « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » . فاجتمعت هذه اللجنة ، ودرست قضية الوحدة العربية ، وخرجت من بحثها ودراستها فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ م بقررات على جانب عظيم من الأهمية والخطر ، فأصدرت « بروتوكول الإسكندرية » الذى يسجل ميلاد « الجامعة العربية » ويباركه [١] ؛ كما ألفت لجنة فرعية من أعضائها لإعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة العربية » . ووقعت وفود الحكومات العربية على قرارات مؤتمر الإسكندرية إلا أن وفد المملكه العربية السعودية ووفد اليمن احتفظا بحق عرض هذه القرارات

---

(١) راجع البروتوكول وجميع القرارات التى صدرت فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

على صاحبي الجلالة مليكيهما . وبعد دراسة القرارات وافق صاحبا الجلالة عليها ، وأرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ممثلا عنه لتوقيع « بروتوكول الإسكندرية » فحضر ووقعه ، وكذلك أمر جلالة الإمام يحيى ممثله فى مصر بتوقيع « البروتوكول » عنه . وبذلك تمت موافقة جميع الحكومات العربية التى دعيت إلى مؤتمر الإسكندرية على قرارات « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » ، وافتتحت الأمة العربية عهداً جديداً فى تاريخ العروبة ، وابتدأت مرحلة هامة فى طريق النهوض والاستقلال .

اجتماع رَضْوَى (١) .

وفى أثناء هذه الحركة المباركة برز إلى ميدان العروبة عامل جديد من عوامل الوحدة ، إذ قام ملك مصر السابق بزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فى بلاده ، مدفوعا إلى ذلك بروح الوحدة العربية الذى كان يسيطر على الموقف ، وعلى نفوس الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية .

فى يوم الاثنين الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ م أبحر ملك مصر السابق من ميناء السويس على اليخت الملكى « فخر البحار » متوجهاً إلى الميناء الحجازى ينبع ،

---

(١) رضوى : جبل عند ينبع ، معروف عند العرب ، وله شهرة فى التاريخ الإسلامى . وبه سمى هذا الاجتماع التاريخى المشهود .

لزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية الكريم ، فوصل إلى ينبع يوم الأربعاء الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٥ م . وفى الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم غادر ملك وادى النيل اليخت الملكى — وفى معيته مستقبلوه من أمراء البيت السعودى ، ورجال الدولة السعودية العربية ، ورجال حاشيته — إلى المرسى الذى أعد لنزول جلالته . وكان فى استقباله صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود الذى رحب به أجمل ترحيب واستقبله أروع استقبال . وفى هذه الزيارة التاريخية اجتمع الملكان لأول مرة ، وكان اجتماعهما تحت ظلال رضوى ، وخلد هذا الاجتماع الملكى الهام فى سجل التاريخ تحت اسم « اجتماع رضوى » .

وفى اجتماع رضوى تباحث الملكان فيما يهم شعبيهما من شئون ، وما يهم الشعوب العربية والإسلامية على الإطلاق . « وقد ضَمِنَتْ المباحثات التى دارت بينهما خروج الجامعة العربية بنجاح من مرحلة البروتوكول إلى حيث أصبحت هيئة سياسية . هذا فضلا عن أن تلك المباحثات وضعت أساس التفاهم الودى بين الملكين » [1] . ولقد عبر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أحسن تعبير وأبلغه عن فضل هذه الزيارة فى ميدان العمل للوحدة العربية ، وعن الآثار

(١) هذه عبارة جريدة « التيمس » فى المقال الافتتاحى الذى نشرته بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٦ م عن مباحثات رضوى بمناسبة زيارة عاهل الجزيرة العظيم لمصر ، التى ابتدأت فى اليوم التالى لنشر المقال .

الهامة فى تاريخ العرب والعروبة التى ترتبت على اجتماع رضوى ، وعلى تفاهم الملكين العربيين ، عبر عن هذا فى رسالته الكريمة التى وجهها إلى شعبه بمناسبة عودته إلى مملكته عقب الزيارة التى أداها جلالته لشعب مصر وملكها فى يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث يقول : « ... شعبى العزيز ! لقد افتتح أخى ملك مصر حصن الإخاء تحت ظلال رضوى ، وتوج الله ذلك الإخاء بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله ؛ لم تكن بين قلوبنا فى بلدينا فحسب ، بل كانت سبيلا وطريقاً لاجتماع كلمة العرب على مايجمع شملهم ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم فى كل موطن من مواطن العروبة » (١) .

ومما لاشك فيه أنه فى اجتماع رضوى قد توطدت أركان مشروع الوحدة العربية ، وأن هذا الاجتماع قد خطا بتلك الوحدة خطوات واسعة نحو التحقيق وأنه « محا أثر ما كان يتفوه به أعداء العرب من أن الوحدة العربية غير قابلة التحقيق لفقدان التفاهم عليها بين ملوك العرب وأمرائهم » (٢) . فبعد هذه الزيارة المباركة وهذا الاجتماع الميمون حدثت زيارة كريمة أخرى من رئيس عربى كريم للمملكة العربية السعودية ، ثم لمصر ، فى سبيل التفاهم ووضع الخطط المشتركة لتوحيد كلمة العرب والعمل لصالح الأمة العربية فى جميع الأقطار فلقد زار رئيس الجمهورية السورية فى ذلك الوقت صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى يوم الخميس الموافق

(١) نشرت هذه الرسالة الملكية فى الصحف المصرية بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٦

(٢) ص ١٠٤ من كتاب « نحو الوحدة العربية » .

٨ فبراير سنة ١٩٤٥ م تلبية لدعوة جلالته لفخامته ؛ ثم أعقب فخامته هذه الزيارة بزيارة ثانية لملك مصر السابق فى يوم الإثنين الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ م . وكانت هاتان الزيارتان الكريمتان مما استتبعه اجتماع رضوى ، وللغرض الذى أشرنا إليه .

كذلك استتبع اجتماع رضوى المبادرة بدعوة اللجنة الفرعية التى تتبع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » إلى الانعقاد ، تلك اللجنة الفرعية المؤلفة من وزراء الخارجية للدول العربية لوضع مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ، كما سبق أن ذكرنا . فاجتمع أعضاء هذه اللجنة وعقدوا ستة عشر اجتماعا فى دار وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة ، ابتداءاً من يوم الأربعاء الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ حتى يوم السبت الموافق ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م . وخرجوا من هذه الاجتماعات التى كانت عامرة بالمناقشة والبحث بالمشروع المطلوب ، مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ؛ ووصلوا إلى هذه النتيجة المحمودة باتفاق جميع الآراء . ثم وقع وزراء الخارجية المجتمعون هذا المشروع فى آخر جلسة من جلساتهم صباح السبت ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م ، واشترك معهم فى التوقيع ممثل الأحزاب العربية فى فلسطين ، وعلى أثر التوقيع على مشروع ميثاق جامعة الدول العربية ألقى رئيس الحكومة المصرية ووزير خارجيتها ، الذى كان رئيس اللجنة كلمة كان منها قوله : « ... والآن وقد أمضيتم مشروعكم ، فإنى سأرفعه فى أقرب فرصة إلى اللجنة التحضيرية ، التى سأدعو إلى اجتماعها قريباً ، حتى

إذا أقرته لم يكن بينه وبين النفاذ إلا فترة قصيرة ، هى فترة الإبرام . وأملى عظيم فى أن هـــذه الإجراءات تتعاقب سراعا ، فيمكن دعوة مجلس الجامعة إلى الانعقاد ، وتتحقق رغبة الشعوب العربية فى هذا الربيع ... وستكون هذه الجامعة أداة رقى للعرب وعزهم ومجدهم جميعاً ، فإن هذه الجامعة وإن كانت مؤلفة من الدول المستقلة الآن ، إلا أن عملها وغايتها ينصرفان لخير الأقطار العربيـة كلها ... » [١] .

وفى نفس هذه الجلسة الأخيرة حدد يوم السبت الموافق ١٧ مارس ســنة ١٩٤٥ م موعداً لاجتماع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » . وفى يوم الخميس الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م توجت المفاوضات بين ممثلى الدول العربية بتوقيع ميثاق « جامعة الدول العربية » فى « قصر الزعفران » بمدينة القاهرة [٢] ، وشهدت القاهرة بذلك يوماً هو بمثابة نقطة التحول فى مجرى حياة الأقطار العربية السياسى والاقتصادى والثقافى .

زيارة عبد العزيز آل سعود لشعب مصر وملكها :

كذلك كان من الامور الهامة والأحداث الفاصلة فى تاريخ العرب والعروبة والإسلام والمسلمين ، التى استتبعها اجتماع رضوى وكانت من نتائجه ، تلك

---

(١) نشر نص هذه الكلمة بصحف مصر الصادرة فى يوم الأحد الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٥ م.

(٢) راجع نص الميثاق فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

الزيارة الميمونة التى أداها عاهل الجزيرة العربية لشعب مصر وملكها بعد مضى عام على اجتماع رضوى . ففى يناير سنة ١٩٤٦ م شرف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود مصر بالزيارة بعد الدعوة التى وجهها إليه ملك مصر السابق. فى يوم الاثنين الموافق ٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٧ يناير سنة ١٩٤٦ م ، فى تمام الساعة الثالثة بعد الظهر ، أقلع اليخت الملكى المصرى « المحروسة » من ميناء جدة إلى مصر مقلا جلالة الضيف العظيم ورجال حاشيته ، الذين كان على رأسهم جمهرة من أصحاب السمو الملكى الأمراء السعوديين (١). وكان فى صحبة جلالته أيضاً بعثة الشرف المصرية التى كان يرأسها ناظر الخاصة الملكية المصرية فى ذلك الوقت المغفور له مراد محسن « باشا » ، أرسلها ملك مصر على اليخت الملكى المصرى زيادة فى التكريم لحضرة صاحب الجلالة الزائر الكبير . وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ٦ صفر سنة ١٣٦٥ هـ/ ١٠ يناير سنة ١٩٤٦ م رسا اليخت « المحروسة » فى ميناء السويس ، فصعد إليه جلالة ملك مصر السابق ، وفى معيته كبار رجال الدولة ، فحيا ضيفه الكريم ، ورحب به على أحسن وجه من الترحيب .

وبعد أن نزل الملكان من اليخت واستراحا قليلا نهضا فاستقلا مع رجال الحاشية من الجانبين القطار الملكى الأبيض إلى القاهرة ، وتابع القطار سيره بجلالتيهما وسط مظاهر الفرح والابتهاج ومعالم الترحيب والتكريم حتى وصل إلى محطة العاصمة فى تمام الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم المشهود .

---

(١) هؤلاء الأمراء السعوديون هم صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل أخو جلالة الملك عبد العزيز ، واثنا عشر أميرا من أبناء جلالته .

ومكث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى هذه الزيارة الهامة ثلاثة عشر يوما ، حيث أبحر جلالته فى رعاية الله وحراسته عائداً إلى مملكته من ميناء السويس فى الساعة الرابعة والربع بعد ظهر الثلاثاء الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٦٥هـ / ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ م ، بمصاحبة بعثة الشرف المصرية ، وعلى نفس اليخت الملكى المصرى الذى حضر عليه « المحروسة » ، تحرسه الطوافتان المصريتان « فاروق » و « فوزية » ، فوصل بسلامة الله إلى ميناء جدة فى الساعة الثامنة من صباح الجمعة الموافق ٢١ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٥ يناير سنة ١٩٤٦م.

قضى جلالته هذه المدة فى القاهرة وضواحيها ، والمحلة الكبرى ، وأنشاص ، والاسكندرية ؛ وشاهد فيها الكثير من منشآت مصر الهامة ، وزار آثارها الخالدة ، واستعرض جيشها الفتى . فأتيحت لجلالته بذلك الفرصة للتعرف بمصر والمصريين عن قرب ومشاهدة . كما أتيحت لملك مصر وشعبه الفرصة للترحيب بضيفهم العظيم ، وعقد أواصر المودة والتعاون مع الملك العربى المسلم القوى ، فى سبيل خير العروبة والعرب ، وفى سبيل صالح الشعوب الإسلامية على العموم .

نعم فى سبيل الخير والصالح العام للعرب والعروبة والاسلام والمسلمين كانت هذه الزيارة الملكية الكريمة ، كما كانت الاجتماعات الخاصة التى عقدت أثناءها بين صاحبى الجلالة الملكين على انفراد . فقد اجتمعا مثلا فى سفح الاهرام ، فى مكتب الملك بالاستراحة الملكية الموجودة بقرب الهرم .

الأكبر قبل إذاعة بيانهما المشترك الذى سنتحدث عنه فيما بعد ؛ كما اجتمعا مثل هذا الاجتماع فى مزارع أنشاص الملكية أثناء الزيارة لها ، فقد اجتمعا هناك على انفراد فى الذهبية الملكية « استار » التى كانت راسية فى ترعة الإسماعيلية أمام قصر « الزهراء » الملكى . وفى هذه الاجتماعات وأمثالها كان العاهلان العربيان يبحثان فى مسائل الشرق ، والجامعة العربية ، ومستقبل الشعوب العربية من حيث العمل لاستقلالها والسعى لتكتلها وتآزرها لتقوى وتنهض .

ولم يكن للملكين أو لأحدهما فى هذه الاجتماعات مأرب خاص أو مصلحة خاصة ، كما أنها لم تكن وسيلة للتحزب وإنشاء المعسكرات داخل الجامعة العربية بمثل ماحاول أن يرجف به ويدس كتاب الاستعمار والصحفيون الصهيونيون . وإنما كانت لوجه الله خالصة فى سبيل مجد العرب واستقلالهم جميعاً كما قلنا ، وكما صرح صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، حيث يقول : « ... نحن نريد أن تكون علاقات العرب بعضهم ببعض علاقات إخاء وصداقة ووئام ، وليس لأحد منا مطمع أو غرض ؛ بل مطمعنا هو أن تكون جميع البلدان العربية سعيدة ، وغرضنا هو أن يكون كل بلد عربى مستقلا ولأهله ، وأن تكون الكلمة فى شئونه له ، وأن يدافع الكبير عن الصغير ، فالحمد لله على ذلك . وأنا شخصياً لا أبغى شبر أرض واحد زيادة على المملكة التى ولينا عليها ، وكذلك لا يبغى أخى الفاروق شيئاً ، وما نحن سوى خادمين للعرب . وإذا كان لنا أن نطالب العرب بشىء فى مقابل مايوفقنا الله إلى إسدائه إليهم

فهو أن يعضدوا جامعة الدول العربية بكل قواهم ، وأن يلتفوا حولها بقلوبهم ، وأن يخلصوا لميثاقها . فإن هـذه الجامعة هى كل شىء الآن لنا نحن العرب ؛ وثقوا أننى وجلالة أخى الفاروق سنؤيدها بكل نفوذنا ، ونشد أزرها بكل ما نملك . وعلى الله الا تـكال »[1] . وبمثل هذه الروح الخيرة تحدث صاحب الجلالة الملك عبـد العزيز آل سعود مع وزراء الدول العربية حينما تفضل جلالتـه فجمعهم على مأدبة الغداء التى أقامها لهم فى « قصر الزعفران » بالقاهرة أثناء زيارته الملـكية فى يوم الأحد الموافق ٩ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٣ يناير سنة ١٩٤٦ م .

فلا شك اذاً أن هذه الزيارة الملـكية الـكريمة ، وما صاحبها من محادثات واجتماعات بين الملـكين العربيين كانت فى سبيل الصالح العام للشعوب العربية كافة ، كما كانت من عوامل تحقيق الوحدة العربية . « ولا يمكن أن تُصوَّر قوة العوامل على تحقيق الوحدة العربية بأجلى من هذا التعاون الجديد بين مصر والمملـكة العربية السعودية . فظروف البلدين مختلفة أشد الاختلاف ، وتقدمها الاقتصادى متفاوت ، وتاريخهما متباين كل التباين . والواقع أنه ليس من الأمور التى لا قيمة لها بالقياس إلى أمن الشرق الأوسط وطمأنينته أن يعمل

(١) صرح جلالته بهذا التصريح الخطير للأستاذ كريم « بك » ثابت فى قطار الديزل الملـكى أثناء العودة من أنشاص إلى القاهرة ، ونشر هذا التصريح فى العدد ١١١١ من مجلة المصور .

ممثلو بلاد هذا الشرق معا فى اتفاق وانسجام » [١] .

وكان من الأحداث الهامة أثناء تلك الزيارة ذلك التصريح الملكى المشترك الخطير ، الذى صرح به صاحبا الجلالة عبد العزيز آل سعود وفاروق الأول . فهو خطير بظروفه وملابساته التى أحاطت به ، كما هو خطير بمحتوياته ؛ فلقد أذيع فى مأدبة « الجامعة العربية » التى أقامها الأمين العام للجامعة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٢ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٦ يناير سنة ١٩٤٦ م ، وبحضور ممثلى دول « الجامعة العربية » السبع من الأمراء والوزراء وكبار رجالات العرب ، وفى دار « الجامعة العربية » الجديدة ، « قصر المانسترلى » بجزيرة الروضة بالقاهرة عند افتتاحها .

كذلك كانت محتويات البيان الملكى المشترك على جانب عظيم من الخطورة ، فقد سجل الملكان فيه مبدأ التعاون والتكافل فى تأسيس « الجامعة العربية » ، كما سجلا أن ذلك كان استجابة لرغبات الشعوب العربية وآمالها ، وأن قيام « الجامعة العربية » ليس فيه شىء من العلو والاستكبار على أمة أخرى ؛ وإنما قيامها يعنى حرص العرب كل الحرص على حرية الشعوب العربية واستقلالها وسلامتها ، مع التعاون والتضامن مع الأمم الأخرى فى سبيل الخير للبشرية كافة .

وكان مما عنى به الملكان فى بيانهما على وجه خاص أن صرحا بأنهما يشاركان العرب والمسلمين جميعا فى إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية ، وأنه يجب أن تبقى لأهلها عربية

---

(١) جريدة « التيمس » فى الافتتاحية التى علقت بها على زيارة عاهل الجزيرة لمصر فى العدد الصادر بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٦ م .

كما كانت دائما ؛ ثم تنويههما وإبرازهما لما يرمى إليه ميثاق « الجامعة العربية » من أن يكون لكل قطر عربى حقه الواضح فى تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

وإليك نص هذا البيان الملكى كما أذاعته رياسة مجلس الوزراء بمصر .(١) وقد تشرف بالقائه المغفور له « صاحب الدولة » محمود فهمى النقراشى « باشا » رئيس مجلس الوزراء اذ ذاك عقب مأدبة الغداء :

«إن من دواعى سرورنا العظيم أن يكون اجتماعنا فى هذا المكان التاريخى، فى الدار الجديدة لجامعة الدول العربية ، تلك الجامعة التى كان من حظنا وحظ إخواننا ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم أن يضعوا أسسها وأن يرعوها ، فيقيموها على دعائم من التعاون والتكافل لخير العرب وخير البشر كافة ، ويستجيبوا بذلك لرغبات الشعوب العربية وآمالها .

نحن نرغب أن تضرب جامعتنا دائما للناس جميعا المثل فى تعاون صادق بين جماعة من الدول ، متضافرة على سلامتها المشتركة ، ومتكافلة فى صيانة حريتها وإستقلالها .

---

(١) نشر هذا البيان فى الصحف المصرية الصادرة فى يوم الخميس الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٤٦ م .

ونحن واثقون أن جامعتنا ، وهى تؤدى هذه الرسالة بين العرب ، لا تريد علوا ولا استكبارا على أمة أخرى ، بل نرى أن من أسمى مقاصدنا ومقاصدها التعاون مع أمم الأرض كلها على البر والحق والعدل والسلم الدائم .

ونحن كذلك نثق بأن جامعتنا التى تربأ بنفسها عن كل تفكير فى العدوان على غيرها ، تحرص كل الحرص على أن تدافع عن الحق والعدل والحرية .

ولم يكن المجهود العظيم الذى يبذله ملوك العرب وأمراؤهم ورؤساؤهم وحكوماتهم وشعوبهم لنصرة عرب فلسطين إلا تحقيقا لمبادىء الحق والعدل .

ونحن نشارك المسلمين والعرب جميعا فى إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية وأن من حق أهلها ، وحق المسلمين والعرب معهم ، أن تبقى عربية كما كانت دائما .

وانا لنقدر كل التقدير ما يرمى إليه ميثاق الجامعة العربية من أن يكون لكل قطر عربى حقه الواضح فى تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

ويسعدنا أن تسير الأقطار العربية بخطى ثابتة نحو الوحدة وتضع من النظم مايزيد فى التقارب بينها وإحكام صلاتها ، ويؤدى إلى تبادل المنافع والخيرات لتسعد جميع طبقات الأمة العربية بعيش أرغد ، وتنعم بالثمرات الكثيرة التى وهبها الله سبحانه أرضهم وبلادهم .

ونحن واثقون كل الثقة أن الشعوب العربية التى تتمثل آمالها فى جامعة الدول العربية لا تريد إلا السلم والحق والإخاء العام،وأنها ستهتدى بسيرة أسلافها

فتحقق المثل العليا التى يوحيها إليها تاريخ العرب ونهضتهم العظيمة ودعوتهم للمساواة التامة بين الشعوب والطوائف والأفراد ، فتتعاون جامعتنا مع المؤسسات الدولية التى تقيمها الأمم المتحدة لتحقيق حرية البشر والعدل والإخاء ، فتكفل للحضارة الإنسانية سيرا موفقا فى ظلال سلم دائم » .

اجتماع أنشاص

وهـذه خطوة أخرى مباركة فى سبيل الوحدة العربية ، وفى سبيل مجد العرب واستقلالهم ، نعتبرها نتيجة من النتائج الهامة التاريخية المترتبة على اجتماع رضوى ، وعلى اجتماعات القاهرة وأنشاص والإسكندرية التى تمت بين صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود وبين ملك مصر السابق . هذه الخطوة المباركة هى اجتماع أنشاص الذى تم بين ملوك العرب ورؤسائهم فى « زهراء أنشاص » بدعوة من ملك مصر ، الذى سبق له أن تعارف بملك المملكة العربية السعودية تحت ظلال رضوى . فمن اليوم الذى حصل فيه التعارف والمقابلة الشخصية بين عاهل الجزيرة العربية وبين ملك وادى النيل فى اجتماع رضوى ، ثم فى اجتماعات القاهرة وأنشاص والإسكندرية ؛ من هـذا اليوم ابتدأت الأمة العربية تعرف طريقها الواضح الأعلام ، وتسير فيه تحت قيادة ملوكها ورؤسائها متضامنين متساندين نحو أهدافها المحددة فى ميدان النهوض والاستقلال والحرية .

والواقع أن القرارات التى اتخذت فى اجتماع أنشاص ، والتى سنتحدث عنها ، تعد بمثابة أعظم حدث سياسى شهده العالم العربى بعد تكوين « الجامعة العربية » . ولهذا فقد قرر حضرة صاحب الفخامة الرئيس السابق للجمهورية السورية السيد شكرى القوتلى أن هذا الاجتماع « أعظم اجتماع عرفه العرب فى تاريخهم من ألف سنة » (١) . وقد حضر هـذا المؤتمر الذى لم يسبق له مثيل حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء الدول السبع التى تتألف منها الجامعة العربية ؛ وهى مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ولبنان ، واليمن ، وشرق الأردن . ولقد حضر الملوك والرؤساء جميعاً بأنفسهم ماعدا جلالة المغفور له الإمام يحيى حميد الدين الذى أناب عنه فى حضور المؤتمر نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ؛ وما عدا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد أناب عنه ملك مصر السابق ، وأرسل مع ذلك نجله صاحب السمو الأمير سعود ولى العهد لحضور المؤتمر . قام إذاً ملك مصر فى حضور المؤتمر ، وفى توقيع بيان الملوك والرؤساء المشترك مقام الملك عبد العزيز آل سعود على الرغم من حضور ابنه وولى عهده . وإن لهذا التصرف الملكى الكريم من جانب ملك المملكة العربية السعودية دلالته فى مدى توثق العلاقات بين مصر وبين هذه المملكة ، وفى الإشارة إلى مجهودها المشترك فى بناء الوحدة العربية وفى العمل

(١) هـذا ما صرح به فخامة الرئيس شكرى القوتلى فى وصفه لاجتماع أنشاص ، ولقد نشر هذا التصريح بمجلة « المصور » فى العدد رقم ١١٣٠ .

حضرات أصحاب الجلالة ، والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الدول السبع التى تتألف منها جامعة الدول العربية فى اجتماع أنشاص بتوسطهم ملك مصر السابق ، وعن يمينه فخامة السيد شكرى القوتلى رئيس سوريا السابق ، ثم سمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وسمو الأمير سعود ولى عهد الملك عبد العزيز آل سعود ونائبه . وعن يسار ملك مصر يجلس المغفور له الملك عبد الله ملك المملكة الهاشمية الأردنية السابق ، ثم فخامة الشيخ بشاره الخورى رئيس لبنان السابق ، وسمو الأمير سيف الإسلام عبد الله نائباً عن والده ملك اليمن .

obeikandl.com

لتدعيم مابين ملوك العرب ورؤسائهم من روابط المودة والإخاء كما تتطلب العروبة والمصالح المشتركة والصالح العام لسائر الشعوب العربية .

عقد اجتماع أنشاص فى القصر الملكى المعروف « بزهراء أنشاص » ، بالمزارع الملكية التابعة لأنشاص من أعمال مديرية الشرقية ، وكان على التحديد فى البناء الحديث الذى بناه ملك مصر السابق على مسافة نحو كيلو مترين من القصر القديم ؛ ويعرف هذا البناء الحديث « بالحمام » لأنه أنشئ فيه حمام كبير للسباحة . وعقد فى يومين متتابعين ، يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٦ و ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٨ و ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٦ م ؛ ففى اليوم الأول عقد الاجتماع بعد الظهر واستمر ثلاث ساعات ، وفى اليوم الثانى استمر الاجتماع من الساعة الخامسة بعد الظهر إلى نحو منتصف الليل ، وقد تم فى هذا الاجتماع الثانى الاتفاق على جميع النقط ، وعلى مشروع صيغة الوثيقة التى تمضى . ولقد افتتح ملك مصر السابق المؤتمر بكلمة بين فيها الغرض من الاجتماع ، وأكد فيها الوحدة الوثيقة التى تربط بين العرب بعضهم وبعض ، شعوبهم ، ودولهم ، وملوكهم ورؤسائهم . وقال فى كلمته :

« إن اجتماعنا هو قبل كل شىء للتعارف . ولكى نظهر للعالم جليا أنه ليس بيننا أو بين دولنا أى انقسام ، لا فى الأشخاص ولا فى الآراء . ثم

لنبحث الشئون التى تهم بلادنا ونتشاور فيها ، فيعرف كل واحد منا رأى أخيه ، فيشير على حكومته بما هو أفضل .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير العرب ومجدهم ، آمين ! »

وبعد انتهاء المؤتمر العربى الذى جمع ملوك العرب ورؤساءهم على مائدة ملك مصر فى « زهراء أنشاص » أذاعت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ/ ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦م نص البيان المشترك الذى أصدره المؤتمرون . ولقد سبق أن حضر الأمين العام للجامعة جلسات هذا المؤتمر ؛ وإن فى حضور أمين الجامعة العام وممثلها لتلك الجلسات ، وفى إذاعة ذلك البيان التاريخى عن طريق أمانة الجامعة لتأييد عملى من ملوك العرب ورؤسائهم لجامعتهم العربية وتعضيد قوى منهم لها . وهم ولا شك حريصون كل الحرص على تأييدها وتعضيدها ، « فلسان العرب الآن هو الجامعة العربية ، ويجب على العرب أن يلتفوا حولها ويؤيدها » كما قال صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود (١) .

ولقد عالج الملوك والرؤساء العرب فى بيانهم ثلاث مسائل كانت ملحة وعلى جانب عظيم من الأهمية للعالم العربى فى ذلك الوقت ، وهى لاتزال الشغل

---

(١) قال جلالته ذلك فى حديث له مع الأستاذ سماحة مندوب « المصور » أثناء زيارة جلالته لمصر ، ونشر الحديث فى عدد « المصور » الصادر فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٦ م

الشاغل للشعوب العربيـة إلى الآن ، على الرغم مما جد من الحوادث والمشاغل ومن التغير فى كثير من الاحوال .

هذه المسائل الثلاث هى مسألة فلسطين ، ومسألة الممتلكات الإيطالية فى شمال إفريقية ، والمسألة المصرية . فبعد أن مهد الملوك والرؤساء العرب فى البيان بأنهم متفقون تمام الاتفاق على أن دول « الجامعة العربيـة » ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم مع الجميع ، وعلى أنها ترى أن أعظم الوسائل إلى ذلك التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها ، بعد هذا التمهيد عالجوا مسألة فلسطين . وكان ذلك عقب أن كشفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية القناع عن وجهها ؛ وبعـد أن أظهرت التحيز التام لليهود ، وصرحت بأنها ترى وجوب السماح لمائة ألف آخرين من اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، كما أوصت بذلك لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية فى تقريرها .

فردًّا على هذا الموقف من جانب حكومة الولايات المتحدة وبياناً لموقف العرب منه صرح الملوك والرؤساء العرب فى البيان بأن قضية فلسطين قضية العرب جميعاً ، وبأن فلسطين عربية ، وعلى العرب المحافظة على عروبتها ، وبأن العرب لا يوافقون على أية هجرة جديدة إليها ، وبأنهم يعتبرون ذلك نقضاً للكتاب الأبيض الإنكليزى الذى ارتبط به الشرف البريطانى ؛ ثم نوّهوا بأن ذلك لو تمّ سيكون من شأنه تكدير العلاقات بين الدول والشعوب العربية وبين الدولتين الديمقراطيتين ، أمريكا وبريطانيا . وبعـد ذلك كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يطلب إلى مجلس الجامعة اتخاذ أفعل الوسائل لصيانة مستقبل فلسطين العربية .

أما مسألة المستعمرات الإيطالية فى شمال إفريقية فقد كانت أيضاً من مسائل الساعة الهامة ، بعد أن شرعت دول الحلفاء فى التشاور للبت فى مصير هذه البلاد وأهلها ، وبعد أن فضحت أغراض الحلفاء الاستعمارية عن نفسها . لهذا كانت من المسائل التى عالجها الملوك والرؤساء فى بيانهم ، فصرحوا فى شأن طرابلس وبرقة بأن استقلالها أمر طبيعى وعادل ، وأنه ضرورى لأمن مصر والبلاد العربية ؛ وأن على الجامعة العربية أن تهيء الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهده حتى تظهر الحكومة العربية فى تلك البلاد وتستطيع النهوض بأعبائها عضواً من أعضاء الجامعة العربية . (١)

والمسألة الثالثة من المسائل التى عالجها البيان هى المسألة المصرية . وقد كانت أيضاً مسألة الساعة الهامة ، خصوصاً وقد جاء اجتماع الملوك والرؤساء العرب عقب توقف المفاوضات المصرية الإنجليزية فى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ م بسبب تعنت الجانب الإنكليزى ، وحرصه فى مشروع المعاهدة الذى قدمه للجانب المصرى بتاريخ ١٩ مايو على أن يكون متضمناً للروح الذى كان سارياً فى معاهدة سنة ١٩٣٦ م ؛ ذلك الروح الذى يجعل من مصر منطقة من مناطق النفوذ البريطانى . فصرح المؤتمرون فى بيانهم بشأن هذه المسألة بأن

(١) استقلت « ليبيا المتحدة » بولاياتها الثلاث : برقة ، وطرابلس ، وفزان ، من نحو عام مضى بعد موافقة هيئة الامم المتحدة على استقلالها . ولقد نصب ملكا عليها السيد محمد ادريس المهدى السنوسى ، ولقب جلالته « بادريس الأول » . وجلالته يشرف مصر الآن بزيارته الودية ، وهو موضع الحفاوة والتكريم من شعب مصر وحكومتها فى عهد الحرية الجديد . وبهذه المناسبة تقدمت الحكومة الليبية بطلب انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية ، وفى دورة مارس القادم ستكون ليبيا العضو الثامن من أعضاء الجامعة العربية بإذن الله .

تحقيق مطالب مصر ، وجلاء القوات البريطانية عن وادى النيل ، واستكمال السيادة المصرية أمر لا بد منه ؛ وأن قضية مصر قضية جميع العرب العامة ، فهم جميعاً يؤيدون مطالب مصر الحقة ويسندونها بكل قواهم ؛ ثم سجلوا على الحكومة البريطانية ما صرح به رئيسها المستر إتلى بتاريخ ٧ مايو فى مجلس العموم البريطانى من عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية — وكان قد صرح بذلك تهيئة للجو المناسب للمفاوضات المصرية البريطانية — وبينوا أنه ينبغى أن تقام العلاقات بين مصر وبريطانيا على أسس الصداقة والثقة المتبادلة بين دولتين متساويتين .

كذلك تناولوا فى البيان شئون البلاد العربية الأخرى مثل شمال إفرقية ، بلاد الشعب الأبى المجاهد الذى يضحى فى سبيل استقلاله ويسعى بكل ما فى استطاعته للتخلص من قيود الاستعمار الفرنسى والإسبانى تحت قيادة زعمائه الأبطال الأحرار أمثال البطل الكبير الأمير محمد عبد الكريم الخطابى ، الذى يتزعم الآن حركة التحرير لهذه البلاد الشقيقة بعد أن استطاع الإفلات من قيود الأسر الفرنسى ولجأ إلى حمى الحكومة المصرية ، فاستوطن مصر ، وجعلها مركزاً لنشاطه ونشاط اخوانه فى سبيل الاستقلال والتحرر . تناول المؤتمرون فى بيانهم أيضاً شئون هذه البلاد الشقيقة ، فعهدوا إلى جامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها الحقة فى التحرر والمشاركة فى جامعة الدول العربية .

وإليك نص البيان ، نثبته هنا لأهميته التاريخية [1] :

(١) هذا النص هو الذى أذاعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ولقد نشر فى الصحف المصرية فى الاعداد الصادرة فى يوم السبت أول يونيه سنة ١٩٤٦ م .

« تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية ممثلين بأشخاصهم أو بوكلائهم فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى زهراء أنشاص فى يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله ملك شرقى الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية ،وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحى ملك اليمن .

وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ما تستطيع فى سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك ، التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها .

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضا

صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصا منهم على دوام هذه الصداقة وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام .

أمافيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفعل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحم أن تهىء الأسباب لهذا الاستقلال وأن تتعهده فى بادىء الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .

ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها

وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لابد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويسندونها بكل مافى استطاعتهم . وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر إتلى رئيس وزارتها فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن فيه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية ، مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم ، والذى يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا فى علاقاتها مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين . وهم يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام فى هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى وقد عرض عليهم كثير من شكواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها ، وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم فى جامعة الدول العربية .

وأخيراً يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليبعثوا كإخوة متضامنين متحدين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ، ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد .

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكى التوجه بوافر الشكر

إلى أخيهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هيأ لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون للعرب من ورائه خيراً لبلادهم وإعزازاً لجامعتهم .

زهراء أنشاص : ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ / ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ » .

قوّى هذا البيان من عزيمة العرب فى مختلف الأقطار ، وخاصة فى فلسطين وأثار فى نفوسهم الحمية ، وشجعهم على المضى فى سبيلهم ، سبيل الجهاد والكفاح للحصول على حريتهم وحقوقهم بكل جرأة وحماس ؛ كما أحدث دوياً عظيما فى سائر الأندية والمجتمعات الدولية . فإنا نجد مثلا دوائر لندن « تعتقد أن هذا البلاغ جاء بمثابة قنبلة ألقيت فى أنسب الأوقات ، فنسفت الإشاعات التى رددتها بعض الصحف الإنكليزيه عن الشقاق الذى يسود العالم العربى ، كما قضت على الأنباء الخاصة بالمنافسات الداخلية القائمة بين زعماء عرب فلسطين ، إذ أكد البلاغ أن الدول العربية تقف صفاً واحداً فى قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية » (١) .

موقف ابن سعود من قضية فلسطين :

إن اهتمام صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بقضية فلسطين العربية أمر واضح مقرر من وقت أن أصبحت المسألة الفلسطينية قضية مختلفا عليها بين

(١) هذا ماأذاعته وكالة الأنباء العربية بتاريخ أول يونية سنة ١٩٤٦ م فى التعليق على ما أحدثه البيان من أثر فى دوائر لندن ، وما نشر فى الصحف الصادرة يوم الأحد الموافق ٢ يونية سنة ١٩٤٦ .

طرفين متنازعين ، الطرف الأصيل من العرب أهل البلاد وأصحابها الشرعيين ، والطرف الدخيل من المهاجرين الصهيونيين ومن ظاهرهم من المستعمرين . ولقد شاركت حكومة جلالته من المبدأ سائر الحكومات العربية فى الرأى ، والمباحثات ، والمؤتمرات العربية الإنكليزية ، والوسائل التى اتخذت من جانب حكومات العرب لحفظ حقوق عرب فلسطين ، والاحتفاظ بفلسطين موحدة عربية لأهلها العرب ما استطاعت تلك الحكومات إلى ذلك سبيلا .

ونحن لانريد هنا أن نتحدث عن كل الأدوار التى مرت بها القضية الفلسطينية ، ولاعن مدى مساهمة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى كفاح العرب عن قضيتهم من المبدأ إلى الآن ؛ وإنما سيكون حديثنا عن نصيب جلالته من الكفاح فى سبيل القضية الفلسطينية فى دورها الأخير ، الذى يبتدىء من وقت أن ألف العرب جبهتهم الموحدة وكونوا جامعة الدول العربية . من الوقت الذى التقى فيه ملك مصر السابق بصاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فى اجتماع رضوى ، هذا الوقت الذى تعارف فيه الملكان وتفاهما واتفقا على الخطط المشتركة التى سيسلكها الجانب العربى لكسب قضية فلسطين وغيرها من قضايا الشعوب العربية . ففى هذا الدور الأخير الخطير كان لعاهل الجزيرة العربية نصيبه الهام من عمل الجبهة العربية المشترك فى سبيل قضية فلسطين ، وذلك ماسنتحدث عنه فى هذا الفصل .

فى هذه المرحلة ابتدأ جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود سعيه بحديثه مع الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن قضية فلسطين فى اجتماعه معه يوم الخميس

الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م ، أى بعد اجتماع رضوى بأسابيع.[١] فأظهر الملك العربى للرئيس الأمريكى اهتمامه الكبير بفلسطين ، وشرح له وجهة نظره ، ودلل على عدالتها وصحتها بما جعل الرئيس روزفلت يصرح بعد سماعه باقتناعه بوجهة نظر الملك ، وبأن فلسطين لا تصلح حقا لإيواء اليهود . وكان هذا الحديث الطويل عن فلسطين بحضرة وزير أمريكا المفوض فى جدة ، وسجل فى محضر خاص أصبح من الوثائق التاريخية لقضية فلسطين وللعلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية [٢] .

وإذا التفتنا إلى مركز الولايات المتحدة الأمريكية القوى المكين ـ وهو مركز الزعامة فى السياسة الدولية ، خصوصا فى ذلك الوقت ـ وإلى ما كانت حكومة هذه الولايات قد ابتدأت تبديه من عطف ومساعدة لليهود فى القضية الفلسطينية ، ثم إلى الصداقة التى تربط جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بحكومة الولايات المتحدة ، وأخيرا إلى أهمية ما بينهما من مصالح مشتركة تتعلق بيترول الجزيرة العربية وغيره ، وإلى عطف جلالته على قضية الحلفاء فى الحرب الأخيرة ؛ إذا نظرنا إلى كل هذا استطعنا أن نقرر أهمية هذا الحديث ، وأهمية ما كان جلالة الملك وجميع العرب معه يعلقونه عليه .

---

(١) سنتحدث بشىء من التفصيل عن هذا الاجتماع التاريخى الذى تم بين ملك المملكة العربية السعودية وبين رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية فى فصل مقبل .

(٢) راجع ما نشرته القنصلية العربيه السعودية بالقاهرة فى هذا الموضوع بجريدة الأهرام بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٦ م .

ولكن بعد موت الرئيس روزفلت المفاجىء ، وبعد أن خلفه الرئيس ترومان تغيرت الأمور ، وأبعدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى عطفها على اليهود إلى درجة التحيز الواضح . ثم تألفت اللجنة الأمريكية الإنكليزية لتبحث القضية الفلسطينية من جديد ، حتى تخرج من بحثها بحل للقضية يرضى اليهود ويرضى عنه أصدقاؤهم من رجال الحكومة الأمريكية . وتشرفت هذه اللجنة المؤلفة برئاسة السيرجون سنجلتون وبعضوية الميجر ماننجهام بولر والمستر با كستون بالاجتماع بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩٤٦ م . فشرح جلالته لرئيس اللجنة وأعضائها وجهة النظر العربية ، وذكرهم بصداقته للحلفاء وبموقفه منهم وخدماته لهم أثناء الحرب الأخيرة ، ثم أشار إلى اعتداءات اليهود وجرائمهم المتوالية قبل مقتل اللورد موين وبعده ، وعقب على هذا بتعجبه من موقف الإنكليز مع هذا من اليهود ، ثم من العرب . فهم يدللون اليهود المعتدين الباغين ، ويقفون من العرب أصدقائهم الذين خدموهم وأصحاب الحق المتسامحين موقفا غير كريم . كذلك أشار جلالته فى مناقشته مع اللجنة وفى المذكرة الإيضاحية التى سلمها لهم بعد المناقشة إلى حديثه مع الرئيس روزفلت ، وإلى أن الرئيس اقتنع بحق العرب ، وأن المستر تشرشل بعد اطلاعه على الحديث الذى جرى بين الملك والرئيس أظهر اقتناعه أيضاً بعدالة القضية العربية ووعد بأنه سيقوم هو أيضاً بالواجب فى مساعدة العرب . وختم جلالته مذكرته الإيضاحية التى سلمها لأعضاء اللجنة بالتنويه بصداقته لانجلترا وأمريكا ، وبأنه لا يريد أن يضطر إلى أن يعاديهما . ولكن إذا استمرت

الهجرة ، وبيع الأراضى ، وهضم حقوق العرب الطبيعية فى فلسطين ، فان الحكومتين البريطانية والأمركية لا تتعرضان حينئذ لنقمة العرب وحدهم ، بل لنقمة جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . (١)

ومع هذه الجهود التى بذلها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى الدفاع عن حق العرب فى فلسطين استمر أصدقاؤه الأمريكان فى طريقهم مندفعين فى تأييد اليهود ، وكرر الرئيس ترومان تصريحاته مؤيداً لليهود ومناصراً لهم ، فبعث إليه جلالته برسالة ينعى فيها عليه عدم مراعاته لواجبات الصداقة ، وخروجه على سياسة سلفه الرئيس روزفلت ، ونقضه لتعهدات وبيانات الحكومة الأمريكية السابقة . ولقد أذاعت مفوضية المملكة العربية السعودية هذه الرساله الملكية فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٦ م . (٢)

وهذا هو نص الرسالة :

« ياصب الفخامة !

ان الصداقة التى تربط بلادى ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التى تأسست بينى وبين الرئيس الراحل الرئيس روزفلت ، والصداقة التى تجددت بينى وبين فخامتكم تجعلنى شديد الحرص فى المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة ؛ ولذلك تجدوننى فخامتكم ألح وأكرر فى كل

---

(١) راجع مانشرته القنصلية العربية السعوديه بالقاهرة عن محضر اجتماع اللجنه مع جلالة الملك وعن المذكرة الإيضاحيه فى العدد السابق ذكره من جريدة الأهرام .

(٢) نشرت الرسالة بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ فى جريدة الأهرام .

مناسبة أشعر بها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادى ومع سائر البلاد العربية لكى أزيل ما يمكن أن يعرقل هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم حقيقة الموقف فى فلسطين ،والحق الطبيعى للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت فى أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس يخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التى بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن فى بلادنا المقدسة .

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التى نسبت تصريحا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود فى فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافا للتعهدات السابقة .

لقد زاد فى دهشتى أن التصريح الذى نسب أخيرا لفخامتكم يتناقض مع البيان الذى طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية فى جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر فى جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦م وذلك البيان صريح فى أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية ، وبين

الحكومة البريطانية والفريق الثالث . وأظهرتم فخامتكم رغبتكم فى اتخاذ تسهيلات فى الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفى جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتى عظيمة حين اطلاعى على البيان الأخير الذى نسب إلى فخامتكم ، مما جعلنى أشك بصحة نسبته إليكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذى صدر فى ١٦ أغسطس ١٩٤٦ م من البيت الأبيض. وانى لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذى بذل دمه وماله فى مقاومة العدوان الغاشم لايمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيونى على بلد عربى صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادىء العدل والإنصاف التى قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم فى هذا السبيل .

ورغبة منى فى المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدةأوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذى يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أى مساعداتٌ لهذا العدوان الصهيونى . وانى على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكمشعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل أن يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله ليقره فى سائر أنحاء العالم ، ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب فى بلادهمفلسطين التى ورثوها عن أبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة . واقبلوا تحياتنا . »

ولما نفد الصبر ووجد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أن الاتصالات الودية وكتب الإقناع لا تجدى لدى الأمريكان ، شرع يسلك معهم طريقا آخر ، فأرسل للحكومة الأمريكية إنذارا خطيراً هددها فيه بأن خطتها فى مسألة

فلسطين ستؤدى حتما إلى إصابة مصالحها فى الشرق العربى بالضرر الجسيم .
وأذاعت وكالة الأنباء العربية من الرياض بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م أن جلالة الملك دعا المستر تشيلدز وزير أمريكا المفوض فى جدة إلى الرياض ، فحضر يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م وقابل جلالته مرتين . وذكرت الوكالة أن الحالة كانت توحى بأن الوزير الأمريكى تلقى كلاما قاسيا من جلالة الملك بسبيل تأييد أمريكا لتقسيم فلسطين . كما ذكرت أن جلالته أصدر تعليماته إلى سمو الأمير فيصل بمغادرة نيويورك والعودة إلى بلاده بعد أن كان مقرراً أن يزور وشنطن للبحث مع الحكومة الأمريكية فى مسألة « تعلق عليها المملكة العربية السعودية أهمية كبيرة » .

وعندما جرت المشاورات العربية فى أوائل مايو سنة ١٩٤٨ م لتقرير الخطة الحاسمة بعد إصرار أمريكا وروسيا على إقامة دولة صهيونية بفلسطين ، وبعد أن اعتزمت بريطانيا الجلاء عن هذه البلاد فى منتصف الشهر المذكور ، وذهب «صاحبا الدولة» جميل مردم «بك» رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح «بك» رئيس وزراء لبنان إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز والاستماع إلى رأيه، وجدا جلالته شديد التحمس ، بل شديد الاندفاع، كما عبر المغفور له رياض الصلح «بك» .وكان أن اقتضت الظروف وتطلب الدفاع عن الحقوق والكرامة دخول الجيوش العربية فلسطين ، والاشتباك مع القوات اليهودية فيها فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م فاشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع بقية الجيوش العربية

القائمقام سعيد « بك » الكردى قائد الفرقة السعودية التى اشتركت فى حرب فلسطين فى الجبهة المصرية ، وهو يبين لفريق من ضباطه خطة الجيش المصرى فى دك حصون المستعمرات الصهيونية

obeikandl.com

بفرقة من جيشه تحت قيادة العقيد سعيد الكردى بك ، وجعل سيرها فى الجبهة التى يسير فيها الجيش المصرى ، كما جعلها تحت القيادة العامة للجيش المصرى . (١) وأبرق إلى ملك مصر السابق بهذه المناسبة وبعد أن بدأت الانتصارات المصرية البرقية الآتية :

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك فاروق حفظه الله ـ مصر

فى الوقت الذى تتقدم فيه جيوش جلالتكم وجيوش الدول العربية لإنقاذ فلسطين أضرع إلى الله بأن يؤيد هذه الجيوش بنصر من عنده ، وأن يثبت أقدام المجاهدين فى سبيله . وإنى إذ أحمد الله الذى ألف بين قلوبنا للجهاد فى سبيله أحمده تعالى على ما وفق إليه جيش مصر الظافر بإذن الله ، سائلين الله أن يتابع نصره الذى وعد به عباده المؤمنين .

وإنه يسرنى كما أعتقد أنه يسر جلالتكم أن يكون سير الجيش السعودى فى الجبهة التى يسير فيها الجيش المصرى . والله يعلم أننا جميعا لم نكن باغين ولا معتدين ، ولكننا نسير لدفع العدوان . « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » حفظكم الله وأبقاكم (٢) .

وهكذا اشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أجل فلسطين فى الميدان الحربى بفرقة من جيشه ، كما اشترك فى ميدان النضال السياسى فى هيئة الأمم المتحدة مع الوفود العربية بوفده .

---

(١) لم يشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى حرب فلسطين الا بهذه الفرقة ، ولهذا فاننا نعتبر اشتراك جلالته فى هذه الحرب اشتراكا رمزيا .

(٢) نشرت هذه البرقية فى الصحف المصرية الصادرة بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٤٨م .

محنة !

هى محنة الجامعة العربية ! فالجامعة العربية الآن فى محنة بسبب قضية فلسطين ؛ ولكن هذه المحنة لم تكن بسبب تألب الدول الاستعمارية على العرب ومالأتهم لليهود ، ولا بسبب إمداد أمريكا وروسيا لليهود بالذخيرة والسلاح والعتاد والرجال الفنيين والمحاربين مع التضييق على العرب والامتناع عن إمدادهم بشىء من معدات الحرب ولوازمها ، ولا بسبب إرغام الدول الكبرى عن طريق « مجلس الأمن » للعرب على قبول الهدنة مرارا إنقاذا لليهود وإضعافا للعرب ، لا ! لم تكن كل هذه الأمور الموجبة للحرج والشدة سببا فى محنة الجامعة العربية ، فكل هذه أمور تهون ومشاكل تحل إذا كان التضامن بين دول الجامعة العربية قويا عمليا . إنما هذه المحنة حلت بالجامعة العربية بسبب التخاذل الذى بدا فى ميدان الحرب بفلسطين . فالجيوش العربية الموجودة بالميدان لا تحرك الآن ساكنا ، والجيش المصرى وحده هو الذى يتحمل العبء فى الميدان ، وهو وحده الذى يقاتل اليهود الآن ويرد هجماتهم الغادرة بشجاعة وبسالة منقطعة النظير .

نحن الآن فى اليوم الثانى من شهر يناير ١٩٤٩ ، ومنذ اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر الماضى والجيش المصرى يقاتل اليهود فى فلسطين وحده بعد أن خرقوا الهدنة وهاجموه فى المرة الأخيرة . (١) « وإن مصر التى يرفرف علمها

---

(١) هذه هى المرة الثالثة التى خرق اليهود فيها الهدنة فى صورة هجوم منظم بالجبهة المصرية ، والتى تركت فيها الجيوش العربية الجيش المصرى يرد الاعتداء وحده .

منفرداً فى الميدان بينما اختفت أعلام الدول العربية الأخرى قد بهرت العروبة بثباتها على المبدأ ، وأدهشت الأمم الأخرى بعدم مبالاتها باليهود وأنصارهم مهما يكونوا ومهما تكن قوتهم وأسلحتهم . إن مصر التى دخلت هذه الحرب متضامنة مع الدول العربية الأخرى بقيت بمفردها فى الميدان ، وما زالت تنزل وحدها بالعدو الخسائر الفادحة فى طائراته وقواته الأرضية ومصفحاته ودباباته وسفنه البحرية ، وتطارد فلوله المندحرة فى السهول والوديان بينما الدول العربية نظارة تتفرج » . (١)

« وسمو الأمير فيصل آل سعود يزور مصر فى هذا الوقت الذى تجرى فيه تلك الأحداث الهامة التى تتصل بفلسطين . ولا شك فى أن سموه خير من يعرف حقيقة هذه الأحداث ، وموقف مصر منها ، وانفراد الجيش المصرى بمناضلة اليهود . ونحن لا نشك فى عواطف المملكة العربية السعودية نحو مصر والمصريين ، ونعتقد أن العواطف يمكن أن تتكيف فى هذه الآونة الحاسمة بشكل عملى ليس من الضرورى أن يكون فى الميدان العسكرى ، وأن فى يد المملكة السعودية وسائل عملية تستطيع أن تكون بها أشد تأثيرا فى مستقبل قضية فلسطين مما بدا حتى الآن . ولقد أصبحت هذه القضية تتطلب من جلالة الملك ابن السعود مزيدا من المعاونة وشد الأزر والتضحية . ولا شك

---

(١) من مقال « عاش الجيش المصرى » لجريدة الأهرام فى العدد الصادر فى يوم الأحد ٢ يناير سنة ١٩٤٩ م .

فى أن سمو الأمير العربى قد فهم الموقف أثناء إقامته القصيرة هنا ، ولا شك كذلك فى أنه سينقله إلى جلالة والده . وسيكون من بين ما ينقله أن مصر تتوقع من المملكة السعودية أن يكون موقفها غير موقف غيرها من دول الجامعة العربية » [١] .

عبد العزيز ابن سعود وعبد الله بن الحسين :

بدأت العلاقات بين عبد العزيز ابن سعود وبين البيت الهاشمى الحجازى على غير ما يرام ، ففى سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م حصل التصادم لأول مرة بين ابن سعود وبين الشريف حسين على الحدود النجدية الحجازية ، وأسر شقيق ابن سعود سعد بن عبد الرحمن ولم يطلق سراحه إلا بعد أن افتداه أخوه عبد العزيز بمبلغ من المال وبعد أن تم الصلح بين نجد والحجاز [٢] . ثم تطورت الأحداث بين البيتين السعودى والهاشمى حتى انتهت بالحرب بينهما وباستيلاء عبد العزيز ابن سعود على الحجاز وخروج الأشراف من الأرض الحجازية نهائياً بعد أن خسروا المعركة ، ونودى بعبد العزيز ملكا للحجاز فى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ [٣] .

---

(١) هذه هى « كلمة المصرى » التى كتبتها جريدة المصرى فى عدد يوم السبت أول يناير سنة ١٩٤٩ م ، اقتبسناها ليطلع القارىء على صدى الرأى العام فى مصر ، وليعرف ما يعلقه الشعب المصرى من آمال على عاهل الجزيرة العظيم .

(٢) راجع ص ١١٧ ـ ١١٨ من الكتاب .

(٣) راجع تطور العلاقات بين البيتين فى ص ١٤١ ـ ١٦٤ من الكتاب .

ولقد اقتضت الأحوال أن يساهم عبدالله بن الحسين فيما كان بين البيتين من نزاع بنصيب كبير ، فكان قائد الجيش الهاشمي في موقعة تربة سنة ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩ م حينما أراد الشريف حسين الاستيلاء على هذه المنطقة على الحدود النجدية الحجازية واكتساح نجد إلى الخليج الفارسي (١) .

وبعد هزيمة الجيش الهاشمي في تربة وعودة عبدالله بن الحسين إلى الحجاز اختلف الأمير مع والده الملك الحسين بن علي في السياسة التي ينبغي أن تتبع في إدارة شئون الدولة الهاشمية؛ ثم غادر الحجاز إلى شرق الأردن في سنة ١٩٢١م حيث أصبح أميراً لإمارة شرق الأرن بعد اجتماعة مع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في ذلك الوقت بمدينة القدس واتفاقه معه على إنشاء هذه الإمارة وأن يسند الحكم فيها إليه .

وقد أخذت العلاقات تزداد توتراً بين عبدالعزيز ابن سعود وبين أمير شرق الأردن منذ تأسيس الإمارة ، حتى أن النجديين هاجموا بلاده في سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ م فزاد ذلك في اشتعال نار الخصومة ، وخصوصاً بعد امتلاك ابن سعود للحجاز . وأخيراً رأى المغفور له الملك فيصل الأول ملك العراق أن يتدخل للإصلاح والتوفيق بين أخيه الأمير عبدالله وبين الملك عبدالعزيز آل سعود ، فتم ذلك بمساعدة السامة الإنجليز ، ووُقِّعَتْ معاهدة الصداقة وحسن الجوار بينهما كما وقع بروتوكول التحكيم في قصر المندوب البريطاني بالقدس بتاريخ ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٣ م.

---

(١) راجع ص ١٤٧ — ١٤٩ من الكتاب .

ومن وقت توقيع معاهدة الصداقة هـذه بدأت صحيفة جديدة فى تاريخ العلاقات بين حكومة شرق الأردن وحكومة المملكة العربية السعودية ، وأخذ الماضى يزول بما له وما عليه ، وحلت محله صداقة نمت بمضى الأيام والأعوام حتى حل عصر الجامعة العربيـــة ، وتحرج موقف العرب بسبب القضية الفلسطينية ؛ فاقتضت الأحوال أن تزداد الصلات توثقاً وأن يتم التفاهم بين الملكين العربيين عن طريق التعارف الشخصى والزيارة ، الأمر الذى قابله العرب بمظاهر الغبطة والاستبشار وعدّوه مطلعاً لفجر عهد جديد زاهر فى تاريخ البيتين العربيين الكريمين وتاريخ الأمة العربية .

زيارة الملك عبد الله للملك عبد العزيز :

إن هذه الزيارة التاريخية التى سنتحدث عنها حدثت بعد تمهيدات سبقتها ، وكان لحكومة مصر الفضل الأول فى تلك التمهيدات ، ولقد ساعد على تحقيقها ضغط الحوادث وحروجة مركز الدول العربيـة بسبب التطورات التى طرأت على قضية فلسطين .

فحكومة مصر قد عملت على تنقية الجومن آثار الغبار الذى قد أثارته الحوادث الماضية ومهدت للتعارف الشخصى وعقد أواصر المودة بين ملوك العرب ورسائهم بعضهم وبعض ، إذ سبق ملك مصر السابق بزيارة عاهل الجزيرة والتقى به لأول مرة فى اجتماع رضوى ، ثم استتبع هـذا رد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود الزيارة لشعب مصر وملكها ، وتلا ذلك اجتماع أنشاص الذى جمع بين ملوك

العرب ورؤسائهم وأمرائهم بدعوة من ملك وادى النيل . وفى هذا الاجتماع التاريخى ابتدأت أسس التفاهم والتقارب تقوم وتقوى بين الرؤساء العرب والبيوت العربية المالكة ، التى لم يكن بين بعضها وبعض من قبل سوى الشقاق والعداء الظاهر أو المستتر ، الأمر الذى كان يؤدى دائما إلى اضعاف العرب وتفريق كلمتهم .

أما ضغط الحوادث وحروجة موقف الدول العربيـة فقد كان له أثره أيضاً فى التمهيد لهذه الزيارة ، خصوصاً بعد أن خاب أمل الأمة العربية فى هيئة الأمم المتحدة وأصبح تحيزها لليهود واضحاً من وقت أن أوصت بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م . وبعد هـذا القرار الجائر حددت انجلترا موعداً للجلاء عن فلسطين فى شهر اغسطس سنة ١٩٤٨ م ثم فاجأت العالم والعرب على الخصوص بتقديم موعد الجلاء وجعله فى منتصف مايو سـنة ١٩٤٨ م ، وأعلنت الاحتفاظ بحيفا حتى يرحل عن فلسطين آخر جندى بريطانى . وأعقبت هـذه المفاجأة بمفاجأة أخرى أدهى وأمر ، فسلمت حيفا بما كان لها فيها من سلاح وعتاد حربى إلى اليهود ، فتقوى بذلك مركزهم وازداد الخطر على عرب فلسطين وعلى سائر الدول العربيـــة .

ولما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى أوائل مايو للتشاور والاتفاق على الخطه العملية التى ينبغى على العرب اتباعها ، وقد قرب موعد الجلاء البريطانى عن فلسطين ، بدا الاختلاف فى وجهات النظر بين حكومات الدول

العربية ، وكاد الأمر يتحرج أكثر مما كان ، وكادت الفرصة تفلت من يد العرب . ولكن الرؤساء العرب تداركوا الموقف فى اللحظة الأخيرة ، وتشاور أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وقر رأيهم على أن تبذل مساع جديدة ، يضطلع بأعبائها رسول من لدن الجامعة العربية ، وعلى أن يبذل أول مسعى منها لدى الملك عبد الله بن الحسين . فطار المغفور له « دولة » رياض الصلح « بك » رئيس الوزارة اللبنانية وعضو اللجنة السياسية فى ذلك الوقت من القاهرة إلى عمان ، واستطاع أن يتفاهم مع الملك الهاشمى وأن يقنعه ، ثم عاد إلى مصر وطار منها مرة أخرى إلى الرياض فتفاهم مع الملك السعودى واتفق معه وعاد مظفراً إلى مصر واتخذت الجامعة العربية بعد هذه المساعى الموفقة قرارها بالتدخل عسكرياً لإنقاذ فلسطين وتأديب الصهيونيين العصاة ، وعقد لواء القيادة العامة للجيوش العربية كلها للملك عبد الله بن الحسين .

وبعد أن اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين فى ١٥ مايو فتوغلت وانتصرت وكادت تقضى على الدولة اليهودية بادر مجلس الأمن بإنقاذ اليهود ، فطلب وقف القتال وعقد الهدنة ، واضطر العرب لقبول الهدنة حتى لا يزداد تعرضهم للضغط الدولى ، وحتى يحافظوا على وحدة العرب وعلى كيان الجامعة العربية ، وقد بدا من بعض دول الجامعة التصميم على قبول الهدنة .

ولقد كان للدور الذى لعبه الجنرال كلايتون مدير أقلام المخابرات البريطانية فى الشرق الاوسط أكبر الأثر فى قبول العرب للهدنة التى كانت فتحا لباب الشر

عليهم وبدءاً لهزيمتهم ، فخدع الجنرال الإنكليزى ساسة وزعماء العرب وحملهم على قبول الهدنة فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية فيه تطوق تل أبيب ؛ وكان ذلك مع الأسف الشديد نقطة التحول فى معركة فلسطين لمصلحة اسرائيل .

وقعت كل هذه الأحداث وتتابعت ، فزادت ملوك العرب ورؤساءهم اقتناعاً بوجوب التضامن والتآزر حتى تنجو الأمة العربية من الخطر المحدق بها وكان ذلك مع ماسبق أن قامت به حكومة مصر ممهداً لزيارة عاهل البيت الهاشمى لعاهل البيت السعودى .

وفى يوم الاثنين الموافق ٦ شعبان سنة ١٣٦٧ هـ / ١٤ يونية سنة ١٩٤٨ م تشرف المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة ، مندوب المملكة العربية السعودية فى اللجنة السياسية ، بمقابلة جلالة الملك عبد الله فى قصر رغدان ، ورفع إليه برقية وصلته من جلالة الملك عبد العزيز متضمنة دعوة ملك شرق الأردن إلى زيارة المملكة العربية السعودية زيارة رسمية ، فتقبل جلالته هذه الدعوة مرحبا مسرورا . وبعد أن زار جلالة الملك عبد الله ملك مصر السابق وتفاهم معه على المسائل التى تهم العالم العربى ، وربما استعرض معه أيضاً المسائل التى ستعرض على بساط البحث أثناء زيارته للعاهل السعودى ، عاد جلالته إلى عمان ؛ ثم استأنف السفر إلى المملكة العربية السعودية هو ورجال الحاشية الذين رافقوه وأعضاء بعثة الشرف السعودية التى كان يرأسها المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة . واستقل

الجميع الطائرتين السعوديتين ، وكانتا قد وصلتا إلى عمان قبل ذلك لتكونا تحت تصرف الملك عبد الله فى رحلته هذه ، فاستوت الطائرتان فى الفضاء فى فجر يوم السبت الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣٦٧هـ/٢٦ يونيه سنة ١٩٤٨م فى اتجاه الرياض عن طريق الظهران ، فوصل الركب الملكى إلى مطار الظهران بمنطقة الأحساء فى منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه ، وكان فى استقبال جلالة الضيف الكريم صاحب السمو الأمير سعود ولى العهد نائبا عن جلالة والده ، فتعانقا عناقا حارا وقال سمو الأمير لجلالته : « لقد أمرنى والدى جلالة الملك أن أبلغ جلالتكم بأنه عربى مسلم ، وجلالتكم عربى مسلم ، وكلا كما اخوان . وجلالتكم فى بلادكم ، ولذلك لم أضع ، ولن أضع أى برنامج لزيارتكم . فانتم صاحب البيت » وقابل الملك الهاشمى هذه العاطفة الأخوية من الملك السعودى بالشكر والارتياح . وقد أمر جلالة الملك عبد العزيز أن يكون سعادة الشيخ يوسف ياسين فى خدمة الملك الهاشمى طول مدة إقامته فى الرياض . وبعد أن مكث جلالة الضيف ليلة فى الظهران واصل السفر بالطيارة إلى الرياض فوصل إلى مطارها عصر يوم الأحد ، وكان فى استقبال جلالته جلالة الملك عبد العزيز يحف به الأمراء ورجال الحكومة والحاشية . فلما وصلت الطائرة تقدم إليها عاهل الجزيرة واستقبل أخاه وضيفه وعانقه مرحباً به ومهنئاً بسلامة الوصول ، وقال له : « تلك هى اللحظة الخالدة من تاريخ حياتى ، إذ تم لى لقاء أخ كريم عزيز » . ولقد مكث جلالة الملك عبد الله فى هذه الزيارة إلى صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٢٢ شعبان سنة ١٣٦٨ هـ / ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٨ م ، حيث

سافر بالطائرة إلى بغداد مودعاً من جلالة الملك عبد العزيز بكل مظاهر الحفاوة والتكريم .

كانت هذه الزيارة محوطة بمظاهر المودة والتآخى بين الملكين العربيين ، وكانت « فاتحة عهد مبارك من تاريخ العرب » كما وصفها جلالة الملك عبد العزيز ، إذ تم فيها التلاقى والتصافى لأول مرة بين الملكين بعد أن قضت ظروفهما السابقة أن يكونا خصمين متنافرين . فهذه الزيارة طويت صحيفة فى تاريخ العلاقات بينهما ، وفتحت صحيفة أخرى فى تاريخهما وتاريخ الأمة العربية لتسطر فيها آيات التآخى والتآزر فى سبيل خير العرب واستقلالهم . وقد بدأت المحادثات الرسمية بين الملكين يوم الاثنين ، فاجتمعا بقصر الضيافة الذى ينزل فيه الملك عبد الله اجتماعا طويلا ، بحثا خلاله فى مختلف المشكلات العربية . وقد قال جلالة الملك عبد الله لمندوب الأهرام قبيل الاجتماع : إننا سنبحث معاً جميع ما يهم العالم العربى من أمور ، وسيكون لقضية فلسطين التى هى الشغل الشاغل لجلالة أخى عبد العزيز المكان الأول من هذه المباحثات . وفى يوم الثلاثاء عقدا اجتماعا آخر ، وعلى إثره قال الملك عبد الله : يسرنى أن أنوه بحماس أخى عبد العزيز فى تناول مشكلات العرب ، وأن أؤكد أن هذه الجامعة العربية قد استطاعت أن تخرج مرفوعة الرأس فى جميع ما مر بها من ظروف . وقد أثلج صدر أخى ابن السعود هذا الاتحاد الرائع بين ملوك العرب ورؤسائهم . ولقد انطوت الأحاديث التى دارت بين الملكين على تفاهم تام بينهما وسُمع عاهل الجزيرة يقول لأخيه الملك الهاشمى : « لم يعد ثمة الآن عبد العزيز

ولا عبد الله . بل نحن شخص واحد نعمل معاً لما فيه مصلحة الأمة العربية كلها ، أنت هناك وأنا هناك ، وأنت تحل عنى وأنا أحل عنك ؛ ونسأل الله التوفيق » .

وكان من أهم الأحداث التى وقعت أثناء الزيارة اجتماع الملكين بدار الحكومة فى الرياض يوم الثلاثاء آخر أيام الزيارة ، وإصدارهما بعد الاجتماع للبيان التاريخى الذى وقعه الملكان أمام الأمراء وكبار المدعوين . وبعد توقيع البيان الملكى طلب الملك عبدالعزيز إلى « سعادة » الأستاذ فؤاد حمزة تلاوته ، فتلاه على أسماع الحاضرين ، وكان ذلك سبباً لإشاعة جو من الغبطة والسرور بهذه الخاتمة الحسنة . ولقد صرح صاحبا الجلالة فى البيان بأن الباعث الأول على الاجتماع إنما هو الرغبة الصادقة فى توثيق عرى المودة والصداقة بين شخصيهما وشعبيهما ، وملاحظتهما للظروف الحاضرة وما تقتضيه من اتحاد واتفاق . كذلك سجلا تحققهما من وجود الاتفاق بينهما فى الأفكار والآراء والأهداف كما أعلنا ثقتهما بالجامعة العربية وباللجنة السياسية ، وأنهما يؤيدان الجامعة فى تصرفاتها التى هى داخلة فى حدود مسئوليتها ، خصوصاً فيما يتعلق بفلسطين . وهذا هو نص البيان :

جلالة الملك عبد الله وهو يوقع بإمضائه البيان الملكى الذى أذيع لمناسبة اجتماعه بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود
وزيارته له فى الرياض ،وجلالته يظهر فى الصورة بجانب الملك عبد الله

obeikandl.com

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، لقد كان الباعث الأول على اجتماعنا رغبتنا الصادقة فى توثيق عرى الأخوة ، وتشييد بناء الصداقة والوداد بين شخصينا وشعبينا ، مادام الشعب وما دام البيت إن شاء الله تعالى ؛ وملاحظتنا الظروف الحاضرة ، وما تقتضيه من اتحاد واتفاق واضعين نصب أعيننا مبدأين أساسيين : أولهما تقوى الله ، وثانيهما التفانى فى حفظ البيعة والذود عن الكيان .

وقد وجدنا أن فى اجتماعنا هذا كل الخير والبركة ، وقد تحققنا من وجود اتفاق تام فى وجهات نظرنا إلى الشئون الخاصة والعامة ، واتحاد تام للأهداف والغايات الوطنية والقومية . ولذلك فإنا نعلن ، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وعبد الله بن الحسين بن على ، بأننا متفقون فى أفكارنا وآرائنا وأهدافنا فى هذا الباب ، وبأننا متفقون بصورة خاصة فى تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه ، مما هو داخل فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى حدود مسئوليتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين التى نحن باذلون كل مافى وسعنا من جهد للوصول إلى مايضمن للعرب استقلالهم التام ، وسلطانهم المطلق ، ونجاة فلسطين وإنقاذها . ونعلن ثقتنا التامة بالجامعة العربية ولجنتها السياسية ، واعتقادنا بأنها ستقوم بتمحيص المواقف الحاضرة حق التمحيص ، وتنصح بما تراه موافقاً لمصلحة العرب وضامناً لها . وإن ثقتنا بالله العظيم كبيرة فى أن النتائج ستكون موافقة إن شاء الله ، لاسيما أننا واثقون من أن الجامعة العربية لا تستهدف إلا إقرار السلام فى الشرق الأوسط ، ذلك

السلام الذى لايمكن أن يتم إلا بحفظ حقوق العرب وصيانة استقلال بلادهم ، وإنها إذا اضطرت للدفاع فإنما تدافع عن مصلحة العرب الأساسية وعن الشرف والحرية والسلام . »

وإن أهمية هذه الزيارة وذلك الاجتماع الذى تمّ بين الملك عبد الله والملك عبد العزيز بالنسبة للعالم العربى لتفوق أهمية الاجتماع التاريخى الذى تم فى عام ١٩٣٠ م بين الملك فيصل والملك ابن سعود لفض النزاع على الحدود الفاصلة بين العراق ونجد ؛ ولهذا فإن الأمة العربية بأجمعها استبشرت بهذه الزيارة خيراً وعدتها مطلعاً لفجر عهد جديد مبارك كما سبق أن ذكرنا . وبدت دلائل الوحدة العربية بعد الزيارة قوية جلية ، فرأينا جلالة الملك عبد الله يتكلم باسم جميع الملوك والرؤساء العرب ، وفى مقدمتهم أخوه جلالة الملك عبدالعزيز بعد أن تفاهم معه وأنابه عنه ؛ رأيناه يخاطب السفير الأمريكى بالنيابة فى بغداد ، ويقول له : إننى أحدثك باسم الملك عبدالعزيز والملك فاروق والامام أحمد والأمير عبد الإله ، وباسم رئيس جمهورية سوريا ورئيس الجمهورية اللبنانية . وأرجو أن تبلغ حكومتك أن تقف موقف الحياد الشريف فى هذا النضال الذى تخوضه فى هذه الظروف (١) .

وكان من نتائج الزيارة أيضاً غير ماجد بسببها من التقارب والوئام بين البيتين السعودى والهاشمى اللذين ظلا فى عداء وشقاق أمداً طويلا قبل هذا ، كان من نتائجها أن بدا للناس انه قد ترك للشعوب العربيه أن تقول كلمتها فى مصيرها ؛ وان مشروع « سوريا الكبرى » قد

---

(١) نشر هذا الحديث للملك عبد الله فى صحف مصر الصادرة فى يوم الجمعة الموافق ٢ يولية سنة ١٩٤٨ م .

طوى ، ذلك المشروع الذى كان خصوم العرب كثيراً ما يتخذونه وسيلة لبذر بذور الشقاق بين الشعوب العربية . وظل الناس على هذا الاعتقاد إلى أن فاجأتنا الأيام بحوادث أريحا المزعجة ، فعادت مشكلة « سوريا الكبرى » إلى الظهور فى ميدان السياسة العربية ، وفتحت أبواب الشقاق والنزاع فى صفوف العرب من جديد . وقبل حديثنا عن مؤتمر أريحا وأثره فى العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة الهاشمية الأردنية نحب أن نقدم لذلك بالحديث عن مشروع « سوريا الكبرى » نشأته وتطوراته وما يترتب عليه من نتائج ، حتى تتضح الأمور وتتبين الأغراض والدوافع .

مشروع « سوريا الكبرى »

إن مشروع « سوريا الكبرى » يرمى إلى تكوين كتلة عربية من بلاد شرق الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق تحت حكم أحد أفراد البيت الهاشمى من أبناء المغفور له الشريف حسين شريف مكة وملك الحجاز السابق ، وقد كان المغفور له الملك عبد الله ملك شرق الأردن يعتقد أنه صاحب هذا الحق ويعمل لتحقيق المشروع .

فهذا المشروع يرمى فى الأصل إلى تكوين دولة سورية مستقلة موحدة بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية ، « فتمتد من جبال طوروس شمالا ومن الخابور فالفرات شرقا ومن الصحراء العربية فمداين صالح جنوبا ومن البحر الأحمر خط العقبة ورفح فالبحر الأبيض المتوسط غربا » . والسوريون حينما نادوا بإنشاء هذه الدولة كانوا يريدون أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة من وقت تكوينها .

والمشروع على هذا الوضع مشروع صالح ولاشك يسر العرب جميعاً أن يتحقق؛ ولكن فكرة المشروع تطورت من وقت نشأتها إلى الآن تطورات كثيرة بسبب الأحداث التى جدت فى هذه الحقبة الطويلة من الزمن وبسبب ألاعيب السياسة الاستعمارية التى مسخت المشروع فجعلته وسيلة من وسائل تمكين النفوذ الأجنبى الاستعمارى ومده فى البلاد العربية بدل أن يكون من وسائل التوحد والاستقلال والقوة لأهل هذه البلاد العرب كما كان يقصد به فى الأصل ، وسنبين فى حديثنا الآتى كيف نشأ هذا المشروع وكيف تطور .

أصل الفكرة فى المشروع :

عندما أعلنت الحرب الكبرى الأولى كانت الأمة العربية تفكر فى العمل للاستقلال وكانت رغبة العرب فى التحرر من الحكم العثمانى قوية ، خصوصاً بعد الذى شاهده زعماء العرب من اتجاه رجال حكومة الاتحاد والترقى التركية إلى تغليب الطابع التركى فى دولة الخلافة وإلى كبت الشعور القومى العربى والعمل لسيادة العنصر التركى وإذلال العرب وإخضاعهم بمختلف الوسائل . فلما قامت الحرب رأى العرب أنها قد تكون فرصة سانحة لتحقيق ما اتجهت أفكارهم إليه من الاستقلال والتحرر ، وأدرك الحلفاء وخاصة الإنكليز مايجيش بنفوس العرب فعملوا على استقلاله لصالحهم بطريقة تكفل لهم النصر فى ميدان الشرق الأدنى حتى يتقوا الخطر الألمانى التركى فى هذا الميدان الحيوى بالنسبة إليهم ؛ ومما ساعد الحلفاء والإنكليز على النجاح فى خطتهم التى وضعوها لإثارة العرب

ضد الأتراك تلك المظالم الفاحشة التى ارتكبها جمال باشا الحاكم التركى فى بلاد سوريا ضد السكان العرب الأبرياء ، فاغتصب أموالهم وملأ السجون منهم وقتل الكثيرين من زعمائهم بلا ذنب ارتكبوه ودون اكتراث من جانبه .

فعمل الإنكليز على الاتصال بالشريف حسين حتى ينضم إليهم فى حربهم ضد الأتراك ويثور على دولة الخلافة فى مقابل مساعدتهم له على تحقيق أغراضه فى إنشاء دولة عربية مستقلة تحت حكمه ، وقد كان الإنكليز يعرفون الكثير عن هذه الأغراض خصوصاً بعد أن بدأ الشريف حسين بالاتصال بهم حيث إنه أرسل ابنه الأمير عبد الله (ملك شرق الأردن أخيرا) قبيل قيام الحرب فى فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهرة فزار سموه اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت ، وعلم اللورد فى هذه الزيارة الكثير عن أغراض الشريف حسين وعن أمله فى مساعدة الإنكليز له لتحقيق تلك الأغراض [1] . وبناء على مشورة اللورد كتشنر الذى أصبح وزيراً للحربية البريطانية جدد خلفه فى القاهرة السير هنرى مكماهون الاتصال بالشريف حسين ودارت بين الجانبين مباحثات وتبودلت بينهما مكاتبات سرية للاتفاق ولتحديد مطالب الشريف فى إنشاء الدولة العربية المرجوة .

وفى الكتاب الذى أرسله الشريف حسين إلى السير هنرى مكماهون فى ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ / ١٤ يوليه سنة ١٩١٥ م بين الشريف حدود الدولة

---

(١) راجع ص ١٤١ ـ ١٤٢ من الكتاب .

العربية التى يطلب من الإنكليز أن يتعهدوا بمساعدته فى إنشائها ، وطلب « أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ اطنه حتى الخليج الفارسى شمالا ؛ ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا ـ يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى ـ ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا » [1] . وبعد أن حاول السير هنرى مكماهون فى رده على هذا الكتاب التهرب من الارتباط بشىء فى مسألة الحدود اضطر فى رده على كتاب الشريف الثانى إلى أن يتعرض لهذه المسألة ولكن بطريقة معماة ملتوية تتيح للانكليز التحلل فيما بعد . فقال فى هذا الرد المؤرخ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ / ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ م : « . . . إن مرسين واسكندرونه وبعض الأقسام السورية الواقعة فى غربى دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التى ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هـــذه التعديلات على ألا تنقض شيئا من اتفاقنا مع الزعماء العرب . أما الأراضى التى تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية ودون أن توقع ضرراً بحليفتها فرنسا فإن لى السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات التاليه جواباً على كتابكم .

---

(١) راجع ص ١٣٠ ـ ١٣١ من المجلد الأول من كتاب « الثورة العربية الكبرى » لأمين سعيد .

١ — إن انكلترا مستعدة — على أساس تلك التعديلات — أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم فى الحدود التى اقترحها شريف مكة .

٢ — تحمى بريطانيا الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى وتعترف بوحدتها .

٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة أو نصيحة تلزم وتعاونهم فى تشكيل أفضل شكل من أشكال الحكومات فى مختلف البلاد العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العرب يوافقون على الاقتصار على استشارة ومعونة وإدارة بريطانيا العظمى وحدها ، ويرضون بأن يكون جميع الموظفين الذين يحتاجون إليهم لتنظيم دوائر مملكتهم من التبعة الإنكليزية .

أما ما يتعلق بولايتى البصرة وبغداد فإن العرب يعرفون أن مركز انكلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا إداريا خاصا ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الأنحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان ، وتوطيد مصالحنا المشتركة فيها . . . » (١) .

ثم اعترض الشريف على كثير من المسائل التى تتعلق بالحدود والعراق ، وحصلت بينه وبين السير هنرى مكماهون عدة مكاتبات، وأخيراً تفاهم مع الإنكليز

(١) راجع ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ج ١ من المرجع السابق .

وأعلن الثورة فى الحجاز فى يونيه سنة ١٩١٦ م ، ثم امتد أوار الثورة إلى سوريا وكان موقف العرب عاملا حاسما فى كسب الحلفاء للمعركة وحصولهم على النصر . ووقف العرب هذا الموقف آملين أن انكلترا ستفى بالوعد وأنها ستساعدهم على تكوين الدولة العربية كما تخيلها الشريف حسين وحددها أو قريباً من ذلك . غير أن الحوادث أخلفت ظن العرب وأظهرت أن ثقة الشريف فى الوعود والمساعدة البريطانية كانت فى غير محلها ، حيث تبين فيما بعد أنه كانت هناك مفاوضات سرية بين انكلترا وفرنسا بشأن تقسيم الشرق العربى إلى منطقتى نفوذ بين الدولتين فى نفس الوقت الذى كانت تتفاوض فيه انكلترا مع الشريف حسين وأنه تم الاتفاق بين الدولتين نهائيا على ذلك قبل إعلان الشريف للثورة بمقتضى معاهدة سيكس ـ بيكو (Sykes Picot) التى عقدت بين فرنسا وانكلترا فى مايو سنة ١٩١٦ م . وفى ٤ نوفمبر من سنة ١٩١٧ صدر تصريح بلفور المشئوم الذى يعطى اليهود حق الوطن القومى فى فلسطين ويقطع قسما من الدولة العربية التى تعهد الإنكليز للشريف بمساعدته على إنشائها .

وكانت النتيجة العملية أن أصبح تكوين الدولة العربية الموحدة المستقلة بعد معاهدة سيكس ـ بيكو وبعد تصريح بلفور أمراً لا يمكن تنفيذه إلا إذا تغيرت الظروف وجد ما لم يكن بالحسبان . وعلى الرغم من هذا فقد بقيت الفكرة مسيطرة على أصحابها ، وبقى العرب على استعداد للتضحية فى سبيلها .

مملكة سوريا الكبرى :

ولما وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق فى ٢ اكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع بعد ثلاثة أيام من وصوله بلاغا رسميا معلناً أنه قد « تشكلت فى سوريا حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا تاما لا شائبة فيه باسم السلطان حسين (الشريف حسين والد سموه) شاملة جميع البلاد السورية » ، أعلن هذا الأمير فيصل وهو يعرف مابين انكلترا وفرنسا من اتفاق ويعرف وعد بلفور ، ولكنه تجاهل كل ذلك فى سبيل تقرير حق العرب المشروع . غير أن انكلترا وفرنسا لم تتركا إعلان قيام الدولة السورية يمر بدون تدخل ، فأصدرتا فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ تصريحهما (١) الذى يعتبر رداً على ما أعلنه الأمير ، والذى يدل على أن الدولتين لم تنزلا عن أطماعهما وسياستهما المرسومة وينبىء عن تصميم الحليفتين على تنفيذ الاتفاق السرى المعقود بينهما وتنفيذ وعد بلفور .

وكان وصول الأمير فيصل إلى دمشق وإعلانه قيام دولة سوريا الكبرى سبباً فى إلهاب نار الحماسة الوطنية فى نفوس العرب الأحرار ، فالتفوا حول الأمير ونشطت الحركة الوطنية وتألفت الأحزاب وفى مقدمتها « حزب الاتحاد السورى » و « الحزب الوطنى السورى » ، وأعلنت البلاد المطالبة بإنشاء دولة سوريا بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية التى ذكرناها فى مبدأ الحديث ، وطالبت بأن تكون تلك الدولة مستقلة استقلالا تاما تحت حكم فيصل بن الحسين الذى قاد هذه الحركة

---

(١) راجع نص التصريح فى ص ٥ - ٦ ، ج ٢ من المرجع السابق .

الاستقلالية وكافح فى سبيلها كفاح الأبطال على منابر البيان والخطابة فى مؤتمر الصلح حينما انعقد بباريس فى جلسة ٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، وفى ميادين القتال السورية حينما زحف الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال غورو واستولى على دمشق فى يولية سنة ١٩٢٠ م .

وفى هـذه الفترة الأخيرة من الكفاح حدثت أحداث هامة كانت فاصلة فى تاريخ مملكة سوريا الكبرى التى كان يرجى لها أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة ، وسنشير إلى أهم تلك الأحداث فيما نرى بالقدر اللازم لتوضيح الفكرة وبيان تطورها . فبعد وصول اللجنة الأمريكية المؤلفة برئاسة المستر تشارلس كراين والمكلفة بدراسة الأحوال فى سوريا ، وتعرف رغبات السكان ومطالبهم إلى دمشق قابلها رئيس المؤتمر السورى العام الممثل لكل أجزاء البلاد السورية بتاريخ ٣ يوليه سنة ١٩١٩ م ، وكان على رأس وفد مؤلف من واحد وعشرين عضواً عن أعضاء المؤتمر ، وسلم إليها قرار المؤتمر الهام الذى يوضح رغبات السوريين ويحدد مطالبهم [١] . وفى هذا القرار يوضح الشعب السورى فى البند الأول أنه يطلب الاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية بأكملها ، كما سبق أن حددناها ، بدون حماية ولا وصاية ؛ ثم يطلب فى البند الثانى أن تكون حكومة سوريا الكبرى حكومة ملكية مدنية نيابية على طريقة اللامركزية الواسعة مع كفالة حقوق الأقليات ، على أن يكون الأمير فيصل ملكا

---

(١) راجع نص القرار فى ص ٤٨ — ٥٠ ، ج ٢ من المرجع السابق .

على البلاد لأنه جاهد فى سبيل تحريرها ولأنه يستحق ثقة الشعب السورى ؛ وفى البند السادس والسابع يسجل القرار عدم الاعتراف بأى حق تدعيه الدولة الفرنسية فى أى بقعة كانت من البلاد السورية ويرفض أى مساعدة من فرنسا تقدمها إلى سوريا ، كما يرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية (فلسطين) وطناً قومياً للإسرائيليين ؛ وفى البند الثامن يبين قرار المؤتمر السورى ضرورة احتواء الدولة السورية على لبنان وفلسطين ؛ وفى التاسع يطلب الاستقلال التام للقطر العراقى المحرر وعدم إيجاد حواجز اقتصادية بينه وبين سوريا .

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء وقرر وضع المنطقة العربية فيما بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسى تحت الانتداب ، كما قرر تقسيم سوريا إلى ثلاثة أقسام لبنان وفلسطين وسوريا التى تشمل ماتبقى بعد القسمين السابقين ، وفى بقية قراراته أبقى العراق بدون تقسيم . وكانت هذه القرارات التى أثارت نفوس العرب وسخطهم على دول الحلفاء إيذانا بالقضاء على دولة سوريا الكبرى الموحدة المستقلة وبدخولها فى مرحلة جديدة من مراحل التاريخ . فبعد أحداث وتطورات فى الموقف أنذر الجنرال غورو قائد الجيش الفرنسى جلالة الملك فيصل ملك سوريا فى ١٤ يوليه سنة ١٩٢٠ م ، وطلب إليه فيما طلب قبول الانتداب الفرنسى بدون قيد ولا شرط ؛ وفى يوم السبت الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٢٠ م هزم جيش سوريا الكبرى فى موقعة ميسلون ، وفى الساعة الرابعة بعدظهر يوم الأحد الموافق ٢٥ بدأت طلائع الجيش الفرنسى

تدخل أبواب دمشق . وبعدسقوط دمشق طلب الجنرال غورو إلى الملك مغادرة البلاد بقرار من الحكومة الفرنسية ، إذ أن وجوده فى البلاد السورية أصبح فى نظر الفرنسيين خطراً عليهم ، وحدد له الساعة الخامسة من صباح الأربعاء الموافق ٢٨ يوليه سنة ١٩٢٠م لمغادرة محطة الحجاز بدمشق فى طريقه إلى خارج البلاد . ولم يستطع الملك فيصل غير مغادرة البلادفنفذ ما طلب إليه وغادر دمشق فى الموعد المضروب ، ثم أبحر إلى إيطاليا بعد قليل ومكث بها مدة إلى أن سافر إلى لندن فى ديسمبر من نفس السنة بناء على دعوة وجهت إليه من الحكومة الإنكليزية . وكانت خاتمة هذا الدور من تاريخ سوريا الكبرى الاتفاق بين فرنسا وانكلترا بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ على تحديد الحدود بين سوريا ولبنان مناطق الانتداب الفرنسى ، وفلسطين والعراق مناطق الانتداب الإنكليزى .

أرادت انكلترا بعد أن ساعدت فرنسا على توطيد نفوذها فى سوريا ولبنان وبعد أن وطدت نفوذها هى فى فلسطين والعراق واحتلت البلدين بجيوشها ، أرادت بعد أن مزقت سوريا الكبرى وأضاعت استقلالها وخدعت العرب فى سبيل قضاء مصالحها أن تعمل عملا لإرضاء الهاشميين الذين آزروها وخدعوا بألاعيبها ، فأنشأت إمارة شرق الأردن وأسندتها إلى الأمير عبد الله بن الحسين وسوت أمورها فى العراق بعد ثورة العراقيين ضدها ، ثم ساعدت على تولى الملك فيصل بن الحسين عرش مملكة العراق الجديدة .

وكانت النهاية بعد هذه التطورات التى شرحناها أن قضى على مشروع سوريا الكبرى الموحدة المستقلة ، وأن هدأت فكرة المشروع حتى أذن لها أن تتحرك من جديد ، فتحركت ولكن فى ثوب جديد وعلى وجه جديد ؛ فبعد أن كانت سوريا الكبرى المستقلة التى حاربها الإنكليز وقضوا مع حلفائهم الفرنسيين عليها ، أصبحت سوريا الكبرى التى يوعز بالدعوة إليها الإنكليز ، والتى يساعد على قيامها ويرحب بها الإنكليز لتنشأ فى حجرهم وتعيش فى حمايتهم وتحت كنفهم .

عبد الله بن الحسين ومشروع « سوريا الكبرى » :

رأينا فيما سبق أن فيصل بن الحسين هو الذى كان يتزعم حركة الدعوة والعمل لتحقيق مشروع سوريا الكبرى فى دورها الأول ، يوم أن كانت دعوة إلى إنشاء دولة عربية موحدة مستقلة يسعى سكانها العرب إلى تحقيقها ويضحون فى سبيل قيامها بكل ما يستطيعون . أما فى هذا الدور الثانى فإن الذى يتزعم الدعوة إلى تحقيق المشروع هو أخو فيصل عبد الله بن الحسين ، ولكن بعد أن تغيرت الأحوال وتطورت فكرة المشروع ، إذ لو تحقق مشروع سوريا الكبرى الآن كما كان يريد جلالة الملك عبدالله لترتب على ذلك إلحاق سوريا المستقلة وربط لبنان المستقل بشرق الأردن المشمول بنفوذ الإنكليز وحمايتهم ، والمحتل بالإنكليز ، كما يترتب عليه إلحاق القسم العربى من فلسطين بشرق الأردن ، وفى ذلك مافيه من الاعتراف بقيام الدولة الصهيونية بفلسطين وما يتبع ذلك

من النتائج الخطيرة ، ومثل هـــذا يقال فيما يترتب على ربط العراق المستقل بشرق الأردن الذى لم ينل بعد من الاستقلال إلا اسمه . وفيما يلى سنرى تطورات المشروع فى عهد عبد الله بن الحسين .

لما رأى الأمير عبد الله أن فرنسا انهارت فى أوائل الحرب العالمية الثانيـة وأن سيطرتها فى سوريا ولبنان فى طريق الزوال خصوصاً بعد احتلال انـكلترا لسوريا فى مايو وللبنان فى يونيه من سنة ١٩٤١ م ، ورأى بعد ذلك أن الإنـكليز والفرنسيين الأحرار يعلنون العزم على منح البلدين الاستقلال حينما يصبح ذلك ميسوراً ، لما رأى الأمير هذه الأحداث تحدث أثناء الحرب الـكبرى الثانية فـكر فى السعى لتحقيق مشروع سوريا الـكبرى . وإذا تحقق هذا المشروع فسيكون ذلك طبعاً بما يتناسب مع وضع شرق الأردن السياسى ، وما يتناسب مع وضع الإنـكليز فى هذه الإمارة وهم أصحاب السلطان والنفوذ فيهـا . ولقد سارت الحركة الاستقلالية فى سوريا ولبنان فى طريقها حتى وصلت إلى تقرير تنفيذ استقلال القطرين الشقيقين اعتباراً من أول يناير سـنة ١٩٤٤ م مع بقاء جيوش الاحتلال الفرنسية والإنـكليزية فيهما لحين انتهاء أعمال القتال ، وانتهى الأمر بعد ذلك بجلاء الجيوش الأجنبية وباستقلال البلدين استقلالا تاما . وفى هذه الأثناء قويت الرغبة عنـــد الأمير عبد الله فى العمل لتحقيق المشروع فابتدأ سعيه الرسمى بأن أرسل مذكرة هامة إلى الحـكومة البريطانية فى سنة ١٩٤٣ م يشرح فيها رأيه فى القضية العربية ، ويقترح قيام دولة سوريا الـكبرى على أساس الوحدة كما هو مقتضى المشروع الأول من المذكرة ، أو على أساس

الاتحاد كما هو مقتضى المشروع الثانى . وفيما يلى نثبت نص هـذه المذكرة الخطيرة التى تعتبر أساساً لسعى عبـد الله بن الحسين فى تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، والتى ترينا بالتفصيل على أى وجه أراد الأمير أن يتحقق المشروع .

مذكرة الأمير عبد الله إلى الحكومة البريطانية (١) .

بناءاً على وعود بريطانيا العظمى للعرب سابقاً ولاحقاً ، ونظراً لعجز الحكومة الفرنسية الشرعية عن القيام بوكالتها المؤقتة عن جمعية الأمم فى سوريا وزوال تلك الوكالة حكماً بسقوط أهليتها القانونية ، ونظراً لتمتع سوريا باستقلال ودستور شرعيين ، وبالإشارة إلى ما صرح به وزير الخارجية البريطانية المستر انطونى إيدن بشأن الوحدة العربية أرى أن من مقتضيات ذلك ، بل من مقتضيات تسهيل مهمة الديمقراطيات فى الشرق الأدنى ، وإعادة توثيق الصداقة العربية البريطانية التقليدية ، وضمان الثقة والاستقرار الحقيق فى البلاد العربية المحررة منذ الحرب الماضية أن يصار حالا إلى تنفيذ أحد المشروعين الآتيين :

---

(١) أخذنا نص المذكرة عن « مشروع سوريا الكبرى » للدكتور راشد البراوى ، حيث صرح الدكتور فى هامش الصحيفة رقم ٣٩ بأنه نقله عن كتاب « الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربى » ص ٢٢١ — ٢٢٩ .

المشروع الأول

(ا) مشروع الوحدة السورية (الدولة السورية الموحدة والاتحاد العربي) .

١ — إعلان الحلفاء تأييد استقلال سوريا بحدودها الطبيعية واعتبار وحدتها القومية والجغرافية أساساً لنظام الحكم فيها .

٢ — يكون هذا الإعلان تأييداً فى الواقع لمصلحة البلاد ولرغبة الشعب السورى التى أبداها عقب الحرب الماضية وفى جميع المناسبات وسجلتها لجنة الاستفتاء الأمريكية (لجنة المستر كراين) فى حينه ، كما أن المؤتمر السورى الذى انعقد بدمشق ممثلا سوريا المحررة بجميع أقاليمها أى (سوريا الشمالية ، لبنان ، شرقى الأردن ، فلسطين) قد أعلن ذلك فى قرار ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م المبلغ إلى الدول وجامعة الأمم فى حينه ، معبراً فى قراره التاريخى هذا عن إرادة الشعب السورى الحقيقية ، ذلك القرار الذى مازال هو الميثاق القومى لجميع السوريين ، والحكومة السورية الحاضرة مازالت تعتبر يوم إعلانه عيداً رسمياً ، كما أن العلم الرسمى الذى أنشأه لسوريا مازال هو العلم الذى يظلل حكومة شرق الأردن .

٣ — ان مشروع الدولة السورية يتضمن :

(ا) الاعتراف بدولة سوريا مستقلة وذات سيادة يكون نظام الحكم فيها ملكيا ودستوريا .

(ب) تضم الدولة السورية الموحدة (سوريا الشمالية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان) .

(ج) يكون لكل من فلسطين فى بعض مناطقها ولبنان القديمة إدارة خاصة بمقتضى الدستور يلاحظ فى الأول منها حفظ حقوق الأقلية اليهودية ومركز الأماكن المقدسة الخاصة وفى الثانية صيانة امتيازات لبنان القديم .

(د) يلغى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه وهم أصحاب البلاد الشرعيين ، أو يفسر تفسيراً يزيل مخاوف العالمين العربى والإسلامى فيكتفى بالوضع الراهن وهو نسبة الثلث إلى الثلثين وتمنع الهجرة اليهودية .

(هـ) تصان المصالح البريطانية والأجنبية فى الدولة السورية الموحدة بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

٤ — رئاسة الدول السورية .

يدعى سمو الأمير عبد الله بن الحسين لرئاسة الدول السورية بالاستناد إلى الاعتبارات المشروعة الآتية :

(ا) حقوقه الشرعية الثابتة فى الإمارة الأردنية وهى جزء مهم من أجزاء سوريا الكبرى .

(ب) مساهمته سابقاً ولاحقاً بمعونة الحلفاء معونة فعلية وقد اشتملت هذه

المعونة على الساحة السورية فى الحرب الحاضرة .

(ج) كونه الوريث الأول لحقوق والده المغفور له جلالة الملك حسين فى رعاية الحقوق السورية بوجه خاص والحقوق العربية بوجه عام .

(د) وعد الحكومة البريطانية له برئاسة الدول السورية بلسان رئيس وزارتها الحالى المستر تشرشل منذ عام ١٩٢١ وزوال موانع تنفيذ ذلك الوعد بعد انهيار الدولة الفرنسية وسقوط وكالتها القانونية عن جمعية الأمم ، وبعد أن أصبحت بريطانيا العظمى تملك حرية العمل فى الأراضى السورية على اختلاف أقاليمها .

(هـ) رغبة السوريين بالحكم الملكى الدستورى فى حالة تحقيق وحدة البلاد العامة أو اتحادها المركزى .

٥ — الاتحاد العربى .

حال إعلان تأسيس الدولة السورية الموحدة يصار إلى تأسيس اتحاد عربى تعاهدى مؤلف من الدولتين السورية والعراقية (أى من أراضى الهلال الخصيب) بتنظيم الدفاع والثقافة والاقتصاد الوطنى ، وليس ثمة مايمنع انضمام الدول العربية الأخرى إلى هذا الاتحاد على أن تكون رئاسة مجلس الاتحاد العربى دورية أو أن تعطى عند الاقتضاء عهدياً إلى أوسع الدول العربية ثروة ونفوذاً ونفوساً .

المشروع الثانى

(ب) مشروع عملى فى تأسيس دولة سورية اتحادية وقيام اتحاد عربى تعاهدى فى حالة عدم تأسيس الدولة السورية الموحدة حالا فإنه لا يكون متعذراً أن يصار إلى تأسيس اتحاد سورى مركزى (أى دولة سورية اتحادية) ضمن القواعد الآتية الموضوعة فى ضوء المصلحة الحقيقية للبلاد السورية مع تقدير أوضاعها الراهنة بالإضافة إلى مصلحة الحلفاء الحقيقية بالنسبة إلى اكتساب الثقة العامة وتسهيل مهمة الدفاع فى الشرق الأدنى .

١ — تقوم فى الأراضى السورية بحدودها الطبيعية دولة سورية اتحادية مركزية تضم حكومات شرق الأردن وسوريا الشمالية ولبنان وفلسطين عاصمتها دمشق .

٢ — ينظم الاتحاد السورى المركزى شؤون الدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطنى والسياسة الخارجية والثقافة العامة والقضاء الاتحادى مع بقاء الاستقلال الذاتى لكل من الحكومات الإقليمية الأربع باستثناء مايصبح من اختصاص حكومة الاتحاد السورى العامة .

٣ — يكون للاتحاد السورى (مجلس اشتراعى عام منتخب) ممثل للأقاليم المتحدة اتحاداً مركزيا ، ومنه يكون انتخاب رئيس وزراء الاتحاد واختيار أعضاء السلطة التنفيذية الاتحادية وفق أحكام الدستور .

٤ ـ يتم الاتحاد السورى بنتيجة مفاوضات واتفاق بين الحكومات الأربعة الاقليمية ، وتكون الخطوة الأولى فى تحقيقه مفاوضات واتفاق حكومتى شرق الأردن وسوريا الشمالية .

٥ ـ تصاغ قواعد وأسس الاتحاد فى مشروع دستور اتحادى تضعه لجنة مختصة تمثل الأقاليم المشتركة فيه يتفق على عددها وصلاحيتها .

٦ ـ يسمى سمو الأمير عبد الله بن الحسين رئيسا للدولة السورية الاتحادية لعين الأسباب والاعتبارات المبينة فى البند (٤) من المشروع السابق ، ويعهد بإدارة شرق الأردن الخاصة إلى نائب عن سموه .

٧ ـ يناقش ويصدق على مشروع دستور الاتحاد السورى من قبل المجالس التمثيلية للحكومات الاقليمية فى هيئة مؤتمر ، أو من قبل جمعية وطنية عامة تمثل مناطق الاتحاد تنتخب لهذه الغاية .

٨ ـ يعلن دستور الاتحاد رسميا ويعمل به من تاريخ اليوم المعين للتنفيذ وفق المراسم التى تقرر .

٩ ـ فى حالة وقوع انضمام حكومة لبنان أو فلسطين إلى الاتحاد السورى متأخراً أو على أساس تعاهدى فقط يصار إلى تصديق شروط وحدود ذلك الانضمام من قبل مجلس الاتحاد الاشتراعى ومجلس نواب الحكومة المنظمة الاقليمى كلا على حدة ، ثم يعلن تنفيذ ذلك .

١٠ — إذا تخلفت حكومة لبنان عن الانضمام إلى الاتحاد السورى المركزى لأسباب خاصة بها يجب أن تعاد الأراضى السورية الملحقة بلبنان (دون رغبة من السكان) بالاستفتاء الحر إلى سوريا .

١١ — يشترط فى انضمام فلسطين إلى الاتحاد السورى وبالنتيجة إلى الاتحاد العربى العام تحقق الأمور الآتية :

(ا) تقوم حكومة وطنية دستورية فى فلسطين بحدودها الحاضرة .

(ب) يبقى العمل بالكتاب الأبيض موقتاً على أن يحل محله تفسير رسمى لوعد بلفور من الجانب البريطانى خلال مدة معينة ، وهذا التفسير يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربى والإسلامى بتأكيد حقوق عرب فلسطين القومية والسياسية فى وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد ، بحيث يظل مركزهم القومى مضموناً فى فلسطين لايصار إلى انتقاصه عن طريق أى هجرة يهودية أو أى إجراءات أخرى ، مع وقف الهجرة اليهودية الأجنبية منذ الآن والاحتفاظ بالحالة الراهنة وهى نسبة الثلث من اليهود إلى ثلثين من العرب ، تلك النسبة التى أوجدتها منذ نهاية الحرب الماضية حتى الآن هجرة أجنبية متواصلة لم يعترف بمشروعيتها العرب قط .

إن مثل هذه النسبة الطارئة على فلسطين دون موافقة السكان العرب يجب أن تعتبر كافية فى نظر الحكومة البريطانية لتبرير الادعاء بأنها قدأنجزت ماوعدت به اليهود ، لاسيما وهى مرتبطة فى ذات الوقت بالتزامات مقطوعة للعرب من

حقوق قومية وشرعية ثابتة فى وطنهم الموروث .

(ج) يراعى فى إدارة فلسطين الوطنية المركز الخاص للأماكن المقدسة .

(د) تعطى المناطق ذات الأكثرية اليهودية إدارة لامركزية توكيداً لحفظ حقوق الأقلية اليهودية .

(هـ) يبادل الاتحاد العربى العام المواطنين الفلسطينيين من اليهود تعاوناً اقتصادياً نافعاً .

(و) يشترط لإقرار العرب هذه المزايا للأقلية اليهودية فى فلسطين إعلان الهيئة اليهودية المسئولة موافقة اليهود نهائياً على هذا الحل بإشعار الحكومة البريطانية ذلك .

١٢ — فى حالة عدم حل المشكلة الفلسطينية على هذا الأساس من الجانب البريطانى تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد السورى ، كما يظل العرب كأمة ذات ميثاق قومى وحقوق وطنية مشروعة غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن لفلسطين ومثابرين على المطالبة بإلغاء وعد بلفور ، مع العلم أن المشكلة الفلسطينية هى المصدر الرئيسى لتسميم العلاقات البريطانية مع العالمين العربى والإسلامى ، ومع العلم أن فلسطين ليست هى المكان الذى يتسع لحل المشكلة اليهودية العالمية ، وإنه لفى صالح الجميع فى رأى أصدقاء بريطانيا العظمى أن تحل المسألة الفلسطينية كما أوضحنا ، وهو أوفى مايمكن أن يرضى به العرب ، ويكفى أنه فى مصلحة السلام

والاستقرار والعدل الدولى حاضراً ومستقبلا ، كما أنه يقطع دابر الفتنة والشكوك والدعاية المعادية للديمقراطيات فى الشرق الأدنى .

١٣ — بعد قيام الدولة السورية الاتحادية وفق الأسس المبينة فى البنود السابقة يصار إلى تأسيس الاتحاد العربى التعاهدى وفق ماذكر فى البند (٥) من المشروع الأول .

١٤ — تصان المصالح البريطانية والأجنبية فى الدولة السورية الاتحادية بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

***

تقدم الأمير إلى الحكومة البريطانية بهذه المذكرة آملا أن يجد لدى أصدقائه الانكليز أصحاب القوة والسلطان وأصحاب المطامع الاستعمارية والمصالح المختلفة العون والمساعدة فى إنشاء دولة سوريا الكبرى ؛ ثم اتجه من ناحية أخرى فى سنة ١٩٤٣ م أيضا إلى أهل البلاد الذين سيكونون من رعاياه عندما تقوم الدولة المرجوة ، وأصدر بلاغا إلى أهل الشام « حاضره وباديه ومن خليج العقبة إلى البحر الأبيض المتوسط إلى أعالى الفرات » ليعدهم لقبول ماسيجد مما يسعى إليه وجاء فى هذا البلاغ قول سموه : « ألا وإننا لداعون فى الوقت نفسه جملة أهل الحل والعقد فى بلاد الشام إلى مشروع وحدة أو اتحاد سورى شامل ووطن كامل يناقشون أمره فى مؤتمر سورى خاص نرحب بعقده فى عاصمة بلادنا عند مايختارون وقته وزمانه أو يؤيدونه بعد إمعان النظر فى مراميه هيئات وفئات من زعماء وعلماء » .

وبعد هذه الخطوات التى اتخذها الأمير عبد الله اقتضت الأحوال أن يتريث زمنا حتى تنتهى الحرب وتحل المشاكل فيما بين فرنسا وبين سوريا ولبنان ، فلما انتهت الحرب واستقلت سوريا ولبنان أصبحت الظروف مهيأة لنشاط الأمير وسعيه من جديد ، وكانت مقدمة السعى والنشاط أن يتفاهم سموه مع الإنكليز لتعديل وضع شرق الأردن السياسى ، ولو من حيث الشكل حتى يكون من المستساغ لدى السوريين من سكان سوريا الكبرى أن يقبلوا الانضمام إلى شرق الأردن فى وحدة أوفى اتحاد . وكان من نتائج ذلك أن أعلنت انكلترا إلغاء انتدابها على شرق الأردن وأنها أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وأبلغت ذلك إلى هيئة الأمم المتحدة عند بدء انعقاد دورتها الأولى بلندن فى شهر يناير سنة ١٩٤٦ م . فأصبح الأمير عبد الله ملكا لشرق الأردن ، وأصبحت شرق الأردن فى الظاهر دولة مستقلة دستورية ؛ فجلالته إذاً يستحق أن يكون رئيسا لسوريا الكبرى ، ودولة شرق الأردن أصبحت أهلا لأن ينضم إليها لبنان وسوريا وفلسطين أوبعضها والعراق أيضاً على أى وجه من الوجوه ، وغير العراق من البلاد العربية فى المستقبل إن أمكن .

وعلى هذا الوجه اعتقد جلالة الملك عبد الله أن الأمور أصبحت مهيأة لأن تسعى المملكة الهاشمية الأردنية بجد فى سبيل تحقيق المشروع وإنشاء دولة سوريا الكبرى تحت حكم جلالته ، فتحرك المجلس النيابى الأردنى الذى ألف بعد اعلان استقلال شرق الأردن الصورى تأليفاً صورياً أيضاً يتناسب مع استقلال المملكة الجديدة ؛ فكما أن هذا الاستقلال مقيد بالمعاهدة الأردنية البريطانية

التى ربطت مصير شرق الأردن بعجلة بريطانيا العظمى وجعلت من هذه البلاد قاعدة حربية يحق لبريطانيا العظمى أن تستخدمها وفق إرادتها بلا قيد ولا شرط ، فكذلك كان تأليف المجلس النيابى تأليفاً صوريا ، إذ أعطى الدستور الأردنى جلالة الملك عبد الله حق تعيين رئيس مجلس النواب ونائبه وحق تعيين جميع أعضاء مجلس الأعيان ، كذلك ليس لمجلس النواب حق اقتراح القوانين ، ولا حق الزيادة فى النفقات المقترحة فى ميزانية الدولة التى تعرض عليه للموافقة ، والملك هو الذى يبرم المعاهدات بموافقة مجلس الوزراء ولا تعرض على البرلمان ، فهو إذاً مجلس نيابى صورى فى بلد مستقل استقلالا صوريا . تحرك هذا المجلس بأمر من سيده جلالة الملك عبد الله وأعلن فى دورته الأولى سنة ١٩٤٦ م على هيئة ميثاق وطنى أن الشعب والحكومة يتمسكان ويطالبان بتحقيق الميثاق الوطنى القديم الخاص بإنشاء دولة سوريا الكبرى تحت عرش الهاشميين . وكان لهذا العمل أثره السيء فى مختلف البلاد والدوائر العربية ، فأثار السخط والارتياب وعدم الارتياح فى سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ومصر ، خصوصا وقد أثير هذا الموضوع الموجب للخلاف فى صفوف العرب فى وقت حرج بالنسبة للعرب جميعا ، أثير والعرب أشد ما يكونون حاجة إلى الوحدة وضم الصفوف والابتعاد عن كل ما يوجب الفتنة ويثير الخلاف . وتدخل مجلس جامعة الدول العربية حينما انعقد بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ م فى الأمر لفض الخلاف الذى نشب بين سوريا وشرق الأردن نتيجة لموقف الحكومة الأردنية وموقف المجلس النيابى الذى ذكرناه ، تدخل مجلس الجامعة العربية بعد أن

أثار « دولة » المغفور له سعد الله الجابرى « بك » رئيس مجلس وزراء سوريا وممثلها فى مجلس الجامعة الموضوع فى إحدى الجلسات ، فاقترحت مصر بعد نقاش وجدال بين ممثل سوريا وممثل شرق الأردن أن تحال المسألة على لجنة وزراء الخارجية لتفصل فيها ، وهذه فصلت فى الموضوع وقررت التمسك بميثاق جامعة الدول العربية الذى يوجب بمقتضى المادة الثامنة منه أن « تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى ، وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها » . وطلبت اللجنة إلى الفريقين الكف عن إثارة الموضوع من جديد .

ولكن جلالة الملك عبد الله لم يكف ولم يستمع لحكم مجلس جامعة الدول العربية الذى لا تزال بلاد جلالته إلى الآن عضوا من أعضائه ، فأثار الموضوع من جديد وأذاع بيانا عن مشروع « سوريا الكبرى » على الصحف فى أغسطس سنة ١٩٤٧ م ، ثم عقب بإرسال كتاب فى نفس الموضوع إلى فخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا إذ ذاك . وكان أثر هذا العمل من جانب الملك عبد الله فى نفوس الشعوب والحكومات العربية جميعا أسوأ مما سبق ، خصوصا أثره فى الشعب السورى وحكومته ، ولقد عبر عن هذا الأثر السيء « دولة » جميل مردم « بك » رئيس الوزارة السورية فى ذلك الوقت فى تصريحه لمندوبى الصحف بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ م حيث قال لهم : « إن مجلس الجامعة العربية قرر بالاجماع التغاضى نهائيا عن هذا المشروع الذى من شأنه أن يمس علاقات حسن الجوار القائمة بين الدول العربية . وكنا نود لو أن الملك

عبد الله احترم قرار الجامعة ، ولكنه لم يسع الحكومة السورية أمام هذا الاستفزاز الجديد إلا أن تقرر اتخاذ جميع التدابير اللازمة لمنع هذا الاحتيال على الوحدة العربية من خدمة أغراضه التوسعية . ولقد لاحظنا فى الواقع أن مشروع سوريا الكبرى يثار دائما فى أوقات تتفق بشكل غريب والفترات الحرجة التى تجتازها الدول العربية ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا المشروع موعز به من دول أجنبية ، وأنه لا يرمى إلا إلى خلق جو من الاستياء فى الدول العربية فى الوقت الذى هى فى أشد الحاجة فيه إلى توثيق علاقاتها وضم صفوفها . . . ان مشروع سوريا الكبرى مشروع صهيونى لا يرمى إلا إلى تيسير مشروع تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية . . . . . وكان الواجب على الملك عبد الله أن ينسج على منوالنا فيحترم هذه الفترة الحرجة التى تجتازها الدول العربية فى الوقت الذى تبحث فيه المسألتان المصرية والفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة ، وفى الوقت الذى توجد فيه الدول العربية فى أشد الحاجة إلى الوحدة » (١) .

أما الكتاب الذى أرسله جلالة الملك عبد الله إلى فخامة الرئيس السورى فقد كان أول ما نوحظ عليه أنه وصل بعد ما أذاع الملك عبد الله بيانه فى الصحف ، وقد قال جلالته فيه انه يحيل فخامة الرئيس إلى هذا البيان ! فكان مما علقت به الدوائر السورية على هذا التصرف قولها : إن هذه طريقة جديدة فى الكتابة إلى رؤساء الدول ! ولقد كان الرئيس شكرى القوتلى — كما يقول العارفون —

---

(١) نشر التصريح فى الصحف الصادرة يوم السبت الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٧م .

حازما كل الحزم وصريحا كل الصراحة وقاسيا كل القسوة فى الحديث الذى وجهه إلى «معالى» الشريقى «باشا» حامل رسالة الملك عبد الله ورئيس ديوان جلالته إذ ذاك. فلم يعط الرئيس السورى الشريقى «باشا» رداً كتابياً على تلك الرسالة واكتفى بالرد الشفوى ، وكان مما وجهه فخامته لمعاليه قوله : « أنتم غير مستقلين ونحن مستقلون ، فلماذا تريدون أن تحملونا أغلالكم ؟ ! » وقال له أيضا : « أى استفتاء تريدون ؟ ! لقد استفتى الشعب السورى أربع مرات فما اختار سوى النظام الحالى نظاما له ، فاذهبوا واستفتوا أهل شرق الأردن ! » .

وبعد هذه الأحداث تمت الزيارة التاريخية التى أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى الرياض أو اخر شهر يونيه سنة ١٩٤٨م بعد أن تهيأت الأسباب ووجدت الظروف المناسبة لتلك الزيارة كما سبق أن ذكرنا (١) ، ولقد تفاهم الملكان وأعلنا فى بيانهما الملكى اتفاقهما « بصورة خاصة فى تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه ، مما هو داخل فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى حدود مسئوليتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين » (٢) .

اتفق الملكان إذاً فى هذه الزيارة على جعل تقرير مصير فلسطين فى يد أهلها العرب يبتون فيه وفى نوع الحكم الذى يختارونه بمطلق حريتهم بعد انتهاء الجيوش العربية من مهمتها بتحرير البلاد الفلسطينية وطرد العصابة الصهيونية منها ،

(١) تحدثنا عن هذه الزيارة فى ص ٢١٦ — ٢٢٧ من الكتاب .

(٢) راجع نص البيان فى ص ٢٢٥ من الكتاب .

واتفقا بالتالى على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد . ولكن مع الأسف لم تمض على هذه الزيارة وتلك الاتفاقات غير خمسة أشهر حتى فوجئت الأمة العربية بحوادث أريحا المزعجة ، وذلك ما سنتحدث عنه فيما يلى .

مؤتمر أريحا احدى مراحل التطور للمشروع

بعد أن هلل العرب وكبروا للزيارة التى أداها الملك الهاشمى للملك السعودى واعتقدوا أنها تعتبر مطلعاً لفجر عهد جديد سعيد فى تاريخ العلاقات العربية وأن مشروع سوريا الكبرى الموجب للخلاف والشقاق فى صفوف الأمة العربية قد طوى نهائيا ، بعد هذا كله بقليل فوجئوا بأخبار مؤتمر أريحا . ففى يوم الأربعاء الموافق ٣٠ محرم سنة ١٣٦٨ هـ أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد جماعة من اللاجئين الفلسطينيين يبلغ عددهم نحو الألفين مؤتمرا ببلدة أريحا الواقعة على الحدود الفلسطينية ، وكان ذلك تحت رياسة الشيخ محمد على الجعبرى رئيس بلدية الخليل وبعد تمهيد ودعوة من رجال الملك عبد الله وعملائه الذين أرغموا هؤلاء المشردين المحتاجين من اللاجئين الفلسطينين بواسطة الترغيب أو الترهيب على أن يأتمروا بأريحا ويصدروا قرارتهم الخطيرة . وفى يوم السبت الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ظهرت الصحف تحمل الأخبار الجديدة عن ملك شرق الأردن وتذكر أن « الملك عبدالله يبايع نفسه ملكا على فلسطين » ، كما ذكرت أخبار المؤتمر ونشرت عن قراراته ما يلى :

أولا — المناداة بالملك عبدالله ملكا على شرق الأردن وفلسطين .

ثانيا — أن يكون اسم المملكة الجديدة « شرق الأردن وفلسطين » . وهناك من يقترح أن يكون الاسم الجديد « مملكة جلوب سوريا » . والغرض من هذه التسمية أن تكون خطوة أولى نحو تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذى يدعو إليه الملك عبد الله .

ولقد ذكرت الصحف أنه مما تقرر كذلك أن ينادى بالملك عبد الله ملكا على فلسطين كلها وليس على جزء منها ، وكان مما علقت به بعض هذه الصحف على تلك القرارات قولها : فكأن مصر وسائر الدول العربية قد بذلت على أرض فلسطين دمها ومالها وجهودها وحياة أعز أبنائها لكى تكون فلسطين لقمة سائغة لشهوة أو لمطمع ! وكأننا فعلنا كل ما فعلناه لتصبح فلسطين قاعدة إنكليزية باسم عربى ، ومستعمرة بريطانية تحت تاج عربى . ولتكون نقطة للوثوب إلى سوريا وغيرها لتحطيم استقلالها ، وهكذا تستعبد البلادالعربية كلها وهى التى كانت تحاول تحرير فلسطين وشرق الأردن .

كما ذكرت الصحف أنه على أثر ارفضاض مؤتمر أريحا تشرف مكتب المؤتمر بالمثول بين يدى جلالة الملك عبدالله بالشونة التى تقع قريبا من أريحا ، ورفعوا إليه وثيقة المبايعة ومطلب تأليف المملكة الواحدة من فلسطين وشرق الأردن ، ورجوا من جلالته النظر فى هذا وسرعة إنفاذه دستوريا إذا اقترن بالقبول والموافقة . ولقد بعثت سكرتارية المؤتمر بنسخ من قراراتها إلى سكرتارية هيئة الأمم المتحدة أثناء انعقادها بباريس ، وإلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

وإلى كل من الدول العربية على حدة .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس وزراء المملكة الأردنية اجتماعا طويلا لدرس مقررات مؤتمر أريحا ، ثم أذاع على أثر ارفضاضه بلاغا رسميا قرر فيه أن مقررات أريحا تتفق مع أهداف حكومة الملك عبد الله وأن هذه الحكومة ترحب بها وتسعى إلى تحقيقها بالوسائل الدستورية والدولية وأنها ستنفذها فى الوقت المناسب ، كما قرر عرض هذه المقررات على مجلس الأمة ليبدى رأيه فيها نظرا لما لها من علاقة بكيان البلاد ومستقبلها .

وفى يوم الاثنين الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس الأمة الأردنى المؤلف من مجلسى الأعيان والنواب اجتماعا لمناقشة مقررات أريحا ، وشهد هذا الاجتماع رئيس الوزراء والوزراء ورجال السلك السياسى وعدد من الفلسطينيين والشبان والزعماء الأردنيين . ولما اجتمع المجلس ألقى رئيس الحكومة الأردنية خطابا عن موقف هذه الحكومة من قرارات أريحا ومواقفتها التامة عليها ، وبعد خطب التأييد من بعض الأعضاء قرر المجلس الموافقة على القرارات بالإجماع ؛ ثم رفع القرار إلى جلالة الملك عبد الله فشكر لأعضاء المجلس والحكومة هذه الثقة وقال لهم : « لقد حملتمونى عبئاً ثقيلا ، وأرجو الله أن يوفقنى لما فيه خير الأمة العربية » .

وقفت قرارات مؤتمر أريحا وتطورات مشروع سوريا الكبرى مؤقتا عند هذا الحد ، أما موقف دول الجامعة من ذلك فقد استهله ملك وادى النيل

السابق إذ دعا رئيس الديوان فى مساء الخميس الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م وزراء الدول العربيـة المفوضين فى القاهرة كلا منهم على حدة ، وأبلغهم رسالة ملـكية سامية شفوية إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسـمو ملوك هذه الدول ورؤساء جمهورياتها والوصى على عرش العراق . وكانت هـذه الرسالة الملـكية خاصة بفلسطين وبمؤتمر أريحا ، وبعد إبلاغها وردت الموافقة عليها من سوريا ولبنان والمملـكة العربية السعودية واليمن والعراق ، وأجمعت شعوب هذه البلاد وحكوماتها على وجوب احترام قرارات الجامعة العربية المتعلقة بفلسطين ، وعلى وجوب التمسك ببيان ملك وادى النيل الذى ألقاه رئيس الديوان على رؤساء وفود الدول العربية لدى اللجنة السياسية عندما قابلوا الملك بعد ظهر يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨ ، والذى أمن عليه الجميع واعتبروه عهدا واجب التنفيذ . ولقد جاء فى هذا البيان الملـكى « إنه إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لإنقاذها فجلالته يود أن يكون مفهوما صراحة أنه يجب النظر إلى هذه التدابير كإجراء مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين ، وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون . »

ثم ذهب بعد ذلك وفد عراقى مؤلف من نورى السعيد «باشا» وجميل المدفعى «بك» والفريق صالح صائب «باشا» إلى عمان لمقابلة جلالة الملك عبدالله والسعى لديه حتى لاينفذ قرارات مؤتمر أريحا التى أثارت الشعوب العربية وأسخطتها وهزت أركان الوحدة بين العرب ، فاجتمع الوفد مع جلالته فى مؤتمر تحت رياسته

وبحضور توفيق أبوالهدى «باشا» وسعيد المفتى «باشا» وفوزى الملقى «باشا» من الجانب الأردنى . ويقول مندوب الأهرام إنه اتصل به « أن الملك عبدالله صرح لأعضاء وفدالعراق بأنه يرى أن هذه القرارات تعبر عن رغبة السكان الفلسطينيين ، وأنه لايستطع أن يعارض هذه الرغبة . وطمأن جلالته الوفد إلى أن تنفيذ هذه القرارات مرهون بالوقت المناسب » . ولقد صرح دولة جميل المدفعى « بك » مندوب جريدة المصرى فى دمشق بعد وصول دولته إليها بأن الوفد العراقى نجح فى مهمته ، وأن الملك عبد الله قبل بقاء « الحالة الراهنة » بفلسطين على ماهى عليه . وبعد الوفد العراقى ذهب وفد يمنى إلى عمان مؤلف من سمو الأمير سيف الإسلام محمد نجل إمام اليمن وسمو الأمير يحيى شقيق جلالته ، وكان الوفد اليمنى يحمل رسالة من جلالة الإمام أحمد ملك اليمن إلى جلالة الملك عبد الله . ولما انتهت زيارة الأميرين للملك عبد الله غادرا عمان هما ومن كان فى صحبتهما إلى دمشق فوصلوا إليها فى يوم الثلاء الموافق ٤ يناير سنة ١٩٤٩ م ، وقداجتمع مراسل المصرى فى دمشق بأعضاء الوفد يوم الأربعاء التالى فصرح له سعادة القاضى العمرى أحد أعضاء الوفد ورئيس وفد اليمن إلى مجلس الجامعة العربية « بأن مباحثات الأميرين اليمنيين مع جلالة الملك عبد الله أسفرت عن اقتناع جلالته بعدم إعلان تتويجه على فلسطين رسميا » . وعلى الرغم من هذا فقد أراد الملك عبد الله أن يقنع الأميرين اليمنيين بأن قرارات مؤتمر أريحا كانت قرارات صحيحة صادرة عن أهل فلسطين باختيارهم ورغبتهم ودون تدخل من جانب رجاله وعملائه ، إذ أن جلالته كان يعتزم زيارة مناطق أريحا ونابلس

وجنين فلما علم بمقدم الأميرين أجل تلك الزيارة حتى حضرا إليه فاستصحبهما معه في زيارته لهذه المناطق بعد أن أعدت العدة ودبرت المظاهرات التي تدل على تأييد مبايعته ملكا على فلسطين ، غير أن الشباب الفلسطيني في « رام الله » لم يشأ أن يترك مظاهرات التأييد تمر بدون أن يعبر عن رأيه الصحيح ، فقام بمظاهرة حاشدة هتف فيها للوحدة العربية ولم يهتف « لسوريا الكبرى » ولا « لمملكة جنوب سوريا » الأمر الذي دعا البوليس الأردني إلى التدخل وتفريق هؤلاء المتظاهرين الممتردين في نظره بالعصى .

الأصبع الإنكليزية

وإذا أردنا أن نعرف هل كان للإنكليز يد فى ترتيبات أريحا فينبغى لنا ألا نقف عند التصريحات التى أذاعها بعض الساسة البريطانيين يعلنون فيها أن انكلترا لم تشجع جلالة الملك عبد الله على اتخاذ تلك الترتيبات التى أثارت ثائرة العرب فى مختلف أقطارهم . فالواقع أن انكلترا هى التى أوحت بمؤتمر أريحا وأنها هى التى اختارت له الوقت المناسب بعد أن ظنت أن هذا الوقت الذى اختارته هو نفس الوقت الذى ستصدر فيه هيئة الأمم المتحدة قرارها بتأييد الاقتراح الإنكليزى الذى يدعو فى حل مشكلة فلسطين إلى الأخذ بتقرير الكونت برنادوت بعد مصرعه ، ذلك التقرير الذى يقترح ـ طبقا للرغبات البريطانية ـ ضم القسم العربى من فلسطين ، وفيه منطقة النقب ، إلى الدولة الأردنية الهاشمية . « وانكلترا تعلم علم اليقين أن الدول العربية تعارض هذا أشد المعارضة لأنه ينطوى من ناحية على تنفيذ التقسيم وقيام دولة إسرائيل ، ولأنه يخشى من ناحية ثانية أن يكون خطوة من خطى تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذى لاترتضيه تلك الدول بحال . وحسبت انكلترا أنها ناجحة بفعل التأييد الأمريكى فى سبيل الحصول على كثرة الثلثين من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة تأييدا لاقتراحها الذى تبنته معها الولايات المتحدة ، فأوحت دون ريب بمهزلة مؤتمر أريحا حتى تجابه الحكومات العربية بقرار « الأمم المتحدة » وبقرارات « أريحا » فى وقت واحد ، فيفت هذا الازدواج فى عضدها وتخضع للأمر الواقع فى الحظيرة الدولية وفى الحظيرة « الفلسطينية الداخلية » . لكن

الاقتراح البريطانى لم يكتب له التوفيق فى هيئة الأمم المتحدة إذ لم ينل كثرة الثلثين المشروطة ، وكانت الاستعدادات قد تمت لإخراج مؤتمر أريحا وقراراته ، فبدأ وحده فريدا ، وكان مهزلة مكشوفة اضطرت إنكلترا معها إلى أن تعلن أنها لم تشجع جلالة الملك عبد الله عليها » (١) .

ولقد كان المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية بعيد النظر وممارسا للسياسة البريطانية التقليدية حينما أشار على جلالة الملك عبد الله عند زيارة جلالته للندن لتوقيع المعاهدة مع الحكومة الإنكليزية فى أوائل سنة ١٩٤٦ م بعدم الانسحاب من جامعة الدول العربية . فلقد عُرف أن جلالة الملك عبد الله حينما زار لندن لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتى أعلن نفسه على أثر توقيعها ملكا وصاحب جلالة على شرق الأردن ، عرف أنه صارح المستر بيفن برغبته فى الانسحاب من جامعة الدول العربية ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٤٦م كما ذكرنا ، ولكن وزير الخارجية البريطانية رأى أن بقاء شرق الأردن عضوا فى جامعة الدول العربية يمكن الساسة الإنكليز من تنفيذ أغراضهم والقيام بألاعيبهم السياسية فى الخفاء « ومن وراء ستار عمان » — كما يقول الأستاذ محمد التابعى فى بعض كتاباته — فلهذا أشار الوزير على صديق انكلترا الحميم وحليفها الوفى الملك عبدالله بن الحسين صاحب الأطماع الكبيرة بأن يبقى عضوا فى الجامعة العربية ولا ينسحب . وسمع جلالته لهذه

---

(١) من مقال للدكتور محمود عزمى نشر فى الصحيفة رقم ٤ من « أخبار اليوم » بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .

النصيحة ، ولايسعه إلا أن يسمع لنصائح أصدقائه من الساسة البريطانيين ، فهم أصحاب الفضل فى إنشاء إمارة شرق الأردن وتنصيب سمو الأمير عبد الله بن الحسين أميرا عليها فى سنة ١٩٢١ م ، ثم فى جعل هذه الإمارة مملكة وجعل سمو الأمير صاحب الجلالة ملك شرق الأردن فى سنة ١٩٤٦ م ، والخزانة البريطانية تدفع سنويا لمملكة شرق الأردن الصغيرة الفقيرة بضعة الملايين من الجنيهات ، وجلالة الملك عبدالله كان لايزال يطمع فى عطف الحكومة البريطانية ومساعدتها ، وكان لايزال يأمل فى معونتها له ليحقق مشروع سوريا الكبرى . « ولقد تبدت فى هذه الشهور التى عقد فيها مؤتمر أريحا آثار نصيحة مستر بيفن ، أو نصيحة السياسة البريطانية البعيدة النظر ؛ وإلا لو كان الملك عبدالله قد خرج من الجامعة فى عام ١٩٤٦ م فهل كانت السياسة البريطانية قد استطاعت بعد ذلك أن تحقق أغراضها فى فلسطين ؟ ... وهل كان العرب اعتمدوا بين ما اعتمدوا عليه على الجيش الأردنى ؟ ... وهل كانوا فوجئوا كما فوجئوا بكف هذا الجيش عن القتال فى الوقت الذى كان القتال لايزال دائرا فيه بين العرب واليهود ؟ ... وهل كانوا فوجئوا بإخلاء اللد والرملة بناء على أمر أصدره جلوب باشا ؟ . . . وهل كانت وحدتهم ـ وحدة العرب ـ أصيبت بما أصيبت به فى تلك الأيام ؟ ... ووحدة العرب ليست قطعا مما تطمئن أو تستريح إليه لندن وهويت هول ! ! إذاً فإن الملك عبد الله قد بقى فى جامعة الدول العربية لكى تستطيع بريطانيا أن تمضى فى تحقيق أهدافها السياسية من ورائه . . . من وراء ستار عمان » .

وهكذا نرى بريطانيا تمارس الشيء ونقيضه ولاترى فى عملها هذا شيئاً من الغضاضة أو الاستنكاف مادام فى رأيها يوصلها إلى الغرض ، فهى التى أشارت بتكوين جامعة الدول العربية وشجعت هذه الفكرة على لسان وزير خارجيتها فى سنة ١٩٤٣ م المستر إيدن ، (١) وهى التى ضغطت على الجامعة العربية ودولها إلى حد الإحراج ، خصوصا فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، إذ أنها بعد أن سمحت وشجعت دخول الجيوش العربية البلاد الفلسطينية لتطهيرها من الصهيونيين ورأت الجيوش العربية المظفرة قد قاربت النصر وأوشكت أن تقضى على العصابات الصهيونية عادت فضغطت على الحكومات العربية لقبول الهدنة حتى قبلوها بحكم الظروف القاسية . ثم تمادت بريطانيا فى ضغطها على العرب وإحراجها لجامعة الدول العربية فمنعت السلاح والذخيرة عن الدول العربية رغم مابينها وبين بعض هذه الدول من معاهدات تقضى بتقديم السلاح والمعونة الحربية لها فى مثل هذه الأحوال ، فى حين أنها أعطت الفرصة لليهود ليتزودوا بالسلاح والذخيرة والرجال من أمريكا وروسيا وغيرهما من مختلف أنحاء العالم ، فوق ما أعطاه الجيش الإنكليزى نفسه لليهود من مخازن السلاح والذخيرة فى حيفا وغيرها من البلاد الفلسطينية . وتماديا فى الضغط على الجامعة العربية والنكاية بها أوحت بريطانيا لحليفها ووليها جلالة الملك عبد الله فتوقف جيشه عن القتال الدائر بفلسطين فى الساعات الحرجة ، وفاجأ هذا الجيش العرب والمصريين على وجه الخصوص بإخلاء اللد والرملة كما سبق أن ذكرنا ، ثم

(١) راجع ص ١٧٤ ــ ١٧٥ من الكتاب .

فاجأ جلالته الأمة العربية فى هذه الأوقات العصيبة بمؤتمر أريحا متماديا فى تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، وغير مكترث بما يترتب على ذلك كله من الفت فى عضد العرب وتصدع وحدتهم وإضعاف جامعتهم مادام ذلك يلبى رغبات السادة الإنكليز ويحقق أطماعه وأطماعهم .

إذاً فقد عطفت بريطانيا على إنشاء الجامعة العربية وشجعتها حينا ، ثم ضغطت عليها وأحرجتها حينا آخر ، عطفت عليها وشجعتها هى وحليفتها أمريكا حينما كانت مصلحة الدولتين تقتضى تكتيل العرب ليقفوا مع الإنكليز والأمريكان ضد خصومهم وليساعدوهم فى محنتهم (١) ؛ وضغطت عليها وأحرجتها حينما رأتها تحاول التحرر من القيد البريطانى ورأت العرب يجدون فى طريق الحرية والاستقلال غير مبالين بقيود بريطانيا الاستعمارية ولا بالمؤازرة الفعالة والمعونة الحاسمة التى قدمها الأمريكان والروس إلى الصهيونيين . وكان من أشد الضربات التى وجهتها بريطانيا إلى جامعة الدول العربية تلك الضربة التى كادت تزعزع من كيان الجامعة حينما عملت الحكومة البريطانية على التخذيل بين دول الجامعة بمختلف الوسائل واستطاعت أن تزيد الضغط على مصر الأبية الوفية لعهدها وأن تجعل جيشها المظفر يتلقى هجمات الصهيونيين وحده فى المدة الأخيرة من حرب فلسطين بعدأن سمع أصدقاء بريطانيا من الساسة العرب فى عمان

(١) راجع هامش ص ١٧٥ من الكتاب ، ومذكرات المستر كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس روزفلت التى نشرتها « أخبار اليوم » بالصحيفة رقم ٤ من العدد الصادر بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٩ م .

وبغداد للدسائس الإنكليزية البارعة ، وبعد أن تورط ساسة بيروت ودمشق عندماذكروا بجميل انكلترا على البلاد اللبنانية والسورية فى مساعدتها على الاستقلال والتحرر من النير الفرنسى ، وعندما لوح الإنكليز والأمريكان لهم بإمكان استفادة البلدين من دولارات مشروع «مارشال» ، وسوريا ولبنان كانتا ولاشك فى حاجة شديدة إلى المعونة المالية . (١)

ومن طرائف السياسة البريطانية فى ممارسة الشىء ونقيضه ذلك الذى حدث فى أواخر شهر يناير سنة ١٩٤٩ م ، فبينما كان المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا يلقى كلمته فى مجلس العموم البريطانى مشيدا بفضل العرب على بريطانيا ومنوها بسابق وفائهم لها ، « وفى الوقت الذى أنحى فيه باللائمة على اليهود واعتبرهم فى أطماعهم خطرا على السلام فى الشرق الأوسط ، فى هذا الوقت كان مجلس الوزراء البريطانى ، الذى أيدت أغلبيته وزير الخارجية فيما قال ، يوافق على الاعتراف بدولة اسرائيل ، ثم يشترك مع وزراء دول الحلف الغربى فى تدبير اعتراف إجماعى من هذه الدول الخمس . ولعله كان يتوقع أن العرب سيصدمون أو سيزداد سوء ظنهم ببريطانيا ، ولهذا وجه إليهم هذا الكلام المعسول ليتمدحوه وليخدعوا فيه وفى بريطانيا حتى إذا أعقبة اعتراف هذه البلاد بدولة إسرائيل كان وقعه أقل شدة من وقعه لولم يوجه مستر بيفن هذا الكلام إلى العرب . إنه تخدير أعصاب لاغير ! وهو ديدن بريطانيا مع العرب ، كلام

(١) راجع ص ٢١٢ — ٢١٤ من الكتاب ، ومقال الدكتور محمود عزمى عن أسباب انفراد مصر بالقتال المنشور بأخبار اليوم فى أول يناير سنة ١٩٤٩ م .

معسول ونكث بالعهود ! . . . ان بريطانيا تتابع سياسة إرضاء النقيضين ، ولقد فشلت هذه السياسة ، وهى اليوم أشد فشلا مما كانت فى أى وقت مضى . » (١)

وبعد ! فإنه ينبغى لنا أن نسجل أن هـذه المحن التى حلت بجامعة الدول العربية وهى لاتزال فى دور الطفولة من سنى حياتها ، هذه المحن التى حلت بالجامعة بسعى من السياسة الاستعمارية البريطانية وبسبب أخطاء بعض الحكومات العربية سوف لاتفصم عرى الوحدة العربية وسوف لاتهدم بناء الجامعة العربية وان هزت أركانه وعمده . سوف لايقع هذا بإذن الله لأن إنشاء الجامعة العربية كان بعد شعور الأمة العربية جمعاء بالحاجة إلى إنشائها ، وبعد إيمان الشعوب العربية فى مختلف الأقطار بأنها ضرورة لازمة لحماية مصالح العرب . فهى فكرة أوحت بها الشعوب العربية أولا ، ثم جاءت الحكومات العربية فنفذتها فى الظروف التى شرحناها ؛ ولن تكون أخطاء بعض هذه الحكومات أو بعض رجالات العرب سببا فى هدم هذا البناء الذى طالما تمنى العرب أن يقام ويشيد وأن يكون وسيلة لاتحاد العرب ، وسوف لاتقف المطامع الخاصة فى سبيل غرض عام تؤمن كل الشعوب العربية إيمانا جازما بلزومه لها ! ولكن على الشعوب العربية أن تعالج الأخطاء التى وقعت وأن تحتاط حتى لايقع مثلها فى المستقبل .

(١) من « كلمة المصرى » عن اعتراف بريطانيا بإسرائيل المنشورة بالصحيفة رقم ٤ من جريدة المصرى بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩م .

موقف ابن سعود من « مشروع سوريا الكبرى » فى تطوراته المختلفة

وقبل أن نتحدث عن موقف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود من مشروع سوريا الكبرى فى مراحله المختلفة نحب أن نبين أولا موقف جلالته من المشروع الأساسى الذى بنيت عليه فكرة المشروع الذى نحن بصدده ، مشروع سوريا الكبرى . وهذا المشروع الأساسى هو مشروع الدولة العربية الكبرى الذى فكر فيه وحاول تحقيقه المغفور له الشريف حسين ملك الحجاز السابق ووالد جلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن . فلقد سبق أن بينا كيف حاول الشريف حسين تحقيق هذا المشروع وكيف أراد بناء الإمبراطورية العربية ، فاتصل بالانكليز واتفق معهم وخرج على دولة الخلافة العثمانية وحاربها فى صفوف الحلفاء (١) .

ولما أعلن الشريف حسين نفسه ملكا على العرب فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ م شرع يعامل زعماء الجزيرة العربية وأمراءها وفيهم ابن سعود معاملة الذين أصبحوا من أتباعه ورعاياه ، بعد أن صار فى نظر نفسه ملكا للعرب جميعاً ؛ فأرسل فى أواخر سنة ١٩١٦ وأوائل سنة ١٩١٧ م إلى أمير الرياض ابن سعود بالهدايا والتحف وثلاث صرر من الذهب الانكليزى الذى وصل إلى الشريف ليستعين به فى الثورة على الأتراك . وكان يبلغ مجموع هذه الصرر من الذهب نحو خمسة عشر ألفا من الجنيهات . أرسل الشريف لابن سعود هذه الهدايا والتحف والأموال على دفعات ، وكما كان يفعل سلاطين آل عثمان مع

(١) راجع ص ١٤١ — ١٤٥ وص ٢٢٨ — ٢٣٢ من الكتاب .

أتباعهم من الأمراء ، فكان يجيء الرسول بها إلى ابن سعود ويقول : من جلالة الملك ! ولا يزيد على ذلك شيئاً . وبعد أن فهم ابن سعود غرض الشريف من هـذا التصرف وعلم أنه يريد تقرير تبعية البلاد السعودية له بطريقة عملية أراد من ناحيته أن يضع الأمور فى نصابها وأن يفهم شريف مكة بأسلوب صريح واضح أن البلاد السعودية بلاد مستقلة وأن أميرها ابن سعود لايقبل التبعية لشريف مكة بحال من الأحوال ، فأرسل إليه وفدايحمل بعض الهدايا ويحمل خطابا منه إلى الشريف يطلب تحديد الحدود بين نجد المستقل والحجاز « لتزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . وكان وفد ابن سعود مؤلفا من أخيه محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، ومن عبد العزيز بن تركى ، ومشارى بن جلوى ، ومحمد بن ناصر الفرحان . وعند اجتماع أعضاء الوفد السعودى بالملك حسين دار الحديث بينهم وبينه فى الشئون السياسة ، وطالبوا بتحديد الحدود نهائيا بين نجد والحجاز ، وبالاعتراف بنجد ومصالحها . ولكن هذا العمل لم يرق جلالة الملك الهاشمى الذى يرى لنفسه الحق فى أن يكون ملكا للعرب جميعاً . فأظهر امتعاضه لهذا الطلب الجرىء ولم يعط الوفد جوابا صريحا وإنما اكتفى بقوله لأعضاء الوفد : قولوا لموفدكم : « كل ماأنت عليه فهو لك » ويروى صاحب «تاريخ نجد الحديث» أن الشريف حسينا أظهر غضبه وامتعاضه فى كلمات شديدة جارحة ، وهكذا عاد الوفدالسعودى إلى نجد دون أن ينال منالا من شريف مكة أو يحل معه مشكلة .

أما ابن سعود فإنه بعد أن أفهم الشريف أن نجدا بلد مستقل وأنه لايقبل منه أن يزعم لنفسه أنه ملك للعرب جميعاً اتجه إلى حلفائه الانكليز وكتب

إلى الوكيل البريطانى فى البصرة السير برسى كوكس يطلب إليه الاجتماع به فى القريب العاجل ، فاجتمعا فى العقير ، وكان قد سبق أن اعترف الانكليز باستقلال نجد وتعاهدوا مع ابن سعود على يد السير برسى كوكس نفسه فى ديسمبر سنة ١٩١٥ م . (١) وعندما علم الوكيل البريطانى بما حدث قال لابن سعود : « لاتكترث به ، نحن ضامنون استقلالك ، ونتعهد بألايعتدى عليك الشريف أو غيره » ثم ألح عليه أن يعطيه عهدا بألايكون بينه وبين الشريف محاربة إذ الشريف أيضا قد أصبح حليفا لانكلترا ، فوعده ابن سعود بذلك على شرطين ، أولهما ألايتدخل الشريف فى شئون نجد ، وثانيهما ألايتكلم باسم العرب وألايدعو نفسه ملك العرب ، إذ أنه ملك للحجاز فقط ، تعهد السير برسى كوكس بذلك وتدخلت الحكومة الانكليزية فى الأمر ، كما سبق أن ذكرنا ، وأخبرت الشريف حسينا بأنها قد ارتبطت مع أمير نجد بمعاهدة وضمنت له استقلاله ، وأنها لايسعها الاعتراف بالشريف إلا أميرا للحجاز فقط وأن عليه ألا يتدخل فى شئون نجد وأن يراعى مابين نجد وبين انكلترا من ارتباطات . (٢)

وبذلك يكون ابن سعود قد حدد موقفه من مشروع الدولة العربية الكبرى الذى فكر فيه وحاول تحقيقه الشريف حسين ، فلم يقبل أن يتنازل عن استقلاله ويندمج تحت لواء الشريف ، بل تمسك بحقوقه ودافع عنها كما رأينا (٣) .

* * *

(١) راجع ص ١٣٢ ــ ١٣٣ من الكتاب .

(٢) راجع ص ١٤٤ ــ ١٤٥ من الكتاب .

(٣) راجع فى هذا الموضوع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١١ ــ ٢١٢ ؛ و« الثورة العربية الكبرى » ج ٣ ، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٧ ؛ و Geschichte der islamischen Völker ص ٤٢٨

تغيرت الأحوال بعد ذلك ودالت دولة الشريف حسين فى الحجاز واستولى عليها ابن سعود نهائيا فى نهاية سنة ١٩٢٥ م وكان الأمير فيصل بن الحسين قد أصبح ملكا على العراق كما أصبح أخوه الأمير عبد الله بن الحسين أميرا لشرق الأردن فى سنة ١٩٢١ م . ورأى الملك فيصل ملك العراق أن يسوى علاقاته مع ابن سعود فى سنة ١٩٣٠ م ، ثم سعى بمساعدة الإنكليز فى تسوية العلاقات بين أخيه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن وبين ابن سعود فاعترف كل منهما بالآخر فى سنة ١٩٣٣ م .

ولقد تطور مشروع سوريا الكبرى على الوجه الذى ذكرناه حتى أصبح بطله الأمير عبد الله بن الحسين فحاول محاولاته التمهيدية وكتب مذكرته إلى الحكومة البريطانية أثناء الحرب الأخيرة ، وكان ابن سعود فى كل هذه المراحل يقظا متنبها للأحداث لايقبل ولا يرضى بأن تتم هذه المحاولات التى يقوم بها أمير شرق الأردن فى سبيل تحقيق مشروع سوريا الكبرى . فابن سعود يعرف أنه إذا تم هذا المشروع فستترتب عليه نتائج خطيرة بالنسبة إليه ، سيترتب عليه قيام دولة فى شمال المملكة السعودية تكون أكثر عددا وأوفر موردا من هذه المملكة وتخضع للبيت الهاشمى الذى لم يزل أفراده ـ وعلى رأسهم عبد الله بن الحسين ـ يذكرون أن الحجاز كان لهم وأنه قد ضاع منهم « ومن يدرى ؟ ! فقد تحاول الدولة الجديدة إذا استقرت أمورها وقويت ودان لها السلطان استرجاع بلاد الحجاز بالقوة بطبيعة الحال . . . . . ولا ريب أن محاولة من هذا القبيل سيقاومها السعوديون ، وبذا يضطرب حبل الأمن والسلام فى الشرق

الأوسط . ثم ان انكلترا تحتفظ الآن بعلاقات الصداقة والمودة مع المملكة العربية السعودية ، ولكنها إذ تصبح ذات مركز ممتاز فى مملكة سوريا الكبرى الجديدة فإنها تستخدم هذا المركز لإيقاع الضغط على المملكة السعودية » . وسيترتب عليه أيضا لو تم إيجاد حاجز قوى بين المملكة السعودية وبين صديقتها مصر (١) . لهذا وغيره من النتائج التى ستترتب على تحقيق مشروع سوريا الكبرى عارض ابن سعود المشروع ويعارضه ، وسوف لايزال يعارضه .

ظلت الحكومة السعودية دائما على حذر متنبهة لما يقوم به عبد الله بن الحسين من محاولات ، واتصلت بالحكومة المصرية وعلمت منها أنها لاترضى عن مثل هذه المحاولات التى ستؤدى حتما إلى التفرقة فى صفوف العرب فى الوقت الذى تشعر فيه الشعوب العربية جميعها بأنها أشد ماتكون حاجة إلى توحيد الصفوف كذلك اتصلت الحكومة السعودية بحكومات سوريا ولبنان وبأهل الرأى فى هذين البلدين وفى فلسطين ، اتصلت بهؤلاء جميعا الذين يهمهم الأمر ويتصل بهم اتصالا مباشرا وعلمت منهم أنهم غير راضين عن مشروع سوريا الكبرى وأنهم جميعا على استعداد للوقوف فى سبيله ومؤازرة المملكة السعودية فى ذلك . وكان جلالة الملك ابن سعود وأصحاب السمو الأمراء أنجاله يصرحون عند كل مناسبة وازاء كل محاولة يقوم بها جلالة الملك عبد الله برأيهم المعروف ويظهرون عزمهم وتصميمهم .

---

(١) راجع « مشروع سوريا الكبرى » للدكتور راشد البراوى ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

فعندما أعلنت بريطانيا استقلال شرق الأردن فى يناير سنة ١٩٤٦ م وعُرفت المساعى التى يقوم بها جلالة الملك عبد الله تمهيدا للسير بمشروع سوريا الكبرى نحو التحقيق صرح سمو الأمير فيصل آل سعود لبعض الصحفيين الإنكليز برأى الحكومة السعودية فى المشروع فى أسلوب دبلوماسى طريف — وقد كان سموه فى ذلك الوقت بالعاصمة البريطانية — فقال : ان هذه المسألة ليس للأمير عبد الله أن يقترحها وليس لابن سعود أن يعارضها ، فإن السوريين ليسوا بخراف ، وإنه لمن حق الشعب أن يقرر ماذا يريد ومن يقيمه حاكما عليه . وفى اعتقادى أنه ينبغى على الجامعة العربية قبل اتخاذ أية خطوة من هذا القبيل أن تنظم نوعا من الاستفتاء فى جميع البلاد التى يهمها الأمر بصفة مباشرة ، ولاسيما شعوب شرق الأردن ولبنان وسوريا وفلسطين لمعرفة ما إذا كانت هذه الشعوب ترغب حقا فى إحداث هذا التغيير ! » [1] .

صرح الأمير فيصل بهذا وهو يعرف يقينا أن هذه الشعوب التى يهمها الأمر بصفة مباشرة لاترغب مطلقا فى إحداث هذا التغيير ، بل هى ستقف قطعا فى سبيل تحقيقه .

وحينما عاود الملك عبد الله إثارته للموضوع فى أغسطس سنة ١٩٤٧ م [2] كتب جلالته إلى سمو الأمير سعود ولى العهد للمملكة السعودية يرجوه أن

---

(١) نشر تصريح الأمير فيصل بجريدة الأهرام ، بالعدد الصادر فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ م.

(٢) راجع ص ٢٥٠ — ٢٥٢ من الكتاب .

يتوسط له لدى والده جلالة الملك عبد العزيز حتى يعمل جلالته على توثيق العلاقات بين مملكته وبين شرق الأردن وحتى يرضى عن مشروع سوريا الكبرى . ولكن رد جلالة الملك السعودى كان صريحا فى أنه على استعداد تام لتوثيق العلاقات بين البلدين ولتبادل التمثيل السياسى . أما عن مشروع سوريا الكبرى فكان الجواب : لا ! ولما أرسل صاحب الفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس سوريا السابق السيد محسن البرازى رئيس ديوان فخامته إلى الرياض عقب هذه الإثارة للمشروع « وجد السيد البرازى من جلالة الملك عبد العزيز تصميما قاطعا على موقفه وتمسكا تاما بميثاق الجامعة العربية . بل ان بعض رجال السلك السياسى الأجنبي فى جدة قالوا لبعض مواطنيهم : إن الملك عبد العزيز يذهب إلى أبعد من ذلك فى معارضته لمشروع سوريا الكبرى ، ويعتبره عملا عدائيا له » .

وفى أثناء الزيارة التى أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز فى الرياض أواخر شهر يونية سنة ١٩٤٨ اتفق الملكان على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد ؛ غير أن جلالة الملك عبد الله لم يشأ أن يرعى هذا الاتفاق ولم يعدل عن إثارته للمشروع إلا ريثما تسنح الفرصة المناسبة ، فلما سنحت فيما يرى أثاره من جديد بمؤتمر أريحا الذى عقد فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ . وكان هذا العمل فى نظر الملك عبد العزيز متضمنا للنكث بعهد سابق بينه وبين ملك شرق الأردن ، وترديدا لتلك النغمة التى لا يرضاها ولا يستسيغها

من جديد ؛ ولذلك بادر جلالته إلى الموافقة على الرسالة الشفوية التى وجهها ملك مصر السابق إلى ملوك ورؤساء الدول العربية فى موضوع مصير فلسطين ومعارضة قرارات أريحا . (١) كذلك كتب الملك عبد العزيز إلى الملك عبد الله فى هذا الموضوع آملا العدول عن مقررات أريحا مذكرا الملك الهاشمى بما دار بينهما وبما ارتبطا به من عهود أثناء زيارة الملك عبد الله للرياض . وجاء فى الرد الذى ورد لملك مصر السابق من الملك عبد العزيز قول جلالته . « إننى أؤيدك تأييدا تاما فى موقفك . . . . . وعلى عهدى معك ، فإن ماتقبله أنت أقبله أنا ، وما ترفضه أنت أرفضه أنا . وقد كتبت إلى الملك عبد الله أبلغه تأييدى لك ، وأذكره بما دار بيننا فى اجتماعنا فى الرياض . » (٢)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد نشرت جريدة الفيحاء التى تصدر بدمشق فى عددها الصادر فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طالب شرق الأردن ببلدة معان ـ وهى فى نهاية سكة حديد الحجاز ـ ليستخدمها الحجاج فى السفر إلى مكة . وذكرت الجريدة ان موقف الملك عبد الله الأخير من مشكلة فلسطين هو الذى حمل الملك عبد العزيز آل سعود

(١) راجع ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ من الكتاب .

(٢) نشر هذا الرد بمجلة « أخبار اليوم » بالعدد الصادر فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ، وبجرائد الأهرام والمصرى ، الأعداد الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .

على إثارة هذه المسألة من جديد . ولقد كان للموقف الحازم الذى وقفته دول الجامعة العربية ولما أبداه الملك عبد العزيز من تصميم على الوقوف فى سبيل تنفيذ مشروع سوريا الكبرى مهما كان الأمر ومهما بلغ التحايل ، كان لكل هذا أثره الفعال ، فتبرأت الحكومة البريطانية من أنها أشارت على الملك عبد الله أو شجعته على اتخاذ ترتيبات أريحا ، كما جعل ذلك الملك عبد الله يتردد ويقف عن تنفيذ مقررات أريحا مؤقتا بعد موافقة مجلس وزرائه وبرلمانه عليها .

ابن سعود بين انكلترا وأمريكا

لقد كانت الصلة التى عقدها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع الحكومة الإنكليزية فى مستهل حياته السياسية هى أولى صلاته بالعالم الخارجى والحكومات الأجنبية ، وكانت هذه الصلة صلة صداقة من يوم أن نشأت منذ أن استولى جلالته على مقاطعة الاحساء فى سنة ١٩١٣ م واتصل بذلك بالعالم الخارجى اتصالا مباشرا عن طريق الخليج الفارسى ، فاستطاع الإنكليز بعد وصول عبد العزيز آل سعود إلى مياه الخليج الفارسى — وهم أصحاب النفوذ فيها — أن يتصلوا به ويدخلوا معه فى مفاوضات لتسوية مابينهم وبينه من علاقات . وقد كانت الأحوال فى ذلك الوقت تقتضى أن تسوى العلاقات بين الطرفين على أساس ثابت محدد ، فابن سعود كان فى سبيل تكوين دولته ومد نفوذه على كل مايستطيع الاستيلاء عليه من مقاطعات الجزيرة العربية ، كما كان فى صراع جبار

مع خصومه ومنافسيه فى الجزيرة من الأتراك وآل رشيد وغيرهم ، فهو لهذا كان يشعر بأنه فى حاجة إلى أصدقاء أقوياء أمثال الإنكليز ، والإنكليز من ناحيتهم كانوا يشعرون بأنهم مقبلون على حرب مع ألمانيا وحليفاتها ، كما كانوا يعرفون أن حكومة الخلافة العثمانية صاحبة السيادة الإسمية فى هذه المناطق العربية ستكون فى صف خصومهم ، فهم لهذا كانوا شديدى الحرص على أن يصادقوا عبد العزيز آل سعود ويضموه إلى صفوفهم ، خصوصا وقد راقبوه فى تصرفاته منذ أن ظهر فى الميدان وعلموا أنه من الرجال الأقوياء المحنكين الذين يخشى بأسهم ويعتمد عليهم .

أما نتيجة الاتصال والمفاوضات بين الطرفين فقد انتهت أولا إلى الاتفاق بينهما على أن يقف عبد العزيز آل سعود موقف الحياد المشبع بروح الود نحو الإنكليز فى الحرب الكبرى الأولى ، وكانت قد شبت نيرانها ، وثانيا إلى عقد معاهدة القطيف بينه وبينهم فى صفر سنة ١٣٣٤ هـ / ديسمبر سنة ١٩١٥ م . وبهذه المعاهدة اعترف الإنكليز بعبد العزيز آل سعود وخلفائه من بعده حكاما لنجد والاحساء وتوابعها ، كما تعهدوا بحمايته من كل اعتداء خارجى .(١)

وعلى هذا الأساس سويت العلاقات وحددت بينه وبين الإنكليز ، فأصبح صديقا لهم داخلا فى حمايتهم . وهكذا حتمت الأوضاع والملابسات التى كانت

(١) راجع ص ١٢٧ — ١٣٣ من الكتاب .

موجودة فى ذلك الوقت على ابن سعود أن يقبل هذا الوضع ، غير أنه قبله مؤقتا وهو مصمم على تصحيحه فى أول فرصة تتاح ، وقد أتيحت الفرصة بعد ذلك فعلا وأخذ عاهل الجزيرة فى المدة الواقعة بين نهاية سنة ١٩١٥ ومبدأ سنة ١٩٢٦ م يتحلل من تبعات الحماية البريطانية رويدا رويدا ويقوى من دعائم سلطانه فى دولته الناشئة ويمد نفوذه على مقاطعات جديدة داخل الجزيرة . فلم تأت سنة ١٩٢٦ م حتى كان قد استولى على حائل وعسير والحجاز وأصبح طليقا فى تصرفاته من قيود الحماية البريطانية التى ضربت عليه بمقتضى معاهدة سنة ١٩١٥ م السابقة الذكر ، كما أصبحت هذه المعاهدة ملغاة عمليا .

وعندما تغيرت الأوضاع على هذه الصورة رأت الحكومة الإنكليزية نفسها مضطرة إلى أن تجدد علاقاتها مع جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جديد وعلى أسس جديدة ، فأبرمت معه فى مايو سنة ١٩٢٧ بمدينة جدة معاهدة صداقة وحسن تفاهم « رغبة فى توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها » ، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة جدة ، وكان أساسها الجديد هو اعتراف الحكومة الإنكليزية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد والملحقات ، كما هو المنطوق الصريح للمادة الأولى منها . وفى المادة التاسعة نُصَّ صراحة كذلك على إلغاء المعاهدة السابقة التى عقدت فى سنة ١٩١٥ م والتى ضربت بمقتضاها الحماية الملغاة . (١)

---

(١) راجع ص ١٦٩ — ١٧٠ من الكتاب .

استطاع ابن سعود بقوته وحكمته وحسن تصرفه أن يكتسب ثقة الإنكليز واحترامهم كما اكتسب صداقتهم ، وكثيرا ما جاملهم وأثبت لهم فى مختلف الظروف ، فى الشدة والرخاء ، أنه الصديق الوفى ؛ ولكنه كان الحريص دائما على أن يكون صاحب السلطان المطلق فى بلاده وعلى ألا يُجرَح استقلاله بالحكم فى مملكته من الإنكليز أو غيرهم ، خصوصا بعد أن اعترف الإنكليز فى اتفاقية جدة بالاستقلال التام المطلق لممتلكات جلالته . ولحذر جلالته اليقظ وحرصه على الاحتفاظ بهذا الاستقلال أراد أن يبرهن عمليا على أن بلاده حرة فى تصرفاتها غير ملزمة مثلا بتفضيل الشركات البريطانية على غيرها ومراعاة الجانب البريطانى دائما وفى كل حال ، ولهذا رأيناه يفضل جانب شركات البترول الأمريكية على غيرها من الشركات الإنكليزية ويعطيها امتياز البحث عن زيت البترول وحق استنباطه واستثماره فى المناطق الشرقية من بلاده فى سنة ١٩٣٣ م . أعطى جلالة الملك ابن سعود هذا الحق للشركات الأمريكية وحرم منه الشركات الإنكليزية الصديقة حتى لاتستأثر هذه بكل المعاملات مع المملكة العربية السعودية فيكون ذلك بمثابة الاعتراف العملى بالتبعية من جانب المملكة السعودية وبالنفوذ الطاغى صاحب الحق المكتسب من الجانب البريطانى ؛ لاسيما وقد كانت هناك عوامل أخرى تبرر هذا المسلك الذى سلكه جلالته ، فالعطاء الذى تقدمت به الشركات الأمريكية كان أفضل بكثير مما يمكن أن تتقدم به زميلاتها الإنكليزية ، وحكومة الولايات المتحدة كان المعروف عنها فى ذلك الوقت أنها تعضد استقلال الشعوب وتؤازر الحريات وأنها ليس لها

من المآرب الاستعمارية مثل ما لبريطانيا فى الشرق . تصرف جلالته هذا التصرف إذاً حفظاً للتوازن بين القوى ، وعملا للاحتفاظ باستقلال بلاده ، واختيارا للجانب الأكثر نفعا .

ومن هذا الوقت الذى تم فيه التعاقد بين شركات البترول الأمريكية وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أخذ الأمريكان يشعرون جديا بأن لهم مصالح فى بلاد المملكة العربية السعودية ، كما أخذت الصداقة بين هذه المملكة وبين حكومة الولايات المتحدة تنمو وتقوى ، فبعد توقيع اتفاقية البترول بأشهر وفى نفس السنة عقدت اتفاقية بين الحكومتين بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى والصيانة القضائية والتجارية والملاحة . وبذلك برز منافس قوى للإنكليز فى الميدان ، ووجد ملك المملكة العربية السعودية المجال واسعا ليتصرف تصرف الأحرار المستقلين ويتفادى الضغط الإنكليزى إذا حدث .

ولكن مع هذا حرص جلالته على الاحتفاظ بعلاقات الصداقة مع الإنكليز كما حرص هؤلاء من ناحيتهم على مثل هذا ، فمعاهدة الصداقة وحسن التفاهم التى عقدت بين الطرفين بجدة لاتزال قائمة وجددت عدة مرات كما سنفصل ذلك ، والمعاملات التجارية والاقتصادية جارية بين الدولتين كما كانت ، مع ملاحظة ان فرصة الاختيار أصبحت طبعا أوسع أمام الدولة السعودية بعد صلاتها الجديدة بالأمريكان . كذلك لم ير جلالة الملك عبد العزيز بعد ذلك بأسا من أن يمنح بعض الشركات الإنكليزية للتعدين أو للبحث عن البترول واستنباطه حق الامتياز فى بعض مناطق الدولة ، ففى ديسمبر سنة ١٩٣٤ م أعطت حكومة

جلالته حق الامتياز لشركة التعدين الإنكليزية المسماة « نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة » ولقد نجحت هذه الشركة فى استخراج الذهب ولاتزال توالى عملها إلى الآن ، وفى يوليه سنة ١٩٣٦ م أعطت الحكومة السعودية شركة إنكليزية أخرى تسمى « شركة امتيازات النفط المحدودة » حق البحث عن البترول واستنباطه فى كامل المنطقة الغربية الساحلية للمملكة العربية السعودية ، غير أن تلك الشركة الأخيرة لم تنجح فى مهمتها بما سنبينه بعد .

وهكذا استطاع جلالة الملك ابن سعود أن يحافظ على استقلاله التام المطلق وأن يحافظ فى نفس الوقت على علاقاته الطيبة بأصدقائه الإنكليز . أما الإنكليز فقد فهموا هذا التصرف من جلالته وقبلوه على الرغم من انهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب المصالح الكبرى والنفوذ الأول فى هذه المناطق التى تشمل بلاد المملكة العربية السعودية ؛ وذلك لما رأوه من حرص جلالة الملك السعودى على التمسك باستقلاله والمحافظة عليه بكل مايستطيع ، ولما بينهم وبين الأمريكان من المصالح المشتركة الهامة والعلاقات الطيبة التقليدية التى يحرص عليها الطرفان مراعاة للمصالح المشتركة وبحكم الظروف والحوادث .

واستمرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين إنكلترا فى طريقها من الصداقة وحسن التفاهم ، فكان موقف الملك ابن سعود فى الحرب الكبرى الثانية ، مثل ماكان فى الحرب الكبرى الأولى ، موقف الصديق

من إنكلترا . ورأينا جلالته كذلك يستعين ببعثة عسكرية إنكليزية فى تدريب الجيش السعودى وتنظيمه ، ولا تزال هذه البعثة إلى الآن فى البلاد السعودية تؤدى عملها ، مع العلم بأن استقدام هذه البعثة كان بمحض الاختيار الحر والتصرف المستقل الذى تقتضيه المصلحة ، وليس فيه شىء من شوائب الإلزام .

والحكومة الإنكليزية من جانبها حريصة على إرضاء الشعور بالكرامة الوطنية والمحافظة على الاستقلال من ناحية الحكومة السعودية ، فقد حدث أثناء الحرب الكبرى الثانية ان طلب المستر جوردون الوزير البريطانى المفوض فى جدة الاطلاع على الميزانية السعودية بعد اعدادها ، وكاد هذا الطلب الجرىء يحدث أزمة بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، غير أن هذه الأخيرة سارعت إلى تفادى وقوع الأزمة بنقل وزيرها المفوض إلى مركز آخر وبتعيين مستر جرافتى سميث الذى كان مساعدا للمستشار الشرقى فى السفارة البريطانية بالقاهرة خلفا له . وكما أن الحكومة الإنكليزية هى أول حكومة أجنبية ارتبطت مع الحكومة السعودية بمعاهدات الصداقة وحسن التفاهم فى سنتى ١٩١٥ و ١٩٢٧ م ، وأول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسى فى جدة من قنصلية أو معتمدية إلى مفوضية فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ، فهى كذلك أول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسى لدى الحكومة السعودية إلى سفارة فى أوائل سنة ١٩٤٨ م ؛ فمن ذلك الحين أصبح التمثيل السياسى بين المملكة العربية السعودية وانكلترا فى جدة وفى لندن يأخذ أرفع صوره وأسمى درجاته ، وهى درجة السفارة المتبادلة .

وهناك أمر آخر يدلنا على مقدار توثق الصلات وتوطيد العلاقات بين البلدين ، وذلك أن المادة الثامنة من معاهدة جدة المبرمة بين الطرفين فى مايو سنة ١٩٢٧ م حددت مدة العمل بالمعاهدة بسبع سنوات شمسية قابلة للتجديد ، ونصت على أنه « إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر » . فكان المفهوم إذاً أن هذه المعاهدة إذا لم تجدد سبع سنوات أخرى بعد انتهاء مدتها فلكل من الطرفين أن يعلن إلغاءها متى شاء وتصبح باطلة بعد هذا الإعلان بستة أشهر ، وبعد أن جددت فى أكتوبر سنة ١٩٣٦ م سبع سنوات وفى أكتوبر سنة ١٩٤٣ م مرة ثانية رأت الحكومتان أن تجعلا تجديدها فى المستقبل آليا من تلقاء نفسه بدون حاجة إلى تعاقد جديد واتفقتا فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م على أن تكون المعاهدة نافذة المفعول من هذا التاريخ « سبع سنوات شمسية على التوالى ، وإذا لم يعلن أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء أى سابع من السنوات الشمسية المقبلة بستة أشهر رغبته فى تعديلها أو إلغائها فإنها تتجدد بطبيعتها سبع سنوات شمسية أخرى وهكذا » . [1] والسبب فى هذا التعديل هو ماصرحت به

(١) راجع البلاغ الرسمى رقم ٢٩ الذى أذاعته الحكومة السعودية ، والكتب المتبادلة بين وزير الخارجية السعودية بالنيابة وبين الوزير البريطانى المفوض فى جدة بتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وتجد هذا كله بملحق الوثائق .

الحكومتان فى الكتب المتبادلة بينهما من رغبتهما « فى وضع علاقاتهما على قواعد أشد ثبوتا » ، وهذا ماتم فعلا نتيجة للتعديل السابق الذكر كما ترى .

وفى أواخر سنة ١٩٤٧ وأوائل سنة ١٩٤٨ م جرت مباحثات فى جدة وفى الرياض بين السلطات السعودية وبين الوزير البريطانى المفوض لديها ، وشاع فى الأوساط السياسية إذ ذاك أن هذه المباحثات مقدمات لعقد محالفة عسكرية بين الحكومتين السعودية والبريطانية وأن صاحب السمو الملكى الأمير فيصل سيسافر إلى لندن لإتمام المباحثات وإبرام المحالفة ؛ وعلى الرغم من تكذيب السلطات السعودية لخبر المحالفة العسكرية وتفسيرها للمباحثات التى جرت بأنها إنما كانت من نوع المباحثات التى سبق أن جرت بين الجانبين منذ بدء الحرب العالمية الأخيرة وفى شئون تتعلق بما أحدثته هذه الحرب من أثر شديد فى معظم نواحى الحياة فى البلاد السعودية وبخاصة فى الناحية الاقتصادية منها ، على الرغم من هذا فقد ذكر مكتب الأهرام بلندن فى آخر مايو سنة ١٩٤٨ أنه « علم » أن مشروع المعاهدة فُكِّر فيه فعلا وأنه « أرجىء البحث فيه إثر فشل معاهدة بورتسموث العراقية البريطانية » .

وهناك مسألة لاتزال معلقة لم يبت بشأنها بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، وهى المسألة التى تتعلق بتبعية منطقة العقبة ومعان على الحدود بين الحجاز وشرق الأردن . فحينما دخل ابن سعود بلاد الحجاز واستولى عليها كانت منقطة العقبة هذه تعتبر بلادا حجازية ، وبعد أن تنازل المغفور له الشريف

حسين عن العرش فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ م لجأ إلى العقبة ونزل بها ، ولكن الجيوش السعودية هاجمت هذه المدينة فى يوليه سنة ١٩٢٥ فاضطر الشريف إلى الرحيل عنها إلى قبرص ، وتدخلت انكلترا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين فاحتلت العقبة ومعان بجيوشها ، ثم ضمت هـذه المنطقة فى الإدارة والحكم إلى إمارة شرق الأردن التى كانت قد أنشأتها فى سنة ١٩٢١ م وأسندت حكمها إلى سمو الأمير عبد الله بن الحسين (صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية أخيرا) . وقد فعلت انكلترا هذا إحتفاظا بمنطقة العقبة الهامة لنفسها ، ونحن نعرف الآن مقدار الأهمية للعقبة فى نظر الإنكليز بعد عودة الجيوش الإنكليزية لاحتلال هذا الميناء وبعد هذا الصراع السياسى الذى كان يخشى أن يصير حربيا والذى جرى بين الإنكليز وبين الصهيونيون فى فلسطين من أجل ميناء العقبة ؛ الإنكليز يتصرفون باسم الملك عبد الله بن الحسين وقد ارتبط معهم بمعاهدة تعطيهم حق حماية أملاكه ، والصهيونيون يريدون الاستيلاء على هذا الميناء الهام الواقع على مياه البحر الأحمر وجعله ميناء لدولتهم .

فجلالة الملك عبد الله يرى إذاً أن منطقة العقبة ومعان من أملاك دولته الداخلة فى حماية الانكليز ، والإنكليز من ناحيتهم يرون طبعا هذا الرأى ويعملون بمقتضاه . أما جلالة الملك ابن سعود فهو يرى غير هذا الرأى ، يرى أنه حينما استولى على الحجاز واتفق فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م مع الملك على ابن الحسين ملك الحجاز المخلوع على أن كل أملاك الدولة الحجازية آلت إليه ،

يرى أنه حين ذلك دخلت هذه المنطقة أيضا فى أملاكه لأنه أصبح صاحب الحق الشرعى فى امتلاك كل جزء من أجزاء الدولة الحجازية الهاشمية التى سقطت فى يده . وعلى هـذا الأساس رفض جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مطالب الإنكليز حينما طلبوا إلى جلالته عند إبرام معاهـدة جدة فى سنة ١٩٢٧ م أن يعترف بضم منطقة العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن ، ولكنه نظرا إلى اصرار الإنكليز على مطلبهم وإلى أنه يريد أن يحتفظ بصداقتهم رأى أنه لامانع لديه من ترك هـذه المسألة معلقة لتسوى فيما بعد عندما تحين الظروف المناسبة مع تمسكه بعدم الاعتراف بضم المنطقة إلى شرق الأردن . وكتب جلالته بتاريخ ١٨ ذى القعـدة سنة ١٣٤٥ هـ / ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م إلى السير جلبرت كليتون المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية فى هـذا الشأن الكتاب الآتى :

« جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ذى القعـدة سنة ١٣٤٥ هـ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن قد أخذنا علما بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ، ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة . ومع ذلك نظرا لرغبتنا الصادقة فى المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لفخامتكم عن استعدادنا لإبقاء الحالة الحاضرة على ماهى عليه فى منطقة « معان والعقبة» ، مع الوعد بألا نتداخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية

هـذه المسألة تسوية نهائية » .[١]

إذاً فهذه المسألة لاتزال معلقة إلى الآن ولم تسو بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، ولا بين الحكومة السعودية والحكومة الأردنية الهاشمية ، ولهذا تحدثت الصحف اليومية العربية عن إثارة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لهذا الموضوع ومطالبته بالعقبة ومعان عقب مؤتمر أريحا الذى كان انعقاده إثارة لمشروع سوريا الكبرى من جانب جلالة الملك عبد الله بعد أن تعهد جلالته لجلالة الملك السعودى عند زيارته له فى الرياض بألا يثير مشروع سوريا الكبرى من جديد .[٢]

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣١ م أنشئت العلاقات السياسية الرسمية لأول مرة بين الحكومة السعودية من جهة وبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى [٣] ، وظلت هذه العلاقات التى جدت بين الحكومتين علاقات عادية لغاية سنة ١٩٣٣ م ، ثم بدأت العلاقات تتطور بين أمريكا وبين المملكة العربية السعودية بعد أن حصلت إحدى الشركات الأمريكية وهى شركة استاندرد اويل بكلفورنيا فى مايو سنة ١٩٣٣ م على امتياز البترول فى المناطق الشرقية للملكة العربية السعودية . فمن ذلك الحين اتجهت أمريكا إلى تقوية

---

(١) راجع ص ٤١ من « مجموعة المعاهدات » للدولة السعودية ، الطبعة الثانية بمكة سنة ١٣٦٣ هـ .

(٢) راجع ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ من الكتاب .

(٣) راجع ص ١٢٦ من كتاب « البلاد العربية السعودية » .

روابط الصداقة بينها وبين البلاد السعودية وأصبحت ترى نفسها صاحبة مصالح هامة فى هـذه البلاد ، وفى هـذه السنة نفسها التى حصلت فيها الشركة الأمريكية على امتياز البترول رأت الحكومتان السعودية والامريكية أن تطور العلاقات بينهما يقتضى تنظيم الصلات السياسية والمعاملات الاقتصادية والتجارية تنظيما يتناسب مع الأحوال الطارئه ، فعقدتا اتفاقية بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى والصيانة القضائية والتجارة والملاحة . ووقعت هـذه الاتفاقية فى لندن بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م ، وقعها بالنيابة عن الحكومتين الشيخ حافظ وهبة وزير المملكة العربية السعودية بلندن والأونارابل روبرت ورث بنجهام السفير المفوض فوق العادة للولايات المتحدة الأمريكية بلندن بعد محادثات جرت بينهما .(١)

وفى أوائل سنة ١٩٣٨ م أثبتت عمليات استخراج البترول فى مناطق الامتياز الأمريكية بالبلاد العربية السعودية أن هـذه المناطق من أغنى مناطق البترول فى العالم وأن كميات الإنتاج البترولية فيها سوف تفوق مثيلاتها فى البلاد الأخرى بمقادير كبيرة ، وبذلك ازداد اهتمام الأمريكان بتحسين علاقاتهم وتقوية روابط الصداقة بينهم وبين صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وهكذا اطردت العلاقات الطيبة بين الجانبين فى سبيل التحسن ، وأصبحت أمريكا صاحبة المصالح الاقتصادية الهامة والموارد البترولية الوفيرة فى البلاد العربية السعودية منافسا قويا لبريطانيا فى الشرق الأوسط وبخاصة فى البلاد

(١) راجع نص المعاهدة بملحق الوثائق .

العربية السعودية كما سبق أن ذكرنا . فلما وقعت بعد ذلك بقليل الحرب الكبرى الثانية وآزرت أمريكا بريطانيا ثم دخلت الحرب إلى صفها كانت علاقة الحكومة السعودية بالدولتين علاقة الصداقة المتينة ، وكان موقف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أمريكا وبريطانيا فى الحرب العالمية الثانية مثل موقفه فى الحرب العالمية الأولى ، فهو وان كان على الحياد ولم يشترك فى الحرب إلا أنه كان لهما فى الحالتين الصديق المؤازر .

وبعد وقوع الحرب واشتداد الحاجة إلى زيت البترول بجميع مشتقاته ازداد شعور الأمريكان أكثر مما كان بأهمية مالهم من منشآت بترولية فى البلاد العربية السعودية ، خصوصا بعد مضى السنوات الأولى من الحرب وبعد تبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن زيت البترول المستخرج من أمريكا سوف لا يفى بحاجتها فى الاستهلاك المحلى والاستهلاك الحربى الضرورى المتزايد فى مختلف الميادين الحربية . فابتدأت الحكومة الأمريكية من سنة ١٩٤٢ م تمد شركة البترول فى البلاد العربية السعودية بما تحتاجه من أموال ومهمات لتستأنف الأعمال ـ وكانت قد توقفت فى مبدأ الحرب ـ ولتتوسع فيها حتى تستخرج أكبر كمية يمكن استخراجها من زيت البترول لإسعاف الأداة الحربية وضمان مدها بما تحتاج إليه من الوقود . وفعلا لم تأت سنة ١٩٤٤ م حتى كانت كميات البترول المستخرج من البلاد العربية السعودية تفوق كل ما كان مقدرا لها ، فسدت كل حاجات الحرب فى ميدان المحيط الهادى .

وفوق هذا فقد بدا للأمريكان واضحا أن كميات البترول التى تستخرج

من بلادهم أخذت تتناقص لعوامل طبيعية وجيولوجية ولأسباب أخرى اجتماعية ترجع إلى حالة الفوضى والإضرابات التى كثيراً ما يقوم بها العمال . ولقد كان من نتائج التوسع الاقتصادى والتجارى الأمريكى ، ومن نتائج دخول أمريكا فى الحرب وشعورها بأنها هى الممون لمعسكر الحلفاء والموجه لسياستهم الدولية ، ثم سيطرتها رويداً رويداً على مصائر العالم ، كان من نتائج هذا كله أن خرجت أمريكا عن عزلتها إلى حد كبير بحيث لم يعد فى إمكانها حل مشكلاتها الاقتصادية داخل حدودها ، وبحيث أنها أصبحت ترى أهمية البترول العربى السعودى مجسمة أمام ناظرها . إذاً فالمحافظة على العلاقات الطيبة بالمملكة العربية السعودية واجبة ، وتقوية الصداقة وحسن التفاهم مع جلالة الملك ابن سعود أمر لازم .

وعلى هذا الأساس وبهذه الروح تمت المقابلة التاريخية التى حصلت فى أخريات الحرب السابقة بين جلالة الملك السعودى وبين الرئيس روزفلت الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية . ففى صباح يوم الخميس الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م كانت المدمرة الأمريكية التى أرسلها الرئيس روزفلت إلى المياه الحجازية لتقل صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود قد دخلت مياه البحيرات المرة ، إحدى بحيرات قناة السويس بأرض مصر ، حيث كان ينتظر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر الطرادة الأمريكية « كونيرى » . أبحر جلالة الملك من بلاده ولم يعلم بالأمر أحد سوى ولى عهده سمو الأمير سعود وسوى نائبه فى الحجاز ووزير خارجيته سمو الأمير فيصل ، حتى ان حاشية جلالته التى أبحرت معه والتى كان يبلغ عدد رجالها ثمانية وأربعين رجلا

ما كانت تعلم شيئا عن الرحلة ولا عن الاتجاه ولا عن الغرض ، ولم تخبر بشيء من ذلك إلا بعد أن اختفت اليابسة عن الأنظار وكانت ظروف الحرب تقتضى طبعا المبالغة فى التكتم للاحتياط والمحافظة على سلامة جلالة الملك . وكان ضمن رجال الحاشية الكثيرون من رجالات الدولة السعودية مثل أصحاب السمو الأمراء شقيق جلالة الملك الأمير عبدالله ، وابنى الملك الأمير محمد أمير المدينة والأمير منصور وزير الدفاع ومثل الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية والشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية المفوض فى لندن (وهو برتبة سفير الآن) والشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية والأستاذ عبدالله بلخير مترجم جلالته وبعض أركان حربه . وكذلك كان فى رفقة جلالته الكولونيل وليم إدى وزير الولايات المتحدة المفوض فى المملكة العربية السعودية ، وهو الذى تولى الترجمة الرسمية فى الاجتماع الذى عقد بين جلالة الملك وفخامة الرئيس . واستقبل فخامته جلالة الملك العربى على ظهر الطرادة أحر استقبال ورحب به أجمل ترحيب وأبدى بالغ الإعجاب بشخصيته قائلا له : كم كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا !

وبعد أن تناول الملك ابن سعود طعام الغداء على مائدة الرئيس روزفلت بدأت المحادثات بينهما فى جو يسوده الود والتقدير من الجانبين ، ولقد عُرف أن المحادثات لم تقتصر على استعراض مابين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأميريكية من المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة ، ولا على ما بينهما من الروابط والصلات الودية التى أصبح كل من الطرفين يحرص على تقويتها

وتنميتها ؛ بل شملت هذه المحادثات شئونا أخرى هامة إقليمية وعالمية، خصوصا ما يتعلق منها بقضية فلسطين والقضايا العربية على وجه العموم. ولقد أشار لذلك جلالة الملك آل سعود اثناء زيارته لمصر — بعد اجتماعه مع الرئيس روزفلت بسنة تقريبا — فى حديثه مع الوفد المكون من أبناء سوريا ، والذى تشرف بالمثول بين يدى جلالته، حيث يقول موجها الخطاب إلى أعضاء الوفد السورى: «ولقد قابلت روزفلت فتكلمت معه بشأن سوريا ولبنان وفلسطين، ولم أتكلم معه بشأن بلادى خاصة لأننى أعد نفسى عاملا لرفعة شأن بلاد العرب كلها » . وكان الرئيس روزفلت حريصا على أن يتناول الحديث كل الشئون التى تهم الدولتين ، فهو يرى أنه « يجب أن تتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكى يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر » (١)

أما الملك عبد العزيز فقد كان فى حديثه كعادته عربيا بطبعه يحافظ على الوعد الذى يعطيه ويثق بالوعد الذى يعطى له من المسئولين ، فقد قال للرئيس أثناء الحديث : « لا أريد كتابات بل أريد أن تُعطى الكلمة من عبد العزيز لروزفلت ومن روزفلت لعبد العزيز » (٢) وفيما يتعلق بقضية فلسطين فقد أظهر الملك العربى للرئيس الأمريكى اهتمامه البالغ بها وشرح له وجهة النظر العربية ودلل على صحتها بما أظهر معه الرئيس روزفلت أنه قد اقتنع بعدالتها وبما جعله يصرح بأن الأمر يحتاج إلى إعادة النظر فى القضية الفلسطينية من جديد.

(١) هذا تصريح للرئيس أثناء مقابلته للملك عبد العزيز . راجع ص ٦٧١ ، ج ٣ من كتاب « صقر الجزيرة » .

(٢) راجع نفس الصحيفة من المرجع السابق .

على ضوء مافهمه من جلالة الملك . (١)

ولكن روزفلت لم يلبث أن توفى فجأة ، فخلفه فى الرياسة ترومان الذى تبنى الصهيونيين وشجعهم على المضى فى طريق الاعتداء على حقوق العرب ومكنهم من إنشاء دولتهم ، غير مكترث بما أعطاه سلفه للعرب فى شخص جلالة الملك عبد العزيز من وعود ، ولا بما سيترتب على مسلكه هذا من أثر سيء فى نفوس العرب . ولقد تأثرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، وفترت الصداقة بينهما رويدا رويدا بعد الموقف الذى وقفه الرئيس ترومان ، وبعد المجهود الضائع الذى بذله الملك عبد العزيز آل سعود والاتصالات التى قام بها مع حكومة الولايات المتحدة بشأن القضية الفلسطينية على الوجه الذى شرحناه سابقا . (٢)

ثم تطورت الأمور فى فلسطين وعقدت الهدنة بين مصر وبين اليهود على يد وسيط هيئة الأمم المتحدة الدكتور بانش الأمريكى الجنسية وبمسعى أمريكا ومساعدتها ؛ كما تطورت الأحداث الدولية وازدادت الجفوة بين روسيا وأمريكا إلى الحد الذى جعل أمريكا تخشى وقوع حرب جديدة ، وجعلها تستعد لملاقاة الأخطار التى أخذت نذرها تقرع الأسماع . كل هذه التطورات جعلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تراجع نفسها وتعمل من جديد على توطيد مركزها فى الشرق الأوسط وعلى استرضاء الشعوب العربية . كما جعلتها تعنى عناية خاصة

(١) راجع ص ٢٠٣ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٠٤ — ٢٠٨ من الكتاب .

بالعمل على التخفيف من شدة وطأة الفتور الذى أصاب العلاقات الأمريكية السعودية بسبب تأييد أمريكا لليهود ومساعدتها لهم ضد العرب . ولقد وردت الأنباء فى أوائل مارس سنة ١٩٤٩م من وشنطن ومن نيويورك ، وهى تفيد أن المجهود الذى بذل فى هذا السبيل قد كلل بالنجاح ، وأن المحادثات التى دارت بين الشيخ أسعد الفقيه سفير المملكة العربية السعودية فى وشنطن وبين وزارة الخارجية الأمريكية بشأن تجديد الاتفاقية الخاصة بمطار الظهران قد قاربت من نهايتها المرجوة . ومطار الظهران هذا يقع فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على الخليج الفارسى ، وهو من المنشآت الأمريكية الهامة الواقعة فى نطاق شركة البترول الأمريكية بالبلاد العربية السعودية ، وفوق أهميته التجارية فهو يعتبر من ناحية الاستعدادات الضخمة الموجودة به ومن ناحية موقعه الاستراتيجى وصلاحيته للاستعمال الحربى أهم بكثير من القاعدة البريطانية الجوية فى الحبانية بالعراق . وهو معد لأن تنزل به الطائرات الأمريكية من نوع قاذفات القنابل الضخمة والمعروفة بالقلاع الجبارة لتتزود بالوقود من مخازن شركة البترول الأمريكية ، ولتحمى منشآتها هناك ؛ ثم لتثب عند اللزوم على المناطق الصناعية والبترولية الهامة فى جنوب روسيا ، إذا ماوقعت الحرب ، حيث إن قاعدة الظهران قريبة من تلك المناطق . وكانت الحكومة الأمريكية قد عقدت اتفاقية مع صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى منتصف شهر مارس سنة ١٩٤٦ م لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى منتصف مارس سنة ١٩٤٩ م ، وبمقتضى هذه الاتفاقية أعطى الحق للأمريكان فى إدارة مطار الظهران أثناء

تلك المدة على أن يسلموه فى نهايتها للحكومة السعودية لتديره بواسطة الشبان العرب السعوديين الذين دربهم الأمريكان وأعدوهم لهذا الغرض ، ولكن التطورات التى ذكرناها جعلت الحكومة الأمريكية تسعى للحصول على مد الاتفاقية سنة أخرى . وعلى الرغم من نطاق السرية الذى ضربته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حول المفاوضات التى جرت بينها وبين سفير المملكة العربية السعودية لديها فى هذا الشأن ، فقد وردت ـ كما قلنا ـ الأنباء التى تفيد أن المفاوضات قد كللت بالنجاح ، وأن تجديد الاتفاقية سوف يعلن رسميا فى القريب . وهكذا تكون الحوادث الدولية الجارية ، وحرص أمريكا على حماية مصالحها البترولية فى المملكة العربية السعودية قد قربا بين الدولتين من جديد ، وجعلا أمريكا تسعى جهدها فى تصفية الجو والقضاء على ماطرأ على العلاقات بينهما من فتور .

بترول المملكة العربية السعودية

ان بترول المملكة العربية السعودية أصبح جميعه فى حوزة الأمريكان ، حتى بترول المناطق الغربية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، الذى أُعطىَ امتياز البحث عنه واستخراجه فى سنة ١٩٣٦ م إلى شركة انكليزية ، انتقل امتيازه فى يوليه سنة ١٩٤٢ م إلى الأمريكان أيضا بعد أن أخفقت الشركة الإنكليزية فى بحثها وبعد أن سقطت حقوقها . (١) فشركة أرامكو «ARAMCO» الأمريكية هى صاحبة امتياز البترول السعودى الآن فى شرق المملكة وغربها ،

(١) راجع ص ١٠٣ من كتاب « حرب البترول فى الشرق الأوسط » .

وإن كان استخراج البترول بالفعل لم يجر لغاية الآن إلا فى المناطق الشرقية الواقعة على الخليج الفارسى فقط . وفى الوقت الذى حصلت فيه الشركات الأمريكية على امتياز البترول فى المملكة العربية السعودية فى سنة ١٩٣٣ م كانت أمريكا فيه بعيدة عن المطامع الاستعمارية وكانت تشجع حريات الشعوب ، كما كانت الحكومة السعودية ترى نفسها فى حاجة ملحة إلى المال وانها لابدلها من استخراج كنوزها واستغلالها حتى تحصل على المال اللازم للقيام بالمشروعات الإصلاحية الضرورية المتعددة النواحى ، مثل نشر العلم وفتح المدارس وحفر الآبار واستنباط المياه وفلاحة الأرض وزرعها ومد السكك الحديدية وبناء الموانى والإنفاق على الجيش وغير ذلك من الأمور الكثيرة اللازمة للبلاد العربية السعودية حتى ترقى وتنهض وتساير العصر . وإننا نعتقد ان كل هذه الأمور كان لها اعتبارها عند جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حينما أعطى امتياز البترول لشركة أجنبية ، وحينما فضل الأمريكان على الإنكليز ، خصوصا وهو يعرف انه ليس هناك شركات عربية تستطيع القيام بمثل هذا العمل الضخم الذى يحتاج إلى الكثير من المال والخبرة الفنية ، ويعرف مع هذا ان بلاده فقيرة ليس لها من الموارد المالية مايسد النفقات المطلوبة ويغنيه عن إعطاء امتياز البترول فى بلاده لشركات أجنبية .

وفيما يلى سنورد كلمة عن بترول المملكة العربية السعودية ، تبين لنا كيف حصلت الشركة الأمريكية الأولى على عقد الامتياز ، وماهى الشركات الأخرى التى انضمت إليها بالتدريج ؛ وتوضح التطورات التى مرت بها عمليات استكشاف

البترول واستخراجه وتكريره ومد أنابيبه ، معتمدين فى ذلك على المصادر الوثيقة المختصة . (١) .

الحصول على عقد الامتياز وتطوراته

ان اكتشاف البترول فى جزيرة البحرين عام ١٩٣٢ م جعل موظفى شركة استاندرد أويل لكلفورنيا «California Standard Oil» يولون وجوههم شطر بلاد المملكة العربية السعودية المقابلة لهذه الجزيرة . وفى مايو سنة ١٩٣٣ م حصلت الشركة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود على امتياز يشمل ٣١٨ ألف ميل مربع تمتد على الساحل الشرقى لجزيرة العرب وتصل حدودها الشمالية إلى تخوم العراق .

وفى مايو سنة ١٩٣٩ م عدل الامتياز وزيد فيه فأصبحت الشركة تسيطر على ٤٤٠ ألف ميل مربع تقريبا ، وإذا ما أضيف إلى هذه المساحة ١٧٧ ألف ميل مربع أعطى للشركة حق استغلالها بالأفضلية صار الامتياز يشمل جميع الأراضى السعودية شمال وشرق صخور الجرانيت القديمة التى تكون معظم جهات إقليم نجد . وللشركة كذلك امتيازات ممنوحة من الحكومة السعودية

(١) اعتمدنا فى ذلك على ما كتبته أكبر المجلات العلمية المختصة بهذا الموضوع ، مجلة بتروليوم تيمس « Petroleum Times » عن بترول البلاد العربية السعودية فى العدد الخاص بالشرق الأوسط الصادر فى يونيه سنة ١٩٤٨ م ، ص ٧٣ — ٨٣ . وكان اعتمادنا على هذا بعد ان عرضناه على الأستاذ احمد « بك » توفيق الذى كان مستشارا قضائيا للحكومة السعودية فأقره وأيد صحته .

فى المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة العربية السعودية وبين مشيخة الكويت جنوب وغرب هذه المشيخة .

ومدة الامتياز الأول ٦٦ عاما تبدأ من ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣ م ، أما الامتياز الملحق بعد التعديل والمشتمل على المنطقة المحايدة فمدته ٦٦ عاما ابتداء من ٢١ يوليه سنة ١٩٣٩ م .

وفى سنة ١٩٣٦ م اشتركت شركة تكساس « Texas » بحق النصف فى عمليات البحث عن البترول فى البلاد العربية السعودية ، وأصبحت الشركة الجديدة تسمى شركة استاندرد اويل العربية لكلفورنيا California Arabian Standard Oil Co. . وفى ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م غير الاسم إلى شركة البترول العربية الأمريكية «Arabian American Oil Company» وصار هذا الاسم الأخير يختصر إلى ارامكو «ARAMCO» . وأصبحت هذه الشركة تضم شركتين ، شركة استاندرد أويل لكلفورنيا وشركة تكساس ، وحول إليها كل امتيازات استخراج البترول ببلاد العرب السعودية .

وفى سنة ١٩٤٦ م طابت شركتا جرسى استاندرد « Jercey Standard » وسكونى فاكوم « Socony Vacuum » ـ وهما اللتان تملكان ٧٥ـ٢٣ ٪ من شركة بترول العراق ـ طابتا المساهمة فى شركة البترول العربية الأمريكية بغية الحصول على كمية أكبر من زيت البترول الخام لأسواق نصف الكرة الشرقى على حساب نصف الكرة الغربى . وفى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ أعلن أن

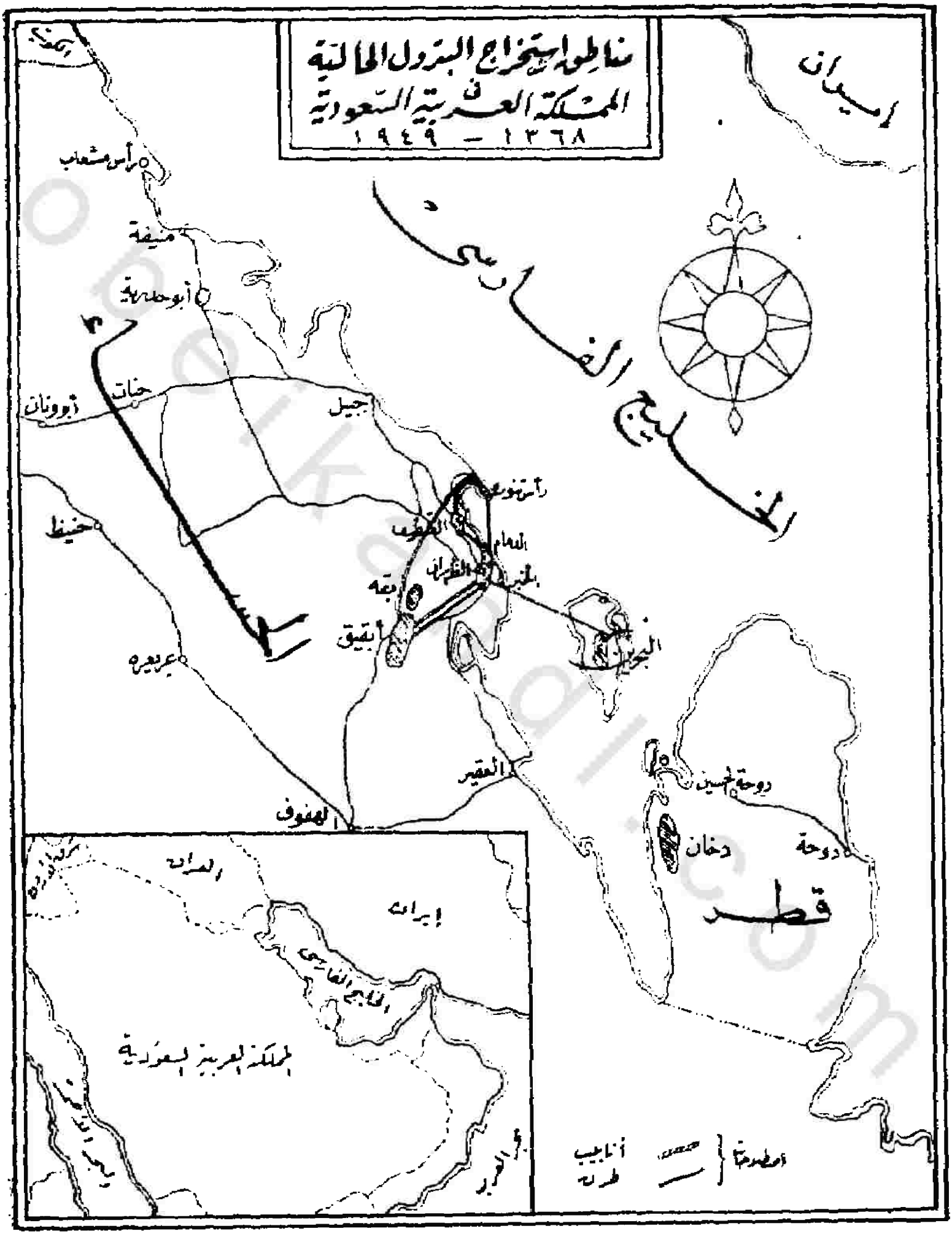
مناطق استخراج البترول الحالية
المملكة العربية السعودية
١٣٦٨ - ١٩٤٩
رأس مشعاب
منيفة
أبو حدرية
حيات
أبو ونان
جبل
حنيط
عريعرة
بقيق
القطيف
الدمام
الظهران
بلنبر
البحرين
العقير
الهفوف
دوحة الحسين
دوحة
دخان
قطر
العراق
إيران
الخليج الفارسي
المملكة العربية السعودية
أنابيب
طرق

obeikandl.com

الاتفاق من ناحية المبدأ تم بين هذه الشركات جميعا على أن تكون شركة البترول العربية الأمريكية موزعة الحصص بين الشركات الأربع بحيث يكون ٣٠ ٪ من الأسهم لشركة جرسى استاندرد و ١٠ ٪ لشركة سكونى فاكوم و٣٠ ٪ لشركة استاندرداويل لكلفورنيا و٣٠ ٪ لشركة تكساس ، غير أن إبرام هذه الاتفاقية قد عرقله اعتراض المساهمين الفرنسيين فى شركة بترول العراق بحجة أن هذه الاتفاقية لاتتمشى مع اتفاقية الخط الأحمر المبرمة فى سنة ١٩٢٨ م ، والتى تنص على أن الشركات المساهمة فى شركة بترول العراق ليس لها أن تباشر أعمالا فيما يختص بالبحث عن البترول وإنتاجه إلا فى الدائرة التى كانت معروفة قديما باسم الامبراطورية العثمانية .

عملية الكشف عن البترول

بدأت عملية الكشف عن البترول فى بلاد العرب السعودية فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وبدأ حفر الآبار الاختبارية فى سنة ١٩٣٤ م . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٦ م تم حفر البئر التجريبية فى حقل الدمام بالقرب من الظهران فى مقاطعة الاحساء على عمق ٢١٠٩ قدم . وفى مارس سنة ١٩٣٨ م تم حفر بئر على عمق ٤٧٢٧ قدم ، فأنتجت ٥٠٠٠ برميل فى اليوم وتعرف بالبئر رقم ٧ .

وفى خلال سنى الحرب الأولى تعطلت عمليات استخراج البترول ، ولكن حدث فى سنة ١٩٤٤ م أن أعيد العمل بهمة بالغة فى هذه المنطقة للحصول على كميات إضافية من البترول لسد حاجة الحلفاء الحربية فى المحيط الهادى فما وافى

ختام عام ١٩٤٧ م حتى كان قد حفر بالمنطقة ٤٠ بئرا وأصبح المحصول اليومى ٨٥ ألف برميل .

أما الاكتشاف الثانى فى المملكة العربية السعودية فقد كان فى منطقة أبوحضرية التى تبعد ١٠٠ ميل شمال غرب الظهران ، حيث اكتشف البترول على عمق ١٠٢٠٠ قدم فى مارس سنة ١٩٤٠ م ، كما اكتشفت بئر أخرى على بعد ميل ونصف ميل فى جنوب غرب البئر السابقة على عمق ٤٧٠٠ قدم ، وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ م . ولم تحاول الشركة استغلال هذه الآبار لسهولة الحصول على البترول من آبار أخرى أقل عمقا من هذه وأقرب منها فى الموقع إلى معامل التكرير براس تَنُّوره الواقعة على الخليج الفارسى .

وقد حفرت بئر تجريبية فى حقل ابقيق التى تبعد ٤٠ ميلا عن الظهران فى الجهة الجنوبية الغربية منها ، وتم حفرها فى فبراير سنة ١٩٤١ م على عمق ٦١٨٠ قدم ، وبدأ استغلال هذه المنطقة فى يناير سنة ١٩٤٦ م وفى نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ متوسط محصولها اليومى ٢٠٠ ألف برميل من ٢٥ بئراً .

وفى فبراير سنة ١٩٤٥ م تم حفر البئر الأولى فى منطقة القطيف على عمق ٧٣٠٠ قدم فكان محصولها ٥٠٠٠ برميل يوميا ، وفى أواخر سنة ١٩٤٧ تم حفر بئرين أخريين فى هذه المنطقة التى تقع بين حقل الدَّمام وراس تَنُّوره

وأحدث ما اكتشف من آبار البترول فى المملكة العربية السعودية كان

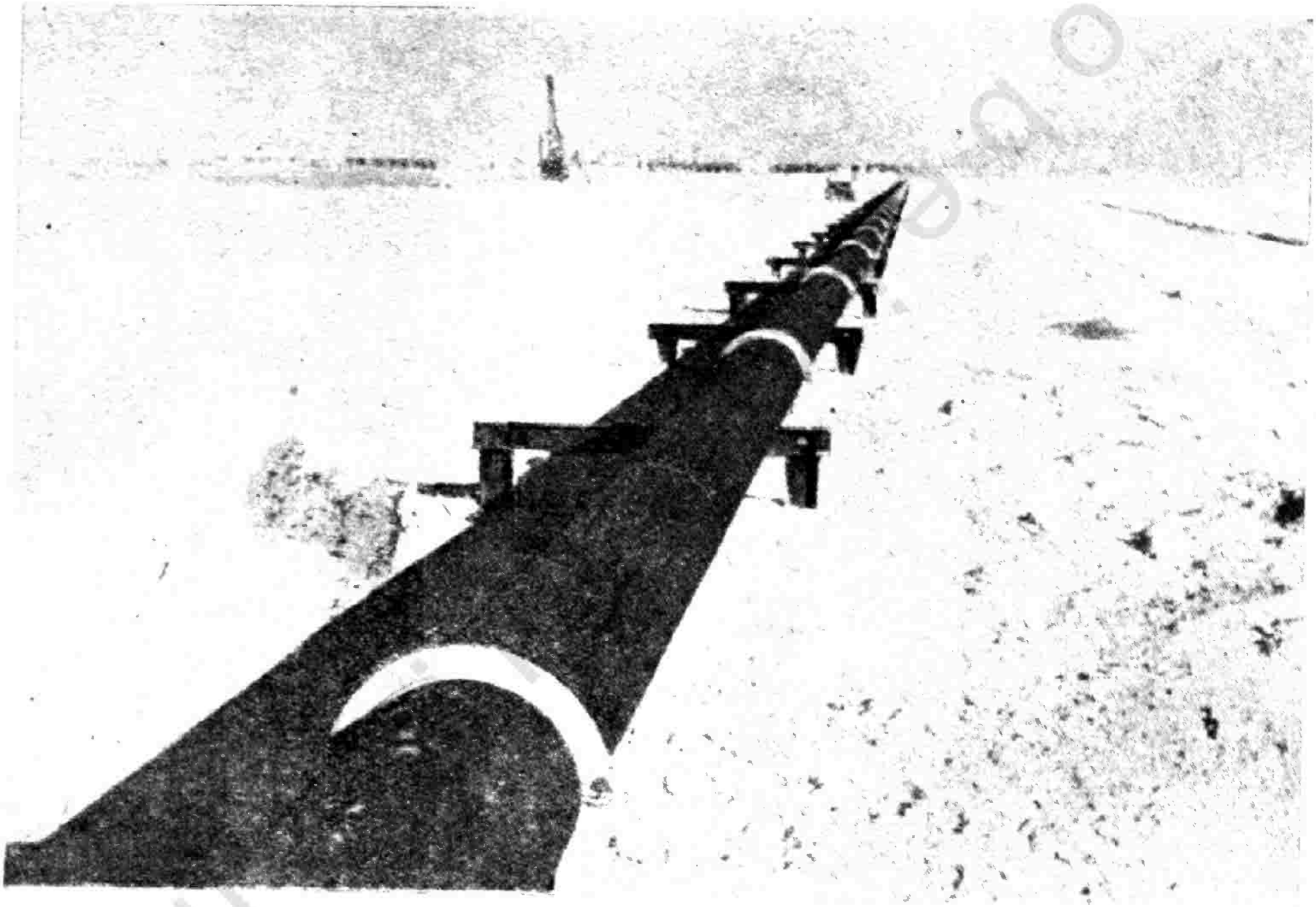

أنابيب البترول تأخذ طريقها عبر الصحراء

obeikandl.com

فى بُقَّا التى تقع على بعد ١٥ ميلا شمال شرق ابقيق ، فقد اكتشف فى مايو سنة ١٩٤٧ م على عمق ٧٢٠٠ قدم .

أنابيب البترول

ويتجمع محصول الجزيرة العربية من البترول فى مجرى واحد يجرى فيه يوميا ٨٠ ألف برميل من الدمّام و ٢٠٠ ألف من ابقيق و ٥٠٠٠ من القطيف يوزع منها ١٠٠ ألف برميل يوميا إلى مصنع التكرير الأولى حيث يعد للتصدير على شكل بترول خام . ويرسل الباقى إلى مصانع التكرير فى رأس تَنُّوره والبحرين .

ويصل الدمّام برأس تَنُّوره خط من الأنابيب قطرها عشر بوصات وقد أنشئت فى سنة ١٩٣٩ م وطول الخط ٣٩ ميلا ، وهو يتبع الطريق البرى طريق القطيف ويمكن أن يجرى به ٦٣ ألف برميل يوميا .

وفى سنة ١٩٤٥ م أنشىء خط أنابيب قطر ١٢ بوصة من الدمّام إلى معمل التكرير فى البحرين طوله ٣٤ ميلا براً وبحراً وتصرفه ١١٠ ألف برميل يوميا .

وفى سنة ١٩٤٦ م أنشىء خط أنابيب جديد من الدمّام إلى رأس تَنُّوره بقطر ١٢ بوصة وطوله ٢٣ ميلا وتصرفه اليومى ١١٥ ألف برميل .

وفى سنة ١٩٤٦ م أيضا أنشىء خط من ابقيق إلى الدمّام بطول ٤٠ ميلا

وقطر الأنابيب ١٢ – ١٤ بوصة وتصرفه اليومى ٢١٠ ألف برميل .

وفى سنة ١٩٤٧ م أنشىء خط جديد من ابقيق إلى الدمام بقطر ١٤ بوصة . وتم بعد ذلك إنشاء خط جديد بقطر ٢٠ – ٢٢ بوصة وتصرفه ٢٠٠ ألف برميل يوميا من ابقيق إلى رأس تَنُّوره بطول ٦٥ ميلا على الطريق البرى .

وقد بدىء فعلا فى إنشاء خط طوله ١١٠٠ ميل وقطر أنابيه ٣٠ – ٣١ بوصة من إبقيق إلى البحر الأبيض ، وسيكون تصرفه ٣٠٠ ألف برميل يوميا ، وقد كان المفروض أن يتم إنشاء هذا الخط فى سنة ١٩٥٠ م ، ولكن نظراً لاضطراب الأحوال السياسية فى فلسطين والدول العربية المجاورة ، ونظرا لقلة الأنابيب المعدة للتصدير من الولايات المتحدة ، فقد تأخر إتمام هذا الخط .

معمل التكرير فى رأس تنوره

بدىء فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ بإنشاء معمل برأس تَنُّوره لتكرير ٥٠ ألف برميل فى اليوم ، وتم إنشاؤه فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ م . وقد زيدت معدات هذا المعمل بحيث أصبح من الممكن أن يكرر ١٢٥ ألف برميل يوميا ، وفى نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ مجموع المقدار المكرر من زيت البترول ٧٠ مليون برميل . وأهم منتجات هذا المعمل هى البنزين ، والكيروسين ، والديزل الأسود والأبيض ، وزيت الوقود للبحرية .

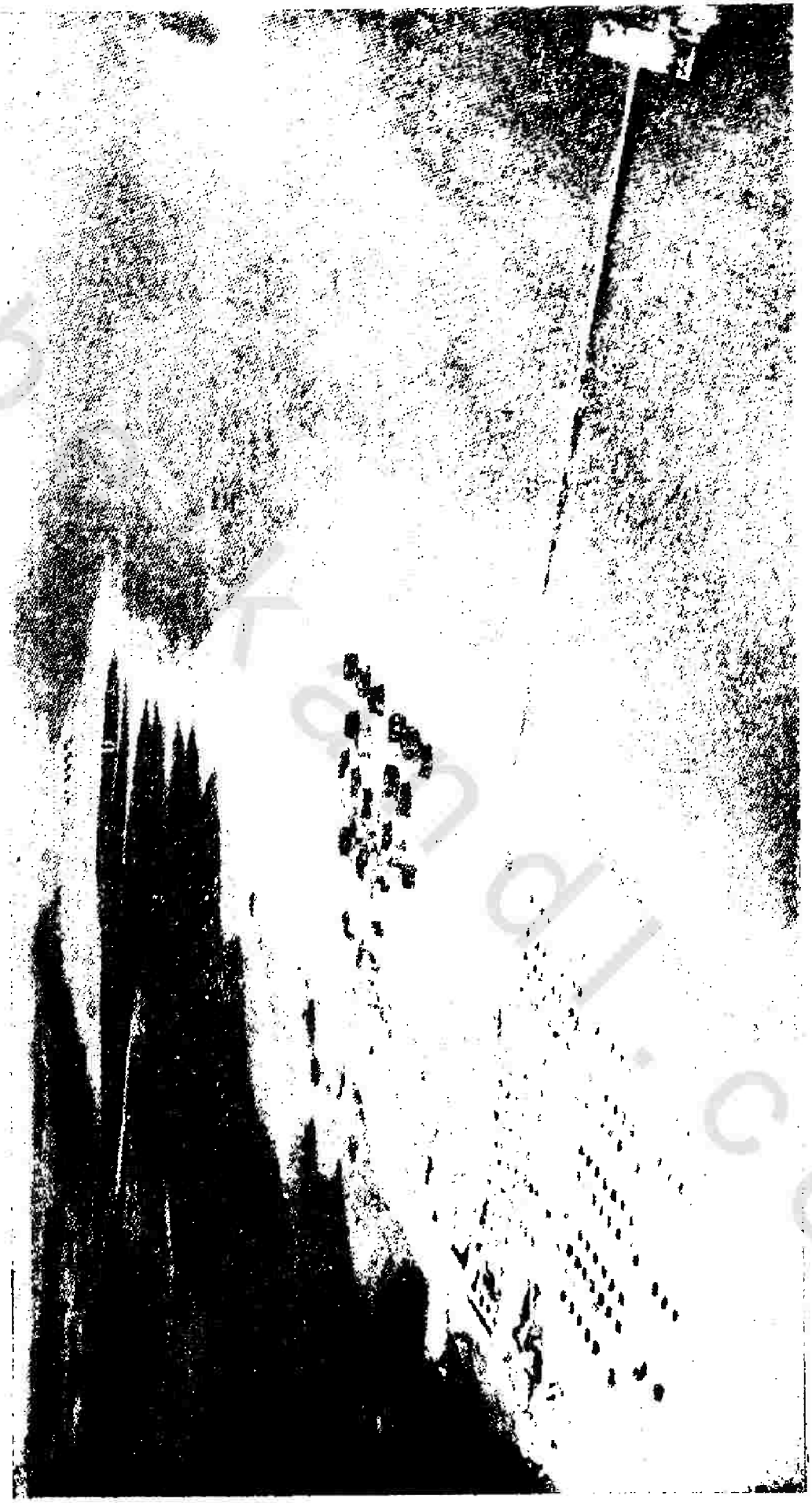

دعاء التكبير برأس ثنوره

obeikandl.com

نشاط الشركة الاجتماعى بالبلاد العربية السعودية

إن اهتمام شركة البترول العربية الأمريكية بالتعليم وتحسين الأحوال الاجتماعية فى الجهات التى تقوم فيها بعملية استخراج البترول كان فى المبدأ محدودا لاضطراب أعمالها أولا ثم وقفها بسبب الحرب ، فمن سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٨ م كانت العمليات التى قامت بها الشركة مجرد عمليات كشفية ، ومن سنة ١٩٣٨ م إلى أن بدأت الحرب كانت الهمة مبذولة لمد الأنابيب وإنشاء المستودعات حتى يمكن تصدير البترول ، ومن بدء الحرب إلى أول سنة ١٩٤٤ م شلت حركة الأعمال وخفض عدد الموظفين والعمال من الأمريكان وغيرهم تخفيضا كبيراً ، وفى المدة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٤٥ م كان اهتمام الشركة موجها إلى إنشاء خط أنابيب إلى البحرين ومعمل التكرير فى رأس تَنُّوره ، وكان هذان المشروعان قد اعتبرا من أنزم المشروعات التى تساعد على النجاح فى الحرب . ومنذ استئنافه عمليات استخراج البترول فى سنة ١٩٤٤ م خصص جزء كبير من الموارد المحلية لاعداد منازل ومستشفيات ووسائل للنقل وأمور أخرى لازمة لموظفى الشركة وعمالها من الأمريكان وعددهم ١٧٠٠ ، ومن العرب وعددهم ١٥٠٠٠ ، [1] ولهذا — كما تقول الشركة — كانت الجهود التى بذلتها الشركة فى سبيل تعليم

(١) كان هذا الإحصاء قبل شهر يونيه سنة ١٩٤٨ م موعد صدور العدد الخاص ببترول الشرق الأوسط من مجلة « بتروليوم تيمس » والأنباء الأخيرة تفيد أن العدد زاد إلى ما يقرب من ٥٠٠٠ أمريكى و ٢٠٠٠٠ عربى .

العرب سكان منطقة البترول وتحسين أحوالهم الاجتماعية لا تزال فى مرحلتها الأولى .

والأعمال التى قامت بها الشركة لرفع المستوى وتحسين الحالة الاجتماعية هى :

١ — أوجدت الشركة نوعا من التعليم الفنى الصناعى اللازم لعمالها العرب ، ثم أوجدت نوعاً آخر من التعليم المدرسى العام لتعليم القراءة والكتابة والحساب والنحو والصرف واللغة الإنكليزية ، وأخيراً أمكن الجمع بين النوعين من التعليم بتخصيص نصف اليوم لكل واحد منهما .

٢ — أنشأت مساكن للعمال والموظفين ، بل أنشأت مدنا فى الظهران ورأس تَنُّوره وغيرها بجوار أماكن العمل . ولقد حرصت الشركة على أن تتوفر الشروط الصحية اللازمة فى كل المساكن التى أنشأتها وإن كانت راعت عند إنشائها الفروق الاجتماعية والمالية بين طبقات الموظفين والعمال المختلفة ، فهى قد أنشأت المساكن البسيطة المختصرة كما أنشأت المساكن الفخمة مثل المساكن التى أنشأتها فى الظهران ، وقد أصبحت مدينة أمريكية منازلها مكيفة الهواء وشوارعها ممهدة مرصوفة وبها النوادى ودور السينما وحمامات السباحة ؛ وتربطها مواصلات جوية أسبوعية مع بيروت عبر الصحراء ، كما تربطها مع الولايات المتحدة مواصلات جوية كل أسبوعين .

٣ — بنت المستشفيات وأعدتها إعداداً كاملا لعلاج الموظفين والعمال وغيرهم

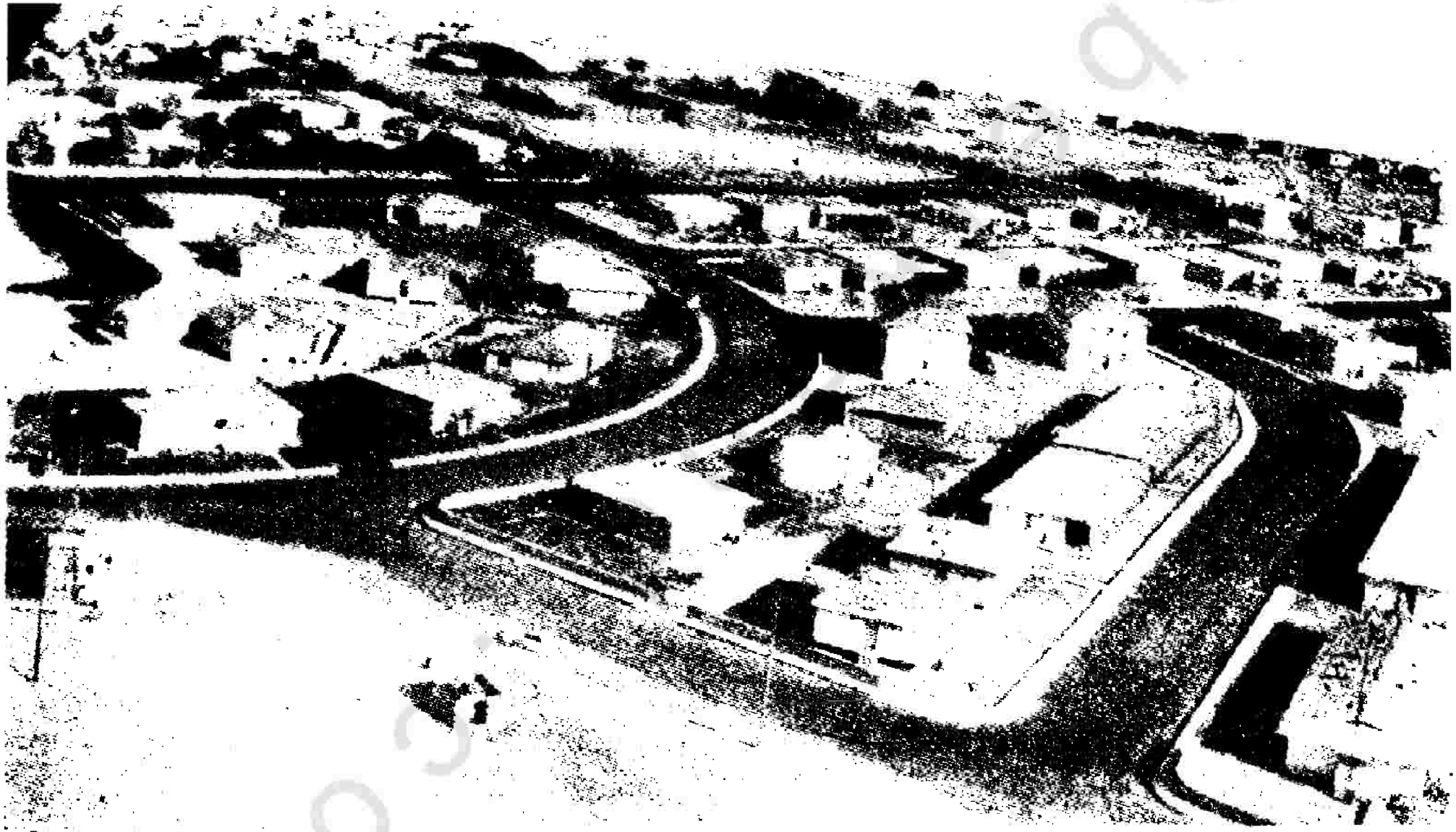

جزء من مساكن مدينة الظهران

obeikandl.com

بدون أجر ، ولقد تحسنت الصحة فى هذه المناطق إلى حد كبير وخفت وطأة الملاريا التى كانت منتشرة فى الدمّام والخُبَر .

٤ ـ عاونت الشركة الحكومة السعودية فى إنشاء المرافق العامة والزراعة وعمليات المياه ، فحفر الكثير من الآبار وبنيت بالحجر وأقيمت عليها الأغطية وأصبحت فى متناول كل عربى .

وإجابة لطلب الحكومة السعودية أنشأت الشركة ميناء عميقة فى الدمّام على الشاطىء الجنوبى لخليج رأس تنّوره ، كما شرعت فى إنشاء « سكة حديد » تربط الظهران بالرياض ولقد تم منها إلى الآن ما يزيد عن ٥٠ كيلو مترا .

* * *

نصيب الحكومة السعودية فى ريع البترول

إن تحديد المبلغ الذى يخص الحكومة السعودية فى الأرباح التى تجنيها شركة البترول العربية الأمريكية يتوقف على معرفة أمرين ، الأمر الأول مقدار الزيت الناتج من عمليات استخراج البترول من الأراضى السعودية ، والأمر الثانى الاتفاق الذى عقد بين الحكومة السعودية وبين الشركة والذى حدد نصيب الحكومة عن كل طن صاف من الزيت الخام .

أما مقدار الزيت الناتج فهو يزداد بكميات كبيرة ويتضاعف باطراد ، حتى ان التقديرات التى ذكرتها الجهات المختصة فى أوائل سنة ١٩٤٩ م بلغت حدا خياليا ، إذ قدرت دوائر « الانجلو إجبشيان أويل فيلد » بلندن ما يستخرج

من الآبار البترولية بالمملكة العربية السعودية يوميا بنحو ٥٠٠ ألف برميل ؛ وذكرت أن كميات البترول المخزونة بباطن الأرض فى هذه المملكة تكفى حوالى مائة سنة . والذى يلفت النظر أن الأمريكان لا يكتفون بهذه الزيادة الطبيعية فى البترول السعودى ، وإنما هم يستنزفون آبار البترول هذه ويعالجونها بطريقة غير الطريقة التى يعالجون بها آبار البترول فى بلادهم . فهم فى بلادهم يحسبون حساب المستقبل ويعملون على أن يبقى فى باطن الأرض الاحتياطى الكافى ، أما فى المملكة العربية السعودية فهم يودون لو استطاعوا حمل كل مافى أرضها من زيوت إلى بلادهم ، فإذا ضم هذا إلى الوفرة الطبيعية فى زيت البترول السعودى استطعنا أن نفهم سر هذه الزيادات الهائلة فى مقدار الناتج منه .

وأما تحديد نصيب الحكومة حسب الاتفاق بينها وبين الشركة فقد عالجته المادة الرابعة عشر من الاتفاقية الرئيسية الأولى المبرمة فى ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣ م بمدينة جدة ، وقد نصت هذه المادة على أن تدفع الشركة للحكومة عن كل طن صاف من الزيت الخام أربعة شلنات ذهبية أومايعادلها ، أو ـ إذا اختارت الشركة وقت دفع القسط ـ تدفع دولارا واحدا من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الطن الصافى الواحد . ولكن لما كانت هذه المادة غير واضحة فى بعض نقطها فقد دعا ذلك إلى الخلاف بين الشركة وبين الحكومة على المقدار المحدد الواجب على الشركة دفعه للحكومة ، الأمر الذى أدى إلى أن تكون هناك قضية بين الحكومة والشركة باسم « قضية الذهب » . ولبيان منشأ الخلاف نوردنص

الجزء المشتمل على التعويض من المادة المذكورة ، وهو كالآتى :

« إن قيمة الربع عن كل طن صاف من الزيت الخام ستكون إما :

ا — أربعة شلنات ذهبية أوما يعادلها .

ب — أو — بحسب اختيار الشركة وقت دفع كل قسط من أقساط الربع — دولاراً واحداً من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الطن الصافى الواحد من الزيت الخام . ويزاد على الدولار أى فرق يمكن أن يكون موجوداً فى سعر القطع بين الكمية التى تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة الأشهر التى تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة . مثال ذلك : إذا كان معدل سعر القطع عبارة عن دولار واحد وأربعة عشر سنتا من عملة الولايات المتحدة الأمريكية لكل أربعة شلنات ذهبية (أى أن قيمة الجنيه الانكليزى الذهب أصبحت مساوية خمسة دولارات وسبعين سنتا أمريكيا) فإن قيمة الربع عن الطن الصافى الواحد من الزيت الخام تصبح دولاراً واحدا وأربعة سنتات من عملة الولايات المتحدة . » (١)

وإننا نجد أن نص المادة ترك غير واضح وغير محدد فى موضعين ، فأولا نجد أن المادة بعد أن حددت المبلغ الذى يدفع للحكومة عن الطن بأربعة شلنات

(١) راجع ص ٩ — ١٠ من « اتفاقيات شركات استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن » المطبوعة بمطبعة الحكومة السعودية فى سنة ١٣٥٩ هـ .

ذهبية ـ مع العلم بأنه ليست هناك شلنات ذهبية مسكوكة يتعامل بها ـ تركت الأمر على غموضه ولم تبين : هل المراد أن يكون الدفع بالجنيه الذهب الإنكليزى المسكوك ـ وله سعر خاص ـ أو المراد أن يكون الدفع بالذهب غير المسكوك فتدفع الشركة للحكومة السعودية عن الطن ما يساوى فى الوزن أربعة شلنات من الذهب الخام ؛ أى ما يساوى $\frac{4}{5}$ من وزن الجنيه من الذهب غير المسكوك ، وهذا بالطبع له سعر آخر غير سعر الجنيه الذهب المسكوك ؟ وثانيا نجد أن عملية الاستبدال بالدولار ، التى نصت عليها المادة ، غير واضحة وذلك أن المادة ابتدأت فنصت صراحة على جواز الدفع بالدولار الأمريكى إذا اختارت الشركة ذلك ، وحددت ما تدفعه الشركة عن الطن بدولار من عملة الولايات المتحدة الأمريكية بدل أربعة شلنات ذهبية عن الطن ، التى اعتبرت أساسا فى الدفع ، ويكون هـذا معناه أن قيمة الأربعـة شلنات من الذهب عند التعاقد كانت تساوى دولاراً أمريكيا ؛ ثم عقبت المادة فذكرت أنه عند اختيار الدفع بالدولار « يزاد على الدولار أى فرق يمكن أن يكون موجوداً فى سعر القطع بين الكمية التى تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة الأشهر التى تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة » وهذا معناه أن قيمة الأربعة شلنات الذهبية عند التعاقد كانت تساوى دولاراً وعشرة سنتات ، لا دولاراً واحداً فقط كما فهم من الجملة الأولى .

والذى يترتب على ذلك أنه إذا اختـارت الشركة الدفع بالدولارات

على أساس التقدير المفهوم من الجملة الأخيرة ، وفى حالة ارتفاع قيمة الذهب ، نقص ما تأخذه الحكومة السعودية عشرة سنتات عن كل طن ، وهذا النقص ولا شك يكوّن ملايين الدولارات فى الجملة .

هذا هو منشأ الخلاف فى « قضية الذهب » بين الحكومة السعودية وبين شركة البترول العربية الأمريكية ، ولقد ظل هذا الخلاف بين الطرفين قائما مدة طويلة حتى استطاع أخيرا الرجل العبقرى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية فى حكومة المملكة العربية السعودية وممثلها فى التعاقد مع الشركة أن يحل هذا الخلاف بما يحفظ حقوق بلاده ؛ استطاع « معاليه » هذا بمعونة المستشار القضائى للحكومة السعوديه الأستاذ « أحمد بك » توفيق ، وهو من رجال القانون المصرى الأفذاذ . ففى شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٤٨ م تفاوضت الحكومة السعودية مع الشركة بشأن قضية الذهب وانتهت معها إلى اتفاقية موفقة فى صالح المملكة العربية السعودية، حيث اتفق الطرفان على أن يكون الدفع بالجنيه الذهب المسكوك ، كما اتفقا على أن تدفع الشركة للحكومة اثنى عشر دولاراً أمريكيا فى مقابل الجنيه الذهب المسكوك إذا كان الدفع بالدولارات ، وذلك طالما أن السعر الرسمى للذهب فى خزينة الولايات المتحدة هو خمسة وثلاثون دولاراً للأوقية من الذهب (أى باعتبار أن الجنيه يساوى ثمانية دولارات و٢٤ و ٠ من الدولار) . وعلى هذا الأساس السابق تحدد المبلغ الذى تدفعه شركة البترول للحكومة السعودية عن كل طن من زيت البترول الصافى الخام تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض .

وفى اكتوبر سنة ١٩٤٨ عقد « معالى » وزير المالية السعودية بمعونة المستشار القضائى اتفاقية أخرى مع الشركة حصل بها على ميزات هامة لحكومته ، وهى تتعلق بما يأتى :

ا — المنطقة المحايدة التى تقع بين المملكة العربية السعودية وبين الكويت .

ب — القطاع الداخل فى البحر على حدود المملكة الشرقية الساحلية الذى يعتبر امتدادا للمياه الإقليمية .

ج — النظام الذى تتبعه الشركة فى تخليها للحكومة السعودية عن الأراضى التى تستغلها فى استخراج البترول .

أما فيما يتعلق بالمنطقة المحايدة بين المملكة السعودية وبين الكويت فقد كانت هذه المنطقة حسب الاتفاق المبرم بين الحكومة السعودية وبين الشركة فى سنة ١٩٣٩ م من المناطق التى يشملها امتياز الشركة (١) ، ولكن الحكومة السعودية استطاعت بمقتضى اتفاقية اكتوبر سنة ١٩٤٨ م السابقة الذكر أن تستردها وأن تلغى امتياز شركة أرامكو فيها ؛ ثم تعاقدت بشأنها مع شركة أمريكية أخرى ، وبشروط أسخى بكثير من شروط شركة أرامكو . وهذه

(١) راجع ص ٢٩٥ — ٢٩٦ من الكتاب ؛ و ص ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ من « اتفاقيات شركات استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن »

الشركة التى تم التعاقد بينها وبين الحكومة السعودية بشأن المنطقة المحايدة أخيراً بمدينة الرياض فى فبراير سنة ١٩٤٩ م هى شركة باسفيك وسترن أويل كوربو ريشن « Pacific western oil corporation » .

وفيما يتعلق بامتداد المياه الإقليمة داخل البحر على الحدود الساحلية الشرقية للمملكة العربية السعودية ، اتفقت الحكومة السعودية مع شركة أرامكو على أنه فى حالة وجود البترول فى امتداد يزيد عن ستة أميال (وهو مقدار المياه الإقليمية فى العرف الدولى)فإن الشركة تدفع عما يستخرج من زيت البترول من هذا الامتدادالزائد عن المياه الإقليمية،التى تدخل فى امتياز الشركة بحسب العقود التى بينها وبين الحكومة ، تدفع الشركة عن المستخرج من الامتداد الزائد خمسة سنتات عن البرميل زيادة عما يجب عليها دفعه بحسب التعاقد الأصلى ، فتكون جملة الزيادة فى الطن الواحد هى خمسة وثلاثون سنتاً [1] .

وأما نظام التخلى الذى اتفق عليه ، فقد وضع له برنامج خاص بحيث يكون التخلى تدريجياً وفى فترات معينة ، حتى تستطيع الحكومة السعودية الاستيلاء على الأراضى المتخلى عنها والانتفاع بها بالتتابع ، فلا تمضى مدة التعاقد إلا ويكون قد تم الاستيلاء بطريقة منظمة غير موجبة للخلاف .

كذلك أجبرت الحكومة السعودية شركة أرامكو أخيراً على زيادة العناية بالعمال العرب وتحسين حالهم من نواحى التعليم ، والتأمين الصحى

---

(١)وذلك لأن الطن يساوى سبعة براميل تقريباً .

والتأمين الاجتماعى بما يحفظ للعمال حقوقهم ، وإنا نكتفى بالإشارة إلى ذلك بعد تلك التفصيلات التى أوردناها لما لها من أهمية .

obeikandl.com

نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية

إن صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية يجمع فى يديه مقاليد الحكم كلها فى المملكة ، وإليه ترجع كل السلطات ، ولكن جلالته مقيد بأحكام الشرع الشريف ؛ فهو لا يحد من نفوذه فى رعيته إلا أحكام الدين الحنيف ، إذ هى المرجع الأعلى للحكم وهى الدستور المتبع فى البلاد . فهناك تقطع يد السارق ، ويحد الزانى ، وتنفذ أحكام الإسلام فى مختلف الأحوال .

والمملكة العربية السعودية تشمل قسمين كبيرين :

القسم الأول منهما ما كان يعرف سابقاً باسم « السلطنة النجدية وملحقاتها » وهى البلاد السعودية قبل فتح الحجاز .

والقسم الثانى ما كان يعرف باسم « المملكة الحجازية » حتى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٢ م . وهى بلاد الحجاز التى استولى عليها ابن سعود نهائياً فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ [1] ، والتى كانت قبل ذلك تحت حكم جلالة الملك الشريف حسين بن على باسم « المملكة العربية الهاشمية » .

ولقد تغير وضع الأمور بفتح ابن سعود للحجاز ، وأصبح لزاماً

---

(١) راجع ص١٦٣ — ١٦٤ من الكتاب .

على صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد والملحقات [١] أن يحور فى نظام الحكم البدائى الذى كان يسير عليه فى نجد قبل أن يتسع ملكه . وقبل أن تتعدد مصالحه وتشتبك بمصالح العالم الخارجى . فقد كان جلالته قبل ذلك يحكم فى نجد على طريقة آبائه وأجداده وأندادهم من مشايخ الصحراء وأمراء البادية ، فهو الأمير ، وهو الزعيم الدينى لأتباعه الوهابيين ، يحكم بينهم وينفذ فيهم أحكام الدين الإسلامى ، وهو القائد الأعلى للجيوش ، وهو مرجع السلطات كلها لايقيده إلا أحكام الشرع الشريف كما قلنا . فلما فتح جلالته الحجاز اقتضت الضرورة أن يعدل فى نظام الحكم ، وأن تنشأ نظم جديدة ، وأن تشرع قوانين لم تكن موجودة على حسب مقتضيات الأحوال والتطورات الطارئة ، كان لابد من هذا بعد اتساع الملك ، وتعدد المصالح ، واشتباكها بمصالح الدول الأخرى على ما أسلفنا .

غير أن الضرورة اقتضت أيضاً أن يراعى جلالة الملك ابن سعود الفروق بين نجد والحجاز ، وأن يجعل جلالته لكل من القسمين نمطا خاصا من الحكم يتلاءم مع السكان ومع سائر الأحوال ، فأبقى طريقة الحكم فى نجد على ما كانت عليه سابقاً بعد تعديل طفيف ، وجعل أكبر أنجاله الأحياء صاحب السمو الأمير سعودا ، الذى أصبح ولياً للعهد فيما بعد ، نائباً لجلالته يقوم مقامه عند اللزوم ، فأصبح الأمير يحكم نجدا بالنيابة عن والده ، ويعاونه فى الحكم القضاة

---

(١) هكذا كان يلقب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عقب فتحه للحجاز وقبل توحيد أجزاء المملكة .

والعلماء الذين يرجع إليهم الفصل فى الخصومات القضائية ، وأمين بيت المال الذى يجمع الزكاة ويصرفها فى مصارفها بأمر الأمير مباشرة . وبهـــذه الطريقة البسيطة يحكم نجد ، فليست هناك وزارات ولا دواوين غير ما ذكرنا ، وهى الطريقة التى تناسب النجديين فى بساطتهم ، وعيشتهم البدوية وبعدهم عن مركز اتصال الدولة السعودية العربية بغيرها من الدول ، إذ مركز هذا الاتصال فى الحجاز ، فنجد مستقلة فى إدارتها ، ومختلفة فى نظام حكمها عن الحجاز ، وعاصمتها الرياض .

أما نظام الحكم فى الحجاز ، فقد اقتضت المصلحة أن يعدل حتى يصبح قريباً من نظم الحكم فى ممالك العصر الحديث ، ولعل أصحاب الأمر راعوا فى ذلك الأسباب الآتية :

١) كون الحجاز مركزاً لاتصال الدولة العربية السعودية بالعالم الخارجى فينبغى حينئذ أن يكون نظام الحكم فيه قريباً من النظم الحديثة ، وأن تدون الدواوين وتوزع الأعمال عليها ، وأن تشرع القوانين لضبط العمل ، وضمان الوصول إلى الغرض وحفظ الصالح العام بقدر المستطاع .

٢) أن هـذه البلاد قد سبق لها أن عرفت شيئاً من نظم الحكم الحديثة فى عهد الأتراك وعهد الشريف حسين ، فأهلها إذاً على استعداد لأن يحكموا بنظام من الحكم حديث ، أكثر من النجديين أهل البداوة الفطرية .

تلك هى العوامل التى نرجح أن أولى الأمر قد راعوها حينما جعلوا للحكم فى الحجاز نظاماً خاصاً يختلف عن الذى فى نجد .

وهذا النظام وضعته الجمعية العمومية الحجازية التى ألفت بأمر صاحب الجلالة ابن سعود ووضعت « نظام التشكيلات الأساسية » دستوراً للحكم فى الحجاز ، فوافق عليه جلالته وأصدره فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ هـ / ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، ونشر بجريدة أم القرى فى ذلك التاريخ (١) .

وبمقتضى الدستور أصبح الحجاز مملكة إسلامية شورية دستورية مستقلة عاصمتها مكة ولغتها الرسمية اللغة العربية ويحكمها نائب عن الملك ، والنائب هو صاحب السمو الأمير فيصل يعاونه فى الحكم مجلس وزراء (ويسمى مجلس الوكلاء) مكون من وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المالية، غير أن الأمير فيصلا هو رئيس الوزراء ووزير لوزارتين ، وزارتى الداخلية والخارجية ، وبذلك يجمع أغلب السلطات فى يده بالنيابة عن والده صاحب الجلالة الملك . وأنشئت عدة إدارات ومصالح ، وعين لها مديرون ورؤساء وهؤلاء مسئولون أمام نائب الملك . وجعل لكل ناحية وكل قرية وكل قبيلة مجلس يعنى بالشئون المحلية ويتألف من الموظفين ومن أشخاص معينين ، ثم ألف فى العاصمة مجلس كبير (مجلس الشورى) يتكون من النائب العام

---

(١) راجع نص الدستور فى ص ١٩١ — ١٩٣ من كتاب « الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية » لأوجين يونغ طبعة مطبعة النهضة سنة ١٩٢٨ .

(نائب الملك) رئيساً ومعه أحد مستشاريه ومن ستة [١] ذوات أكفاء يعينهم الملك ، ينظر هذا المجلس فى شئون الدولة العامة وتصبح قراراته نافذة بعد موافقة الملك عليها .

كذلك اقتضت ضرورة الحكم تشريع بعض القوانين التى لم تكن معروفة بالبلادعلى ضوء مايجرى به العمل فى البلاد المتحضرة ، مثل :

ا ـ قانون الجنسية ، وكان لابد من تشريعه بعد أن أصبحت البلاد دولة ذات سيادة ، لها رعايا عليهم حقوق ولهم واجبات يتعاملون مع غيرهم من رعايا الدول الأخرى .

ب ـ قانون مجلس الشورى ؛ وكان لابد منه أيضا لتنظيم عمل المجلس وتحديد اختصاصاته وبيان كيفية تأليفه . . . الخ .

جـ ـ قانون الحجر الصحى ؛ وهو فى غاية الأهمية لحكومة تريد المحافظة على صحة رعاياها وصحة الحجاج الكثيرين الذين يفدون سنويا من جميع أنحاء المعمورة لحج بيت الله الحرام ، منعاً للعدوى وانتشار الأمراض .

---

(١) هذا كان فى السنوات الأولى من تأليف المجلس ، والآن يتألف المجلس من أربعة عشر عضواً من أكبر الشخصيات البارزة فى البلاد ، ولا زال يرأسه حضرة صاحب السمو نائب الملك سمو الأمير فيصل ، وينوب عنه فى غيابه النائب الاول أو النائب الثانى من بين الاعضاء .

د ـ قانون مزاولة مهنة الطب ، وهو لا بد من سنه حتى لا يشتغل بالطب إلا الطبيب المختص الذى يستطيع نفع الشعب ، ولكى تحمى الحكومة شعبها من الدجالين الذين لا يتورعون عن الاشتغال بما لا يحسنون ولا يعرفون ، طلبا للكسب من غير طريقه المشروع .

ولقد كانت بلاد المملكة العربية السعودية عقب فتح الحجاز مؤلفة من مملكتين مستقلتين ، كما ترى ، نجد والحجاز ، لكل منهما أوضاعها وحكومتها وطراز إدارتها ، تجمع بينهما رابطة العرش المشترك وشخص الجالس على العرش كما كانت الحال بين الممالك الأوربية المتحالفة مثل النمسا والمجر . ولكن السياسة الخارجية كانت دائما مشتركة وكذلك شئون الدفاع والبريد . ولما رؤى أنه قد حان الوقت لتوحيد المملكة وأنه لم يبق داع قط لبقاء تلك الفروق فى الأوضاع بين نجد والحجاز ، ما دامت الوحدة العنصرية والدينية قائمة بينهما ، وما دام الملك واحدا ، والمصلحة مشتركة ، والماضى والتاريخ يجمع بينهما ، لما رؤى ذلك صدر الأمر الملكى الكريم تحت رقم ٢٧١٦ فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م بدمج المملكتين فى مملكة واحدة تحت اسم « المملكة العربية السعودية » وكانت ديباجة هذا الأمر الملكى والمادة الأولى منه كالآتى :

بعد الاعتماد على الله ، وبناء على ما رفع إلينا من البرقيات من كافة رعايانا فى مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، ونزولا على رغبة الرأى العام فى بلادنا ،

وحبا فى توحيد أجزاء المملكة العربية ، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى ـ يحول اسم « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » إلى اسم « المملكة العربية السعودية » ويصبح لقبنا بعد الآن « ملك المملكة العربية السعودية . »

وكان نص المادة الخامسة : « تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء فى الحجاز أو فى نجد وملحقاتها على حالها الحاضر مؤقتا إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد . »

ولكنه على الرغم من انقضاء سنوات عديدة على صدور الأمر الملكى بتوحيد أجزاء المملكة ، وتسميتها بالمملكة العربية السعودية ، وبوضع نظام أساسى للبلاد يأجمعها على أساس الوحدة الجديدة ، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة تكون أكثر انطباقا على الحالة الراهنة واتساقا مع الأوضاع الحكومية العصرية ، على الرغم من ذلك ، فإن النظام المذكور لم يصدر بعد فيما أعلم .

ولا تزال السلطة العليا فى الدولة كما كانت فى التعليمات الأساسية لمملكة الحجاز . فهى لا تزال فى يدى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، وجلالته لايزال يشرف على أعمال نائبيه فى المنطقتين نجد والحجاز ويتدخل فى كل الأمور ، ولا يحدث أمر فى مملكته إلا بعد الموافقة منه ؛ ولهذا نستطيع أن نصف الحكم فى بلاده جميعها بأنه ملكى مطلق ، بيد أنه ينبغى ألا ننسى أنه ينفذ أحكام الشريعة الإسلامية ويراعى تعاليمها ، كما قدمنا ؛ وفى تنفيذ أحكام الشريعة والاصدار فى الحكم عن قانونها ضمان للعدل فى الرعية والتوفيق فى الحكم .

ولاية العهد

وجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود هو أول من اتبع نظام المبايعة لشخص معين يخلفه فى الحكم فى الأسرة السعودية ؛ فقد كان المتبع فى العصرين الأول والثانى أنه إذا مات الإمام من آل سعود اجتمع أهل الحل والعقد وذوى الرأى من الأمراء والعلماء ورؤساء القبائل وانتخبوا لهم إماماً تتوفر فيه الشروط ؛ وأحيانا كان يقع الخلاف بين الأمراء بسبب التنافس على الإمامة ، ولهذا رأى جلالة الملك أن يضع حدا للأمور ، فأخذ البيعة لابنه الأكبر الأمير سعود ، نائب الملك فى نجد ، بعد موافقة مجلس الشورى وأصحاب الرأى . وتمت البيعة فى ١٦ المحرم سنة ١٣٥٢ هـ / ١١ مايو سنة ١٩٣٣ م ؛ ولقد ناب الأمير فيصل عن أخيه فى تقبل البيعة بالحجاز ، ثم سافر إلى الرياض على رأس الأمراء السعوديين وبايعوه جميعاً ، وقدموا إليه التهنئة بما ساقه الله إليه من كرامة .

إصلاحات ابن سعود

إن قضية الإصلاحات فى المملكة العربية السعودية ، وخصوصا فى الحجاز منها وفى البلاد المقدسة التى يحج إليها آلاف المسلمين كل عام ، قضية كثيراً ما يدور الحديث حولها ويختلف الرأى فيها . والذى لا شك فيه أن بلاد المملكة العربية السعودية لا تزال بحاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح ، وأنه على حكومة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود أن تضاعف مجهودها فى تحسين حال الشعب الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، وفى العمل لتنمية مرافق البلاد وتعبيد الطرق ، ثم فى القيام والسهر على راحة الحجاج وحفظهم من جشع الروح الاستغلالية التى لا حظها الكثيرون على بعض موظفى الدولة فى الحجاز ، وعلى التجار ، وخصوصاً على كبار التجار المحتكرين .

ولكنا مع هذا نرى أنه من الخطأ وعدم الإنصاف ألا ننوه بما قام به جلالة الملك ابن سعود من الإصلاحات الهامة المتعددة أثناء حكمه ، وألا نذكر بإعجاب أبواب الإصلاح التى طرقها ووصل فيها إلى غاية محمودة سيتحدث عنها التاريخ بلسان الحمد والثناء . وقبل أن نفصل القول ، ونتحدث عن أعمال ابن سعود الإصلاحية نود أن ننبه إلى ما كانت عليه البلاد قبل الحكم السعودى من تأخر وفوضى ، فإنه لا يستطيع أن يقدر أعمال الملك ابن سعود قدرها إلا من يعرف أحوال الفوضى والتأخر التى كان عليها الشعب العربى فى العهد السابق لعهده .

وأهم الإصلاحات التى قام بها جلالته هى :

ا — إصلاح حال الشعب البدوى بتأليف جماعة الإخوان التى تكلمنا عنها ، فلقد ترتب على ذلك استقرار البدو فى الهِجَر ، وتعودهم العمل بعد أن كانوا يعتمدون فى معيشتهم على النهب والسلب . كما كان للتعاليم الدينية التى نشرها بينهم علماء نجد أثر كبير فى تهذيب أخلاقهم وتصحيح عقائدهم ؛ ولقد سبق أن بينا ما ترتب على هذا العمل المجيد من آثار .

ب — توطيد دعائم الأمن الشامل فى البلاد على وجه لم تعرفه الجزيرة العربية فى العصر الحديث قبل حكم عبد العزيز آل سعود ، ولقد اعتمد جلالته فى الوصول إلى هذه النتيجة السارة على التدابير الآتية :

١) تنفيذ حكم الإسلام بقطع يد السارق .

٢) تضمين رؤساء القبائل لما يقع فى مناطقهم من حوادث فهم المسئولون عنها أمام جلالة الملك .

٣) الإصلاح بين القبائل والقضاء على ما بينهم من خلاف

٤) توحيد الإمارات وضمها إلى مملكته كما فعل مع حائل وعسير ، وفى ذلك توحيد للمسئولية وضبط للأمور .

حـ — إدخال النظم الصحية والانتفاع بالطب الحديث بعد أن كان ذلك مجهولا ومعادى فى المملكة العربية السعودية ؛ ففى سنة ١٣٤٢ هـ / سنة ١٩٢٣م كانت الخطوة الأولى فى هذا المضمار ، وحصلت المعجزة فعين عبدالعزيز آل سعود طبيباً خاصاً له ولحاشيته ؛ وبعد أن تم له فتح الحجاز نظم الإدارة الطبية التى كانت موجودة هناك وجعل لها شعباً فى سائر أنحاء المملكة فى نجد والأحساء

وعسير ، وأسس مستوصفاً فى الرياض لمعالجة المرضى وإعطاء الأدوية مجانا ، ثم أدخل التطعيم ضد الأمراض ؛ وقد وقف النجديون فى سبيل تنفيذ هذه الفكرة فى المبدأ لأنهم كانوا يرونها خروجا على الدين . وأخذ ابن سعود بنظام المستشفيات المتنقلة تيسيرا لمداواة الشعب بأقل ما يمكن من النفقات .

د ـ تشجيع التعليم فى البلاد وبين أفراد شعبه الذين كانوا قد توغلوا فى الأمية وعدم المعرفة ، فأنشأ كثيرا من المدارس التى لا تعدو فى نظامها وطرق التعليم فيها أن تكون على منوال المدارس الابتدائية ، وبعضها أنشىء على نظام المدارس الثانوية حديثاً ، واستقدمت الحكومة السعودية المعلمين لهذه المدارس من مصر والبلاد العربية .

ولا ننسى فى هذا المقام البعثات التعليمية التى يرسلها جلالته إلى مصر وغيرها وينفق عليها النفقات الكثيرة فى سبيل العلم والمعرفة .

ومن الوسائل التى سلكها ابن سعود تشجيعا للمعرفة أن أخذ يطبع الكثير من الكتب العلمية ، وخاصة كتب التفسير والحديث والفقه ويوزعها على الناس بغير ثمن .

هـ ـ الانتفاع بالمخترعات الحديثة فى بلاده . فاستخدم الأوتومبيل وأدخل التليفون والتلغراف والراديو ، وانتفع بكل هذه الوسائل كما تنتفع بها سائر الأمم المتحضرة ؛ ولكنه لاقى الكثير من العناء فى المبدأ من علماء نجد والمتطرفين من الاخوان الذين كانوا يرون أن هذه المخترعات العلمية من عمل الشيطان وأنها بدعة تجب محاربتها ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

اتبع ابن سعود مع هؤلاء جانب الحكمة ، فكان تارة يأخذهم بالحيلة وطوراً بالشدة ، فمرة يسمعهم القرآن بواسطة الراديو ، فيثبت لديهم أنه ليس من الشيطان لأن الشيطان لا يقرأ القرآن ، وأخرى يقف معهم موقف الحزم وينذرهم بأنه سينزل أشد العقاب بمن يمانع فى استعمال التلغراف والسيارات ، كما فعل مع وفد العلماء الذى أتى إليه سنة ١٩٣١ م بالرياض محتجاً ومعترضا (١) .

ومع هذا فإنا نعود ونكرر أن البلاد العربية السعودية لا تزال فى حاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح . وإنا نرى أن بعض هذه الأعمال الإصلاحية المطلوبة ينبغى المبادرة به ، مثل إنشاء المرافق الصحية العامة التى تكفى لقضاء حاجة جميع الحجاج أثناء موسم الحج ، وتنظيم الانتفاع بها على وجه يحفظ على الحجاج كرامتهم وراحتهم ويقيهم شرور الأمراض والأوبئة . ومثل إعداد المذبح الصحى الذى يتسع لذبح الأضاحى الكثيرة التى يذبحها الحجاج ، مع إنشاء المصانع لتجفيف لحوم هذه الذبائح ، وإعدادها إعداداً يجعلها صالحة للانتفاع بها طول أيام السنة لتوزع على الفقراء والمحتاجين . كذلك إعداد المساكن الكافية الصحية للحجاج والعمل على راحتهم فى السفر والإقامة من أمثلة الأعمال الإصلاحية التى ينبغى المبادرة بها . وإن أعمال الإصلاح فى البلاد المقدسة مهمة يجب على سائر المسلمين أن يقوموا بها بالطريقة التى لا تجرح كرامة جلالة

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

الملك ابن سعود ولا تخدش استقلاله ، وهذه ولا شك طريقة محمودة ناجحة ، كما حدث فى رصف الطريق بين جدة ومكة برعاية جلالة الملك عبدالعزيز ، وهمة مصر والمصريين .

وهناك بعض الأعمال الإصلاحية الأخرى التى لا تزال تحتاج إلى اهتمام خاص من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، مثل الضرب على أيدى المحتكرين فى المرافق العامة ، والتسوية بين كبار الرجال وبقية أفراد الشعب فى إقامة الحدود على الجميع ، ومثل مضاعفة الجهود فى ناحية التعليم ونشر العلم خصوصا بين الطبقات التى تسند إليها أمور الدولة و الحكم بين الناس ، فهؤلاء هم القادة الذين بحسن إعدادهم وبصلاحيتهم تصلح الأحوال ؛ كذلك الإشراف على الأحوال الصحية فى البلاد ، يحتاج إلى وضعه فى أيد أمينة ، وتحت إشراف أطباء أكفاء لهم من التجارب ما يساعدهم على النهوض بهذه الناحية الهامة من نواحى الإصلاح . والحمد لله فلقد بلغنى من ثقة أن جلالة عاهل الجزيرة أخذ يعطى هذه الناحية ما تستحقه من العناية ؛ ولقد بدت الآثار العملية لهذه العناية ، فرأينا الحكومة العربية السعودية توفد مندوبها فى الشهور الأخيرة إلى مصر ليدرس النظم المصرية الطبية والصحية ، وليستعين ببعض الأطباء المصريين الذين سافروا فعلا إلى المملكة العربية السعودية وأسندت إليهم الأعمال هناك .

وبعد فهذه صفحة من صفحات البطولة فى التاريخ قد عرضناها ، ولسنا بحاجة بعد ذلك إلى أن ندل على منزلة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بين أبطال الرجال وعظماء العصر الحديث .